بحوث ومحاضرات ألقيت في المؤتمر

اللغة العربية والإبداع الفكري والعلمي
في العصر الحديث *

للأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة

العربية لغة، يصدق عليها ما يصدق على جميع اللغات الإنسانية من قوانين النشوء والتطور ، والاتجاه إلى التوحُّد أو التفكُّك والاندثار . فهذا هو شأنها منذ تاريخ نشأتها ، الضارب بعيدًا فى أعماق التاريخ حتى اختارها سبحانه وتعالى لغة للقرآن الكريم، الذى أنزله وحيًا على قلب الرسول الأمين ، محمد صلى الله عليه وسلم . وقد حدّد هذا الحدث الإلهي اتجاه العربية الفصحى إلى التوحُّد ، وجعلها لغة خالدة بخلود الكتاب العزيز . فهي لغة ثابتة من حيث نحوها وصرفها ونطقها ، وهي لغة نامية ومتطورة من حيث أساليبها وألفاظها ومصطلحاتها ودلالاتها . ولم تعد العربية هذه لغة أمة معينة من الناس فحسب ، ولكنها أصبحت لغة تخصُّ كل مسلم . فانسابت مع تعاليم هذه العقيدة السمحة لتخاطب بنى البشر ، لإقامة دولة الإسلام على مبدأ المساواة ، بين جميع الأجناس والألوان وشعارها " لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى "، و" الناس سواسية كأسنان المشط " ، و " إن أكرمكم عند الله أتقاكم " . وسارت العربية الفصحى، لغة القرآن الكريم ، حاملة دعوة الإسلام إلى الأمم كافة . وسرعان ما أصبحت لغة الدولة ولغة العقيدة ولغة الحياة . فلم يمض قرنان من الزمان ، على تأسيس الدولة الإسلامية ، حتى أصبحت العربية الفصحى لغة العلم والفكر ، وانتقلت من مرحلة الترجمة والنقل والتعريب إلى مرحلة التأليف والإبداع فى جميع مجالات الفكر والمعرفة . فهي لغة الأدب والفقه إلى جانب لغة الفلسفة وعلم الكلام وعلوم الأوائل من طب وهندسة وفلك ورياضيات وكيمياء . وتقف مؤلفات الكندي وابن سينا والبيروني والفارابي وابن رشد ، وابن زهر ، وغيرهم من أعلام التراث العربي الإسلامي ، شاهدة على قدرة العربية على التعبير عن حصيلة ما وصلت إليه المعرفة الإنسانية ، ومن ثمّ الانطلاق إلى الإبداع والتأليف ، بل إلى

* ألقي هذا البحث فى الجلسة الثالثة من جلسات مؤتمر الدورة الثالثة والستين يوم الثلاثاء ٩ من ذى القعدة سنة ١٤١٧هـ الموافق ١٨ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٧م .

إنتاج العلم والكشف عن مناهجه المختلفة .

وعندما أراد كُتّاب " رسائل إخوان الصفا " في حوالي القرن الرابع الهجوي، أن يُقَرِّبوا الفكر الفلسفي والعلمي إلى عامة المثقفين ، لم يجدوا وسيلة أجدى من أن يصوغوا الفكر الفلسفي والعلمي والاجتماعي بلغة عربية فصيحة سهلة مطواعة ، بأساليبها المختلفة من النثر العلمي حتى فن القصة .

لقد أردنا في هذا العرض الشامل أن نبرز ما تميَّزت به العربية في مسيرتها التاريخية والحضارية ، وفي الوقت نفسه أن نبيّن ارتباط العربية من حيث كونها لغة من لغات بني البشر بالفكر ، وإنتاج المعارف والتعبير عنها ، من خلال تجربتها الحضارية المبدعة ، على امتداد عدة قرون. وربما كان من المفيد ونحن نعرض الجانب اللغوي من مسيرة حضارتنا العربية الإسلامية أن نتساءل عن طبيعة اللغة وماهيتها ، وعن مستوياتها وأشكالها، سواء أكانت محكية أم مكتوبة . وكذلك عن علاقتها بالفكر؟ وهل يمكن أن يفكر الإنسان بدون اللغة ؟ وغير ذلك من القضايا التي باتت تُكوِّن "علم اللغة" .

وربما كان من المفيد أن نتوقف عند الرأي القائل :" والحقيقة هي أن كل لغة درسناها حتى الآن ، مهما بدا المجتمع الذي يستعملها بدائيا ، أو غير متحضر من نواحٍ أخرى ، قد برهنت عند فحصها على أنها نظام اتصال معقد ومتطور جدًا ... وأن ما يستطيع عالم اللغة قوله في فكرة التطور الثقافي من البربرية إلى الحضارة، هو أنه لم تُكتشف أية علاقة متبادلة ما بين المراحل المختلفة للتطور الثقافي التي مرت بها المجتمعات ، ونوع اللغة المنطوقة في هذه المراحل . فعلى سبيل المثال لا يوجد شيء يمكن اعتباره نوعًا من اللغات يصلح للعصر الحجري ، كما أنه لا يوجد نوع من اللغة يكون (بقدر ما يتعلق ذلك ببنية اللغة النحوية العامة) صفة متميزة لمجتمعات جمع الطعام أو رعي الواشي من ناحية، أو المجتمعات الصناعية الحديثة من جهة أخرى ... "(*)

ولا شك أن هذا الرأي قد بني على دراسة " نُظُم اللغة " من حيث بنيتها النحوية ، وفي إطار المقولة : بأن اللغات ما هي إلا منظومات من الرموز ... تبنى بكاملها تقريبا على أساس العرف

(*) اللغة واللغويات ، تأليف جون ليونز ، ترجمة محمد إسحق العناني ، عمان ، ١٩٩١م ، ص ٦٠ .

الخالص أو الاختياري ، وأن هذه الرموز تتصف بالمرونـــة والقابليّـــة للتكيُّـــف والتوسع". (١)

ويبدو لنا أن قابلية اللغة ،أية لغـــة، للتوسع ، هي قابلية غير محدودة ونعني بها قابلية اللغة لإدخال كلمات ومصطلحات جديدة في مجموعة مفردات اللغة . وهـذا ناموس طبيعي درجت عليه جميع اللغات التي احتلت مراكز الســـيادة والريـــادة السياسية والحضارية ، منذ نشأة اللغـــات في تاريخها السحيق ، وحتى يومنا هذا .

ولا يقتصر هذا التطور على توســـع اللغة ، بإدخال كلمات ومصطلحـــات جديدة ، في مجموعة مفرداتها ، ولكـــه يشمل تكيُّف اللغة وفق ظروفٍ معينـــة ، يؤدي إلى ظهور تركيبات جديدة تمـــس قواعد اللغة ، مع مرور الزمـــن . وهنـــا لابُدَّ أن نفرق بين قضيتين : قضية توسـع اللغة باستيعابها كل ما هو جديـــد مـــن حيث الألفاظ والمصطلحـــات ، وهـــي قابلية غير محدودة ، كما يجمـــع عليـــها معظم الباحثين اللغويين ، وبين قضيـــة ، تمس ثوابت اللغـــة في قواعـــد نظمـــها وتراكيبها . ولاشك أن لقابلية التكيف أو التعديل حدودًا ، إذا تجاوزتها تكـــون قد أخلّت بجوهر اللغة وثوابتها الأصلية ، فيصبح الحديث عـــن لغـــة أخـــرى .

ويتساءل الباحثون في " علم اللغويات "، فيما إذا كانت هنالك حدود لها النـــوع من قابلية التكيـــف والتعديـــل .. وإذا وجدت فما هي هذه الحدود ؟ .

وربما كان من المفيد في هذا المجال أن نثبت خلاصة ما ذهب إليه مؤلف كتاب اللغة واللغويات ، إذ يقول :" ... وطبعًـــا توجد اختلافـــات كبـــيرة في مجمـــوع المفردات ما بين اللغات المختلفة ، وقـــد يكون من الضروري إذن من تعلم لغـــة أخرى أو على الأقل تعلم مجموعة مـــن المفردات المتخصصـــة ، إذا أراد أحدنـــا دراسة موضوع معين ، أو التحدث عنـــه بشكل مُرضٍ . ومن هذه الزاوية ، قـــد تكون إحدى اللغات أكثر تميـــؤًا مـــن غيرها لخدمة أغراض معينة ، إلا أنَّ هـــذا لا يعني أن إحدى اللغات أغنى أو أفقـــر جوهريًا من غيرها " . (٢) ونحن نرى أن الباحث يقيم نظريته هذه على فرضيـــات علمية ومحاكمات منطقية ، وذلـــك في غياب الاكتشافات اللغوية التجريبية التي

(١) انظر : اللغة واللغويات ، ص ١٩ .

(٢) اللغة واللغويات ، ص ٦٤ .

تعتمد الأسس العلمية . فيقول :" ويمكن افتراض أن كل اللغات الحيَّـــة ، هـــي بطبيعتها أنظمة اتصال فعَّالة . ومع تغـــير حاجات المجتمع الاتصالية ، فإنَّ لغة هـــذا المجتمع نفسها ، سوف تتغير لتلبية هـــذه الحاجات الجديـــدة . وســـوف تتســـع مجموعة المفردات ، إما بالاستعارة مـــن اللغات الأخرى ، أو بخلـــق كلمـــات جديدة من الكلمات الموجودة . ولا يعني افتقار ما يسمى أحيانًا بلغـــات العـــالم المتخلِّف إلى كلمات تدل على مفـــاهيم العلم والتكنولوجيا الحديثة ومتوجاتهـــا المادية ، أن هذه اللغات بدائية ، أكثر من اللغات التي تحتوي علـــى مثـــل هـــذه الكلمات . إن هذا يعنى ببساطة أن بعض اللغات لم تستعمل،حتى الآن على الأقل، من قبل أولئك المشتغلين بتطوير العلـــم والتكنولوجيا " . (١)

وينهي الأستاذ ليون جونز بحثه هذا، قائلاً :" وفي الختام ، يجب أن نؤكـــد أن المبدأ القائل بأنه لا يوجد لغات بدائيـــة ، ليس اكتشافًا تجريبيًا مـــن اكتشـــافات الأبحاث اللغوية ، بقدر ما هو فرضيـــة علمية . ويجب أن نأخذ بعين الاعتبار أن اللغات قد تختلف في درجـــة تعقيدهـــا اللغوي ، وأن علماء اللغة لم يكتشـــفوا هذه الاختلافات بعد . إن إنكار وجـــود مثل هذا الاحتمال ، لا يعتمد على أسس علمية ، مثله في ذلك مثل الزعم بأن اللغة اللاتينية أكثر عراقة وتعبيرًا من أية لغة من اللغات الأسترالية البدائية ". (٢)

ونحن في الوقت الحاضر نجد لغـــات ليس لها تجربة حضارية وتاريخية ، وقد لا يتجاوز الناطقون بها مليونًـــا أو بضعـــة ملايين ، قد استطاعت أن تكـــون لغـــة العلم في جميع مجالاته ومســـتوياته ، وأن تصبح كذلك لغة التقنيـــات الحديثـــة . والأمثلة على ذلك كثيرة ، ومنها لغـــات شعوب الاتحاد السوفيتي ســـابقًا قبـــل انهياره. فاللتوانيون ،يدرسون الطـــب والهندسة وجميع العلوم والتقنيات باللغـــة اللتوانية ، وقد لا يتجاوز الناطقون باللغة اللتوانية المليون ونصف المليون نســـمة . ومثل ذلـــك في إســـتونيا ، ولتيفيـــا ، والشيشان والداغستان وجورجيا .. إلخ. وكذلك لغات شـــعوب يوغوســـلافيا سابقًا، وأيضًا اللغة الفنلندية والبلغارية ... والألبانية .. إلخ .. أليست هذه الأمثلـــة تدعم بصورة عملية مـــا ذهـــب إليـــه صاحب كتاب " اللغة واللغويات " الذي

(١) اللغة واللغويات ، ص ٦٤ - ٦٥ .

(٢) اللغة واللغويات ، ص ٦٤ - ٦٥ .

وضع كتابه في الثمانينيات من هذا القرن... ويذكرنا هذا بما ذهب إليه الإمام الحافظ أبو محمد عليّ بن حزم الأندلسي، في كتابه الإحكام في أصول الأحكام ، إذ يقول :

" وقد توهم قوم في لغتهم أنها أفضل اللغات . وهذا لا معنى له ، لأن وجوه التفضيل معروفة ، وإنما هي بعمل أو اختصاص ، ولا عمل للغة ، ولا جاء نص في تفضيل لغة على لغة ، وقد قال تعالى : " وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبيّن لهم " . (١) ويواصل ابن حزم حديثه قائلاً :

" وقد غلط جالينوس فقال " إن لغة اليونانيين أفضل اللغات ، لأن سائر اللغات إنما هي تشبه إما نباح الكلاب أو نقيق الضفادع . قال عليّ : وهذا جهل شديد لأن كل سامع لغة ليست لغته ، ولا يفهمها ، فهي عنده في النصاب الذي ذكره جالينوس ، ولا فرق. " (٢)

ويفند الإمام الحافظ ابن حزم ، صاحب كتاب" المحلى" وكتاب "الفصل" دعوى من يقول بأفضلية لغةٍ على لغة ، فيقول :" وقد قال قوم : العربية أفضل اللغات لأنها بها نزل كلام الله تعالى .

قال عليّ : وهذا لا معنى له ، لأن الله عز وجل قد أخبرنا أنه لم يرسل رسولاً إلا بلسان قومه . وقال تعالى :" وإن من أمة إلا خلا فيه نذير " (٣) وقال تعالى : "وإنّه لفي زُبُر الأوّلين . (٤) فبكلّ لغةٍ قد نزل كلام الله تعالى ووحيه ... "

وينتقل ابن حزم إلى مكوّنات اللغة فيقول: " ... وحروف الهجاء واحدة لا تفاضل بينها ولا قبح ، ولا حُسْن في بعضها دون بعض . وهي تلك بأعيانها في كل لغة . فبطلت هذه الدعاوى الزائفة الهجينة"(٥)وكما سخر الإمام ابن حزم من"جالينوس" ، فقد سخر سخرية شديدة من اليهود الذين قالوا : إن العبرانية هي أفضل اللغات،قال: "وقد أدّى هذا الوسواس العامي باليهود،إلى أن استجازوا الكذب والحلف على الباطل بغير العبرانية،وادعوا أن الملائكة الذين يرفعون الأعمال لا يفهمون إلا العبرانية فلا يكتبون عليهم غيرها . وفي هذا من

---

(١) سورة إبراهيم ٠ آية (٤) .

(٢) أبو محمد علي بن حزم الأندلسي الظاهري ، الإحكام في أصول الأحكام ، ح١-٨، القاهرة / ح١ ص ٣٢ .

(٣) سورة فاطر : آية (٢٤) (٤) سورة الشعراء ٠ آية (١٩٦)

(٥) انظر : الأحكام في أصول الأحكام ، ج١ ص ٣٣ .

السخف ما ترى . وعالم الخفيات وما في الضمائر ، عالم بكل لسانٍ ومعانيه ، عز وجل لا إله إلا هو . وهو حسبنا ونعم الوكيل " (١) وإذا كان الإمام ابن حزم وقف هذا الموقف العلمي من قضية "أفضل اللغات" ، فإنّ موقفه من تفسير ظاهرة بسط النفوذ العلمي والفكري ، للغةٍ من اللغات ، يضع الأسس العلمية اللغوية ، لما ذهب إليه كثير من الباحثين في علم اللغات في الوقت الحاضر . يتحدث ابن حزم عن اللغة اليونانية ، لغة العلم والفكر ، في عصره والعصور التي سبقته فيقول :" وقد قال قوم : إن اليونانية أبسط اللغات ، (٢) ولعلّ هذا إنما هو الآن ". وفي تفسيره هذه الظاهرة اللغوية يضع "اليونانية " في موقعها من حيث هي لغة من لغات البشر ، تحكمها قواعد وقوانين عامة ، فيقول:" فإن اللغة يسقط أكثرها ويبطل ، بسقوط دولة أهلها ، ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم ، أو بنقلهم عن ديارهم واختلاطهم بغيرهم . فإنما يفيد لغة الأمة وعلومها وأخبارها ، قوة دولتها ونشاطها وفراغهم... وأما من تلفت دولتهم، وغلب عليهم عدوهم ، واشتغلوا بالخوف والحاجة والذل وخدمة أعدائهم فمضمون لهم موت الخواطر ، وربما كان ذلك سببًا لذهاب لغتهم ، ونسيان أنسابهم وأخبارهم ، وبيود علومهم . هذا موجود بالمشاهدة ومعلوم بالعقل ضرورة " (٣)

ونحن لا نجد في الوقت الحاضر هذه المفاهيم بعيدة عما عرضه بعض علماء اللغويات في الثمانينيات من القرن العشرين .

وإذا كانت اللغات تتساوى من حيث الجوهر ، فإنها لا تجرى جميعًا على منوال واحد في "تأليف" الألفاظ أو "تركيبها" للتعبير عن المعاني والدلالات المختلفة ، فإن لكل لغة طريقتها أو طرقها في "نظم" الكلام .

لقد حاولنا في هذا العرض السريع وضع اللغة العربية في مكانتها بين اللغات الحيَّة مع استشرافنا لقضيتين أساسيتين تحددان مسيرة العربية الفصحى التاريخية: إحداهما ما تميزت به هذه اللغة الفصيحة من قدرة بيانية للتعبير عن أدق الأحاسيس الإنسانية والانطلاق إلى

(١) الإحكام في أصول الأحكام ، ح ١ ص ٣٣ .

(٢) أبسط اللغات: أكثرها انتشارا وإن كلمة أبسط في هذا النص مأخوذ من:بسط الشيء بمعنى نشره . أنظر. لسان العرب مادة "بسط"

(٣) الإحكام في أصول الأحكام ، ح١ ص ٣١ .

الكون من حولها ، وقد دونته شعرًا فيما بات يعرف فيما بعد " ديوان العرب " . والأخرى تتمثل في نزول الوحي بالنص القرآني ، يتحدى بإعجازه ما عرفت به أمة العرب من بلاغة القول وفصاحة اللسان ، وحملت العربية "الفصحى" رسالة الإسلام السماوية إلى بني البشر كافة . وتهيأت لها الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية إلى أن تصبح لغة العلم والفكر والأدب ، الأولى في العالم ولعدة قرون .

ونحن عندما نتحدث عن اللغة إنما نتحدث في الوقت نفسه عن الفكر . وقد أدت البحوث اللغوية والنفسية في العصر الحديث إلى تقرير الروابط المتينة بين اللغة والفكر ، وإلى ملاحظة وجود هذا الحبك المتين بين التعبير والتفكير . ومن أهم هذه النظريات في اللغة ، تلك التي تقول: إن العلاقة التي تربط الفكر بالكلمة هي علاقة صميمية، فالفكر والكلمة جسم واحد ، لا يحصل فكر بدون أن تحدث لغة ، ولا تحدث لغة لا تكون ذاتها فكرًا... (*)وربما كان من المفيد أن ننبه إلى أن الحديث عن اللغة ، إنما يقصد المعنى الذي يحسن الوقوف عليه وهو ما يسمى بالاصطلاح النحوي الجملة. وهو تفسير للمقولة التي مؤداها : أننا نفكر بجمل .

وكلما كانت الفكرة واضحة كان التعبير عنها بلغة سهلة ودقيقة . وإن غموض العبارة دليل على غموض الفكرة وعدم وضوحها في ذهن الكاتب أو المتحدث .

ونحن عندما نتحدث عن دقة التعبير ووضوحه وسهولة تداعي الألفاظ والتراكيب والجمل ، فإنما نعني ضمنًا إجادة اللغة . وقد بات من المسلمات أن الإنسان يستطيع أن يستوعب بلغة "الأم" أضعاف أضعاف ما يستوعبه باللغة الأجنبية ، مهما كانت درجة إتقانه لهذه اللغة . وبعبارة أخرى فإننا لا نجيد لغة من اللغات مثل إجادتنا لغتنا "الأم" وهذه حقيقة باتت معروفة لدى جميع الباحثين اللغويين والتربويين ، وهي شرط أساسي للانتقال من مرحلة التبعية الفكرية إلى مرحلة الإبداع والمشاركة الحضارية الأصيلة ، في مختلف مجالات الآداب والعلوم والفنون .

وربما حان الوقت ، بعد هذا العرض الشامل ، لأن نتساءل : ما حال اللغة

(*) انظر : حسن ظاظا ، اللسان والإنسان – مدخل إلى معرفة اللغة ، القاهرة ، سنة ١٩٧١ / ص ٧٥ – ٨٢ .

العربية الفصحى ، لغة العقل ؟ وما موقعها في مجال الإبداع العلمي والأدبي والفني في العصر الحديث ؟ وما حجة هذه السياسات اللغوية في معظم أقطار الوطن العربي ، التي ما زالت تفرض لغات أعجمية للتدريس والبحث العلمي في الجامعات والمؤسسات العلمية ؟ وتعمل بمختلف الوسائل على إقصاء العربية عن مجالاتها العلمية والحيوية متذرعة بذرائع واهية لا تصمد أمام البحث العلمي والمنطق السليم .

فقد أصبح عدد الجامعات الحكومية والأهلية في الوطن العربي حوالي مئة جامعة ، ينظمها اتحاد الجامعات العربية الذي تأسس منذ سنة ١٩٦٦م . ونحن إذا استثنينا الجامعات في سورية والسودان بصورة خاصة التي تدرس بالعربية الطب والهندسة وجميع العلوم والتقنيات – فإن جميع الجامعات بما فيها جامعة الأزهر الشريف ما زالت تتخذ من اللغة الإنجليزية أو الفرنسية لغة للتدريس والبحث العلمي في كليات الطب والهندسة وغيرها من الكليات .

ونحن اليوم ، والأمة العربية تقرع أبواب القرن الحادى والعشرين ، وقد أثخنتها الجراح ، وأثقلتها الحروب المصطنعة والهزائم المصممة والاستسلام المهين أمام العدو ، لنجد من واجبنا أن نعيد النظر في السياسات اللغوية في جامعاتنا ومؤسساتنا العلمية والتربوية . وليس ذلك لأنها تحدد هويتنا الحضارية فحسب، ولكن باعتبارها العنصر الأساسي للتقدم العلمي والمشاركة المبدعة في بناء الحضارة الحديثة . وإن هذا الدور الفكري والعلمي الرائد الذي قامت به العربية في تاريخها الزاهر ولعدة قرون ، هو الدور الذي تدعى إليه في هذا العصر من أجل نهضة علمية وفكرية، تعيد للأمة العربية مكانتها بين الأمم ، وتحررها من ربقة التبعية الفكرية وتنقذ كياناتها المتهافتة من الضياع والاندثار.

فاللغة هي القاسم المشترك بين كل وجوه النشاط في الفكر البشري ، فما علم من العلوم إلا والعقل الإنساني يتكئ فيه على اللغة (*) وقد رأينا سابقًا مدى اتصال اللغة بالفكر وإنه اتصال أبدي .

وفي ضوء هذه الحقائق اللغوية بصورة عامة وفي ضوء ما تميزت به العربية الفصحى ، لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف بثوابتها في

(*) انظر : عبد السلام المسدي . قضايا في العلم اللغوي ، تونس ، سنة ١٩٩٤ ص ١٥ – ١٦ .

النحو والصرف والنطق،نتساءل عن هذه السياسات اللغوية التي فرضت على الجامعات والمؤسسات العلمية العربية !! فقد بات واضحًا ، تهافت الحجج التي مازال ينادي بها من يقف وراء فرض اللغة الإنجليزية في المشرق العربي ، وفرض اللغة الفرنسية في المغرب العربي ، لغتين للتدريس الجامعي والبحث العلمي في الجامعات والمؤسسات العلمية العربية.

لقد مضى أكثر من نصف قرنٍ على بعض هذه الجامعات ، وهي تتخذ من الإنجليزية أو الفرنسية لغة للتدريس والبحث العلمي . ونجد من حقنا ، والحالة هذه ، أن نطرح هذا السؤال الرئيسي : ماذا أضافت هذه الجامعات والمؤسسات العلمية التي تتخذ من اللغات الأجنبية لغة للتدريس الجامعي والبحث العلمي ؟ أقول : ماذا أضافت من جديد إلى المعرفة العلمية ؟ ماذا أبدعت من نظريات علمية ؟ وماذا اخترعت من تقنيات ؟ بل ما هي مساهماتها الأصلية في الفكر العلمي العالمي ؟ وإن الإجابة عن هذا السؤال الكبير ، ستكون بالسلب ، اعتمادًا على ما نشاهده ونعلمه يقينًا . وإن المنطق السليم ونواميس العقل البشري والنفس الإنسانية والقوانين التي تحدد مكانة اللغة في المنقول والمعقول ، ودورها في الإبداع ، كل ذلك يقرر الإجابة السلبية . فالإنسان لا يمكن أن يبدع إلا من خلال لغته " الأم " . وإن الفكر العلمي يتأصل في جماهير الأمة من خلال اللغة القومية ، فيؤدي ذلك إلى ارتفاع مستوى المهن العلمية . ومن المعروف أن الفكر العلمي يتأصل من خلال انسيابه إلى ثقافة الجمهور ، فيتحول الفكر من خلال اللغة إلى قوة فاعلة ، وإلى واقع ينبض بالحياة .

وإن أهم ما يميز نهاية القرن العشرين التقدم المذهل والتطور المتسارع لوسائل الاتصالات الجماهيرية ، مثل الحاسوب بأجياله المختلفة التي تتعاقب سريعًا ، وكذلك الدخول في عصر "الإنترنيت " الشبكة العالمية للمعلومات .

وهذه جميعها ، بتقنياتها المتقدمة تنبئ بـ " ثورة معلوماتية " ، تكون أهم ميزات القرن الحادى والعشرين . وهذا يعني أن اللغة ستكون في مركز اهتمام الباحثين والتقنيين ، نظرًا لدورها الرئيسي في إنتاج المعرفة . وهذا ما يفسر التطور الكبير الذي طرأ على علم اللغة الحديث

والصوتيات ، وهو المجال الذي لابد للغة العربية أن تخوض فيه على غرار ما تفعله الإنجليزية والفرنسية والألمانية بل واليابانية والصينية ، إذا أردنا لأمتنا نهضة علمية وحضارية مبدعة ، تساير الأمم المتقدمة ، وتشارك مشاركة أصيلة في بناء الحضارة الحديثة .

وإذا قال قائل : إن أحكامك هذه مبنية على افتراضات ومناقشات جدلية . وقد أُسلِّم بذلك في غياب ما يقتضيه المنهج العلمي ، بإقامة دراسات علمية وميدانية لقضية اللغة العربية في جامعاتنا ومؤسساتنا العلمية في الوطن العربي . أليس من المستهجن ، وقد انقضى على أكثر هذه الجامعات حوالي نصف قرن ، ولم تقم أي منها ، بدراسة علمية وميدانية لموضوع فرض اللغة الأجنبية، إنجليزية كانت أو فرنسية ، لغة للتدريس والبحث العلمي في الجامعات والمؤسسات العلمية العربية ! أليست هذه قضية أساسية تمس هوية الأمة ، كما تمس سيادتها وتقدمها العلمي والفكري والحضاري... إن طلبتنا في جامعاتنا عرب، قد عاشوا في بيئة عربية ، وقد أُهي معظمهم الدراسة الثانوية باللغة العربية ، ثم يأتون إلى الجامعات في أقطارهم كي يبدأوا الدراسة باللغة الإنجليزية أو الفرنسية ، في محيط جميعه ناطق بالعربية. فرفاقهم عرب ، بل في الأغلب الأعم يكونون من أبناء جلدتهم في القطر الواحد . وأساتذتهم من أبناء قطرهم أو عرب على غالب الأحيان ... وهم مع ذلك يدرسون بلغة أعجمية ، لا يحسنونها، ولا يستطيعون بها حواراً ... ومع ذلك كله ، يزعم أصحاب القرار -هداهم الله- أنهم يفعلون ذلك من أجل الانفتاح والتقدم ... وليت شعري على ماذا يبنون هذا الزعم !! وقد أهملوا الاحتكام إلى المنهج العلمي في تقويم ظاهرات الانحراف هذه .

وربما كان من المفيد أن أذكر تجربة متواضعة قام بها مجمع اللغة العربية الأردني بعد أن فرغ من المرحلة الأولى في تعريب التعليم العلمي الجامعي . (*) فانتدب أستاذين اثنين من جامعة اليرموك في الأردن ، متخصصين بالتقويم ، من أجل إقامة دراسة علمية ميدانية تهدف إلى تقويم الكتب العلمية المقررة للسنة الجامعية الأولى بكلية العلوم ، التي كان المجمع قد فرغ من ترجمتها . وقد شملت

(*) انظر :" تقويم المرحلة الأولى في تعريب التعليم العلمي الجامعي التي تبناها مجمع اللغة العربية الأردني " ، الدكتور يعقوب أبو جلف والدكتور لطفي لطفية من جامعة اليرموك .

مواد الرياضيات والفيريـــاء والكيميـــاء والأحياء والجيولوجيا .

وكان من حسن الطالع أن أســاتذة الرياضيات والأحيـــاء والجيولوجيـــا في الجامعة الأردنية ، وأساتذة الرياضيات في جامعة اليرموك، قد بـــادروا في العـــام الجامعي ١٩٨٠ - ١٩٨١م إلى تدريـس طلاب السنة الجامعية الأولى وكلياتهـــا كتب الرياضيات والأحياء والجيولوجيـــا التي تمت ترجمتها من اللغة الإنكليزيـة إلى اللغة العربية . وبذلك فقد تهيـــأ أمـــام الأستاذين اللذين قاما بهـــذه الدراســة العلمية الميدانية وجود طلبة قد درســـوا باللغة العربية مواد الرياضيات والأحيـــاء والجيولوجيا في السنة الأولى بكلية العلوم في الجامعة الأردنية ، مستعملين الكتـــب المقررة ، التي تمت ترجمتها مـــن اللغـــة الإنجليزية إلى اللغة العربيـــة ، وكذلـــك وجود طلبة في جامعة اليرموك قد درسوا باللغـــة العربيـــة مـــادة الرياضيـــات ، مستعملين الكتاب المقرر الـــذي تمـــت ترجمته من اللغة الإنكليزيـــة إلى اللغـــة العربية .

وفي الوقت نفسه كان هنالك طلبـــة السنة الأولى من العام الفائت وقد درسوا في الجامعة ذاتها وبالكلية نفسها ، هـــذه المواد باللغة الإنكليزية مستعملين الكتـــب المقررة بلغتها الأصلية - الإنكليزية قبـــل أن تتم ترجمتـــها .. وقـــد تم توزيـــع استبيانات الطـــلاب علـــى المشـــمولين بالدراسة في الجامعـــة الأردنيـــة .. في النصف الثاني من شهر نيسان (إبريـــل) سنة ١٩٨١م . وهذا يعني قرب انتـــهاء العام الجامعي ، إذ تعقـــد الامتحانـــات النهائية في النصف الثاني من شهر آيـــار (مايو) . وجاءت هذه الدراسة في حوالي ثمانين صفحة ، مع الملحقات من الجداول والاستبيانات .

وربما كان من المفيد أن نورد بعـــض ما ورد في هذا "التقويم" ، لما لـــه مـــن دلالات مهمة ، وفيمـــا يلـــي بعـــض المقتطفات :

- أقرت الغالبية العظمى من المـــترجمين بأنها هي التي اختارت الكتب العلميـة الجامعية للترجمة إلى اللغة العربيـــة ... وأن ذلك الاختيار تم بموافقة مجمـــع اللغة العربية الأردني (ص٢٥).

- أقرت غالبية المـــترجمين أن عمليـــة اختيارهم للترجمة كانت قد تمت مـــن قبل مجمع اللغة العربية بالتعاون مـــع

الأقسام الأكاديميـــة الـــتي ينتمـــون لها(ص٢٥).

- أجمع المدرسون على أن جميع أعضاء هيئة التدريس لا يقومون بتدريـــس الكتب المترجمة باللغة العربيـــة ، لأن بعض هؤلاء المدرســـين يفضلـــون التدريس باللغة الإنكليزية على اللغـــة العربية . وقـــد اســـتدرك بعـــض المدرسين قائلين :" إن بعضـــهم (أي أعضاء هيئة التدريـــس) يدرســـون المادة المترجمـــة بـــاللغتين العربيـــة والإنجليزية ، ومرد ذلـــك تفـــاوت قناعات أعصاء هيئة التدريس في أهمية لغة التدريس للطالب .(ص٢٨)

- يرى بعض المدرسين أن قضية عمليـــة التعريب في الجامعات الأردنية تحتـــاج إلى قرار سياسي ،لأن تلك العملية لها أبعادها القومية والحضارية(ص٢٨)

- انتقد بعض المدرسين زملاءهم الذيـــن يدرسون باللغة الإنكليزية قائلين : إن هؤلاء المدرسين ســـلبيون ، وهـــم يدرســـون باللغـــة الإنكليزيـــة ، لاعتقادهم أن السلطة في الجامعة تحبذ التدريس باللغة الإنكليزية على اللغـــة العربية (ص٢٨).

- عندما سئل طـــلاب الســـنة الأولى الجامعيـــة في الجـــامعتين الأردنيـــة واليرموك ، إن كانوا مـــن أنصـــار عملية التعريب ، أن يكتبوا خمســـة أسباب يرون أنها ضرورية لتعريـــب الكتب العلمية الجامعية المقـــررة في الجامعات الأردنية ، وأن يرتبوا تلـــك الأسباب تنازليًا بحسب أهميتها .

وكان نسبة من أجاب على هذا الســـؤال من طلاب الجامعتين نحو ٥١% من عينـــة فئة الطلاب في هذه الدراسة . وكـــانت الأسباب المتعلقة بأهمية التعريـــب الـــتي أوردها من أجاب على هذا السؤال مرتبة تنازليًا بحسب أهميتها، على النحو التالي :

١: زيادة قدرة الطلاب علـــى الفـــهم والاستيعاب .

٢: تنمية إحساس الطـــلاب بالانتمـــاء القومي.

٣: زيادة قدرة الطلاب علـــى التفـــاعل الصفي.

٤: إغناء اللغة العربية وتنميتها .

٥: توفير الوقت والجهد للطالب وارتفاع مستوى تحصيله لمحتوى المادة الدراسية .

وقد أورد الطلاب عدداً من الأســـباب الأحرى التي يرون أنها تكمـــن خلـــف

تأييدهم لعملية تعريب التدريس في الجامعات الأردنية . وكان من أهم تلك الأسباب الموضوعات التالية مرتبة تنازليًا بحسب أهميتها ، وتالية في أهميتها للأسباب الآنفة الذكر :

١ : المساهمة في تطوير الحضارة العربية وتعزيز تراث الأمة .

٢ : قناعة الطلاب بمرونة اللغة العربية وقدرتها على استيعاب الرموز والمصطلحات العلمية المعاصرة .

٣ : قناعة الطلاب بأن قدرة طلاب السنة الأولى الجامعية في اللغة الإنكليزية متدنية لدرجة تعيقهم عن استعمال تلك اللغة أداة للتعلم .

٤ : إيمان الطلاب بالارتباط القوي بين الدين الإسلامي واللغة العربية ، مؤكدين حقيقة نزول القرآن الكريم باللغة العربية.

٥ : قناعة الطلاب بأنه لما كان التدريس في المرحلة الثانوية باللغة العربية فإنه لابد من مواصلة استعمال اللغة العربية أداة للتدريس في المرحلة الجامعية، لأسباب تتعلق باستمرارية المنهج في التدريس ، ولتعوُّد الطلاب على هذا الأسلوب .

٦ : تأكد الطلاب أن حاجتهم إلى اللغة العربية في عملهم الوظيفي في المستقبل أكثر إلحاحًا من حاجتهم إلى اللغة الإنكليزية على اعتبار أن لغة العلم والعمل والتخاطب في وظائفهم في المستقبل سوف تكون على الغالب باللغة العربية (١) . وقد خلصت هذه الدراسة إلى بعض النتائج المهمة ، منها :

" لقد كان الاتجاه العام لطلاب السنة الأولى الجامعية في الجامعات الأردنية نحو التعريب لصالح تلك العملية. ولا يستغرب الباحثان مثل هذا الاتجاه الإيجابي ، وقد يرجعانه ، على حدٍّ تعبيرهما ، إلى شعور الطلاب بأثر عملية التعريب في حضارة أمتهم العربية ولغتها القومية ، بالإضافة إلى أثرها (أي عملية التعريب) في تحسين مستوى تحصيلهم الأكاديمي . ويؤيد ذلك ، أن نحو ٧٥% من طلاب السنة الأولى الجامعية في الجامعتين: الأردنية واليرموك ، أشاروا إلى خطورة التدريس باللغة الإنكليزية على اللغة العربية ، وأهمية عملية التعريب في تأصيل العلوم والتكنولوجيا في الفكر العربي ... " إلخ (٢) .

وإن من أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة ، هو أن الطلبة الذين درسوا مادة الأحياء بكلية العلوم في

١- تقويم المرحلة الأولى في تعريب التعليم العلمي الجامعي التي تبناها مجمع اللغة العربية الأردني ص٣٠-٣١.

٢- انظر المصدر السابق ص ٣٣-٣٤

الجامعة الأردنية في العام الجامعي سنة ١٩٨٠ - ١٩٨١ باللغة العربية قد درسوا مادة أوسع وبصورة أعمق مما درسه طلاب السنة الأولى من مادة الأحياء باللغة الإنجليزية في الجامعة نفسها وبكلية العلوم ذاتها . وهبطت نسبة الرسوب من ٣٤% عند الطلبة الذين درسوا باللغة الإنكليزية إلى ٣% عند الطلبة الذين درسوا باللغة العربية .. ومما له مغزاه أيضًا في هذه الدراسة ما جاء في إحدى التوصيات التي تقول : "مواصلة السعي لاستصدار قرار سياسي لتعريب التدريس ، ومواصلة ترجمة الكتب الأجنبية إلى اللغة العربية في الجامعات الأردنية ". (١)

وعلى صعيد التجارب الفردية وفي أثناء إعدادي هذا البحث فقد دار حديث بيني وبين أحد أساتذة البيولوجيا بكلية العلوم في الجامعة الأردنية (٢) ، حول موضوع تعليم المواد العلمية الجامعية باللغة العربية ، ويسرني أن أجمل هذا الحديث فيما يلي :

بدأ الأستاذ الكريم تعليم مواد البيولوجيا العامة ، وعلم الأجنّة وعلم الخلية ، وعلم الأنسجة والتحضيرات المجهرية، باللغة الإنكليزية بكلية العلوم في الجامعة الأردنية ، عندما كان معيدًا فيها سنة ١٩٧٠-١٩٧١. وبعد عودته من بعثة الدكتوراه سنة ١٩٧٥م استمر يدرس جميع المواد المذكورة باللغة الإنكليزية ، وكانت نسبة النجاح حوالي ٨٥% .

وأردف قائلاً ، وفي سنة ١٩٨٠م ، اشتركت مع زملاء آخرين بتعليم مادة البيولوجيا العامة باللغة العربية ، واستعملنا كتاب البيولوجيا الذي تبنّى ترجمته مجمع اللغة العربية الأردني ، وكانت نسبة نجاح الطلبة ٩٦% . وبعد أن عرض الأستاذ الفاضل نتائج تجربته ، قال : وقد دفعتني هذه التجربة سنة ١٩٨٢م إلى تدريس مادة التحضيرات المجهرية الضوئية باللغة العربية ، وكتبت كتابين في هذا المجال باللغة العربية ، ونشرتهما دار " جون وايلي " العالمية للنشر . واستعمل الكتابان في عدة جامعات أردنية وعربية .

وفي حديثه عن تطور خبرته وازدياد قناعاته باستعمال اللغة العربية ، قال : " بعد ترسيخ خبرتي في تعليم أكثر من مادة بيولوجية باللغة العربية . تعمقت قناعتي باستعمال اللغة الأم في تدريس

١- المصدر السابق .

٢- جرى الحديث في مجمع اللغة العربية الأردني بتاريخ ١٢ من رمضان سنة ١٤١٧هـ الموافق ١٩٩٧/١١/٢٢م ، والأستاذ المذكور هو الأستاذ الدكتور حميد الحاج .

المواد العلمية بهذه اللغة الكريمة . فبدأت بتدريس مادة علم الأجنة باللغة العربية ، وكتبت كتابين في هذا التخصص ، دعمت طبعهما الجامعة الأردنية " . وواصل حديثه عن تعزيز خبرته في مجال تعليم البيولوجية باللغة العربية ، قائلاً : "وفي سنة ١٩٩٣م بدأت بتدريس مبادة علم الأنسجة بلغتنا الحبيبة ، وأنجزت مشروع كتاب في هذا التخصص . كما أنني وضعت كتابًا في بيولوجيا الإنسان ، دَعَمَتْ نشره جامعة القدس المفتوحة ، وهو الآن يستعمل في جميع فروعها " .

وبعد ذلك انتقل بنا الحديث عن الدراسات العليا بكلية العلوم ، ونحن نعلم جميعًا مع الأسف ، أن اللغة الإنكليزية هي لغة التدريس ، من حيث الواقع ، في جميع الكليات العلمية والمهنية في الجامعات الأردنية وفي الدراسات العليا على وجه الخصوص . وحدَّثني الأستاذ عن تجربة متواضعة قام بها في الدراسات العليا ، رأيت إثباتها ، لما لها من دلالات عملية . قال:" درّست خلال الفصل الماضي مادة دراسات عليا في "بيولوجيا التشكل " باللغة الإنكليزية. وسجَّل في تلك المادة ثلاثة عشر طالبًا . وكان على طلبة المادة تقديم ندوات أسبوعية،تتناول نشرات علمية عالمية، باللغة الإنكليزية. وأعطيت الطلبة الخيار بالنسبة إلى اللغة التي يمكن استعمالها في تقديم الندوات . وكانت المفاجأة – على حد تعبيره – أن اختار خمسة طلاب تقديم بحوثهم باللغة العربية. وكان إجماع الطلبة بأن فهمهم مواضيع الندوات التي قدمت باللغة العربية،كان أكثر بكثير من فهمهم المواضيع التي قدمت باللغة الإنكليزية" .

وقد عقب الأستاذ على هذه النتيجة، التي فاجأته – على حد تعبيره – فقال :" أستطيع القول بكل موضوعية بأنّ نسبة نجاح الطلبة في جميع المواد التي درستها باللغة العربية تراوحت بين ٩٧% و ١٠٠% وفي غالب الأحيان كانت النسبة ١٠٠% وبكل موضوعية أقول : إن الطلبة الذين درسوا مادة علم الأجنة باللغة العربية ، اختاروا دراسة مادة ثانية لاحقة في علم الأنسجة باللغة العربية . وكان الطلبة متحفزين لذلك ، وهذا ما سيتبلور في الفصل الثاني القادم إن شاء الله . وانتهى الحديث .

لا شك أن هنالك تجارب فردية كثيرة في جميع أقطار الوطن العربي ، وإنّ

هذا الوضع ليزيدنا يقينًا كي نتساءل : لماذا لا تقوم مؤسسة للبحث العلمي بدراسات علمية وميدانية للقضية اللغوية في الجامعات في الوطن العربي ، سواء أكانت تدرس هذه الجامعات باللغة العربية ، أم تدرس بلغة أعجمية ، ودلك من أجل تقويم أعمالها والتعرف إلى مشكلاتها وقضاياها ؟

وعلى الرغم من حالة التمزق والانقسام السياسي التي فرضت على أمتنا العربية، فاللغة العربية الفصيحة ، لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، هي اللغة الجامعة لجماهير الأمة العربية ، في مختلف أقطارها وفي أحلك ظروفها . وهي الوسيلة الوحيدة لشيوع المعرفة العلمية والفكر العلمي ، والخروج بها من بيئة الاحتكار بين طبقة المتخصصين إلى جماهير المثقفين وأصحاب المهن والتقنيين. فإن ذيوع المعرفة العلمية والفكرية في أوساط جماهير الأمة ، من خلال العربية الفصيحة الموحَّدة ، ركن أساسي من أركان تأصيل المعرفة ، والارتقاء بالمستوى العلمي والمذهني والثقافي . وهو السبيل الوحيد إلى نهضة علمية وفكرية مبدعة وأصيلة . فالعربية قادرة على استيعاب كل جديد والتعبير عنه تعبيرًا واضحًا ودقيقًا . وقد رأينا سابقا مدى ارتباط اللغة بالفكر ، وأن وضوح الفكرة يستدعي وضوح اللغة ودقة التعبير . وإن الثورة المعلوماتية التي بزغ فجرها مع نهاية هذا القرن الحادى والعشرين لتدعو الأمة العربية من خلال إمكاناتها المادية الهائلة أن تطوِّع التقنيات الحديثة في خدمة اللغة العربية ، حفاظًا على كيانها وهويتها على غرار ما تصنعه الأمم المتقدمة في خدمة لغاتها . فاللغة تحيا بالاستعمال . وإن سيادة اللغة العربية في أوطانها ، بأن تكون لغة التدريس الجامعي والبحث العلمي واللغة الحيَّة في جميع مرافق الدولة ومؤسساتها العلمية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية ، يعتبر ركنًا أساسيًا لاستكمال سيادة الأمة وتحررها . وهذا الطريق هو الوسيلة الوحيدة لتجاوز حالة التبعية الفكرية والتأخر العلمي والثقافي ، إلى آفاق التقدم والإبداع والمشاركة الأصيلة في بناء الحضارة العالمية الحديثة .

ونسأله تعالى السداد في الفكر والعمل ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عبد الكريم خليفة

عضو المجمع من الأردن

المصادر والمراجع

١: أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصري ، أدب الدنيا والدين ، القاهرة ، سنة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢ - ١٩٩٣م .

٢: أبو محمد على بن حزم الأندلسي ، الأحكام في أصول الأحكام ، ج ١-٨ ، القاهرة .

٣: جون ليونز ، اللغة واللغويات ، ترجمة الدكتور محمد إسحق العناني ، عمان ، سنة ١٩٩١م .

٤: حسن ظاظا ، اللسان والإنسان - مدخل إلى معرفة اللغة ، القاهرة سنة ١٩٧١.

٥: خالد ماغوط ومحمد عزت عمر ، أبحاث المؤتمر السنوي السابع لتاريخ العلوم عند العرب ، المنعقد في جامعة حلب بإشراف معهد التراث العلمي العربي (١-٢ رجب سنة ١٤١٣هـ الموافق ١٣-١٤ نيسان (إبريل) سنة ١٩٨٣ ، حلب ، سنة ١٩٨٦م.

٦: عبد السلام المسدي ، قضايا في العلم اللغوي ، تونس ، سنة ١٩٩٤م .

٧: عبد السلام المسدي ، ما وراء اللغة ، بحث في الخلفيات المصرفية ، تونس ، سنة ١٩٩٤م .

٨: كمال يوسف الحاج ، فلسفة اللغة ، بيروت .

٩: يعقوب أبو حلو ولطفي لطيفة (جامعة اليرموك) . تقويم المرحلة الأولى في تعريب التعليم العلمي الجامعي الذي يتبناه مجمع اللغة العربية الأردني ، سنة ١٩٨١ .

جاك بيرك من خلال أعماله(*)

للأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي

لقد أحسنت مصر صنعًا عندما فكرت في أن يحتضن مجمع اللغة العربية منذ نشأته (عام 1933) كوكبة من أعلام رجال الاستشراق أمثال أوكيست فيشر (August Fischer) (ألمانيا) ، وكارلو نالّينو (Carlo Nallino) (إيطاليا) ولوي ماسينيون (Luis Massignon) (فرنسا) وأ. ج. فينسينك(A.J.Wensinch) (هولندا)، الإدريسي كالأستاذ دوخوي (De Goeje)، ومن اهتم بابن جبير كالأستاذ رايت (Wright) ومن اهتم بالعُمري كالأب دوكوينيس (De Guignes) ومن كتب عن علاقات المشرق بالمغرب أمثال ماريوس كانار (M.Canard) ومن اهتم بمصنفاتنا الإسلامية كالأستاذ ليفون بيرشي (L.Bercher)الذي ترجم رسالة ابن أبي زيد القيرواني ، وبيرون Perron الذي استطاع أن يترجم مختصر الشيخ خليل المصري في فقه المالكية ، ولكأنما قيض الله لكل تراث من يهتم به من هؤلاء أو يدل على أماكن وجوده في مختلف جهات المعمورة.

لقد كانت مبادرة المجمع آنذاك بمثابة إشادة بما قدمه المستشرقون من خدمة جُلّى للغة العربية ، وما أسهموا به من جهد في سبيل إحياء تراثنا الفكري.

وإن مجرد استعراض عابر للعناوين التي ظهرت طوال العقود الماضية مما اهتم به المستشرقون في شتى الحقول ليعبر بصدق عن أنهم كانوا جديرين بذلك التكريم الذي قدمته إليهم مصر باختيارهم أعضاء في أول مؤسسة أكاديمية تظهر على أرض الكنانة ...

فعلا وجدنا في رجال الاستشراق من اهتم بأبي عبيد البكري أمثال البارون دوسلان Deslane ، ومن اهتم بالشريف الإدريسي كالأستاذ دوخوي (De Goeje)، ومن اهتم بابن جبير كالأستاذ رايت (Wright) ومن اهتم بالعُمري كالأب دوكوينيس (De Guignes) ومن كتب عن علاقات المشرق بالمغرب أمثال ماريوس كانار (M.Canard) ومن اهتم بمصنفاتنا الإسلامية كالأستاذ ليفون بيرشي (L.Bercher)الذي ترجم رسالة ابن أبي زيد القيرواني ، وبيرون Perron الذي استطاع أن يترجم مختصر الشيخ خليل المصري في فقه المالكية ، ولكأنما قيض الله لكل تراث من يهتم به من هؤلاء أو يدل على أماكن وجوده في مختلف جهات المعمورة.

أريد التأكيد على أن المبادرة التي تنبه إليها مجمع القاهرة منذ نحو من سبعين سنة كانت تنم عن نظر بعيد وحكيم في الوقت الذي كان المجمع يتهيأ فيه لأداء رسالته السامية للعمل من أجل نشر اللغة العربية وتوسيع دائرة البحث فيها وحولها.. وها نحن اليوم في حديث مقتضب عن أحد أولئك الذين سعدوا بالانتساب إلى هذا المجمع ردحًا من

---

* ألقيت هذه المحاضرة في الجلسة الرابعة مساء يوم الثلاثاء 9 من ذي القعدة سنة 1417هـ الموافق 18 من مارس (آذار) 1997.

الزمان ، وأقصد الأستاذ جاك بيرك الذي كان عوّض في هذا المجمع رفيقه وأستاذه البروفيسور لوي ماســـــينيون، والـــذي استقبله الدكتور طه حســـين كعضـــو مراسل من أعضاء المجمع ووصفه آنـــذاك "بالمستشرق"(1) .

ولد جاك بيرك في الجزائر سنة 1910. وهناك تلقى تعليمه الابتدائي والثـــانوي قبل أن يلتحق بجامعة السوربون في باريز لتلقـــي دراســـته العليـــا وللاســـتعداد للمشاركة في مباراة تؤهلـــه للالتحـــاق بالجامعة الفرنسية .

لكن المقام لم يطب لجاك بـــيرك في باريز فحزم حقيبته عام 1932 للعـــودة إلى الجزائر حيث قدمه والـــــده أوكيســـتان المتوفى سنة 1946 ، إلى أحد الحكام لتأهيله للعمل الميداني ...

وهنا وجدنا أن جاك بيرك يدشـــــن حياته العلمية، فيأخذ في الكتابة حـــــول بعض القضايا التي تمر مـــــن حواليـــه ، وهكذا ظهر له بالجزائر بحث فقهي عـــام 1936 يحمل عنوان : مساهمة في دراســـــة العقود المبرمة في الشمال الإفريقي ، وقـــد اهتم على الخصوص بعقود خاصة بتربيـــة الماشية في ناحية بني مسكين (2) .

وأرى من المفيد أن أنبه منذ البدايـــة إلى أن إنتاج جاك بيرك يمكن أن نوزعـــه إلى ثلاثة أنواع على الأقل .

الأول: ما يدخل في إطار تآليفـــــه المستقلة ابتداءً من هذا الكتيـــب الـــذي صدر له كما قلنا عام 1936 حول العقـــود الخاصة بتربية الماشية وانتهاءً بمحاولتـــــه ترجمة القرآن الكريم بعد مسيرة ســـتين سنة ، وتندرج هنا المحاضرات التي كـــان يلقيها بين الفينة والأخرى هنا أو هناك...

النوع الثاني: ما يدخـــل في إطـــار إسهاماته العلمية مع الآخرين ، ويدخـــل في هذا القسم ما كتبه بالاشـــتراك مـــع زميلٍ له أو زملاء مما يعـــرف بالتـــأليف الجماعي ، كما يدخل فيه نوع الكتـــب التي تصدر بمناسبة تكريم عالم من العلماء مما يحمل عـــادة اســـم " ميلانـــج " أو "منوعات " كما يدخل فيها المؤلفـــات التي كانت تصدر تحت إشرافه ...

النوع الثالث:ما يدخل ضمن المقدمات التي أنشأها لعدد من الكتب التي ألفـــها غيره،وهذه المقدمات وحدها تعتبر ذخيرة علمية رائعة، لأنه لم يكن يكتبها مجـــاملا ومشجعًا فقط، ولكنه كانيكتبها كإسهام منه خاص في إثراء الموضوع وإغنائه

---

(1) مجلة مجمع اللغة العربية ج 8-5 شعبان 1406 - مايه 1986 .

(2) Contribution à l'étude des contrats Nord-Africains: les pactes pastoraux Bnl Meskine-Alger 1936

وكما يمكن أن يوزع إنتاجه على هذا النحو يمكن كذلك أن يأخذ منحى آخر في توزيعه.ذلك أن نتناول إنتاجه من حيث الموضوعات التي تطرق إليها، والتي يمكن تقسيمها إلى أحد عشر قسمًا:

فهناك التآليف العامة،والتآليف المتعلقة بالإسلام ، والتآليف الخاصة بالفلسفة، والمتصلة بعلم الاجتماع ، وبالعلوم السياسية،وكذلك بالاقتصاد ، وبالقانون، وبالفنون الجميلة،والمتعلقة باللغة واللسنيات وبالأدب ، وأخيرًا بالتاريخ ...

لقد كان له حضور جيد في مختلف تلك الحقول ، لكني فضلت أن أرتب إنتاجه على السنين التي عاشها حتى يمكن أن نتتبع تطور خطواته الأكاديمية في شتى الاتجاهات لقد تراءى لي جاك بيرك يتأقلم مع سائر الموضوعات التي تتصل باختصاصه.. وكنت أتذكر دائمًا العبارة التي تقال عند ذكر المشاركة المتميزة لبعض مشايخنا فيقولون:"فلان سُيُوطي زمانه" :كان جاك بيرك فعلا"سيوطي زمانه " .

وكان مما حبب إليّ الاهتمام به علاوة على علاقتي الشخصية به أنه كان يعتز بالانتماء إلى هذا المجمع ، ويكفي أنه حَلِّى بهذا الانتماء آخر إنتاج له قبل أن يدركه أجله ... وأنه عاش مع عالم الإسلام وعالم العروبة ردحًا من الزمان ، يفكر فيما نفكر في،ه وتتردد أنفاسه فيما نردد فيه أنفاسنا نحن .

يضاف إلى كل هذا أنه خدم لغة العرب بنقل أصداء مباهجها ومفاتنها إلى عالم الغرب ، على نحو ما نقل إلينا نحن أصداء البيئة الغربية ، ومن هنا كان جسرا من الجسور المهمة التي ربطت بين الشرق والغرب .

نعم ، لقد تزامن تأليفه الأول الذي سمعنا عنه مع أيام خدمته العسكرية حيث طرأ الحدث الذي سيغير مجرى حياة جاك، لقد رمت به الأقدار إلى المغرب الأقصى ، وهناك شغف الشاب جاك بهذا المغرب فقر رأيه بعد انتهاء الخدمة العسكرية على البقاء فيه ... و لم يكن من الصعب عليه أن يجد وظيفة مناسبة في تلك الظروف التي كان الفرنسيون فيها يبسطون يدهم على سائر مرافق البلاد.

وهكذا قضى جاك بيرك بضع عشرة سنة في الوظيفة متنقلا من ناحية إلى أخرى . وهنا وجدنا أن جاك بيرك لم يضيع وقته فكتب تقريرًا من نحو عشر صفحات عن بعض الجهات من الأرض

المغربية ، وقد اهتـــم في هـــذا التقريـــر بالتاريخ الاجتماعي والاقتصادي بمنطقـــة الغرب ، وبالأعراف المتعامل بها هنـــاك ، وبالتعاون في حقل الإنتـــاج في المجـــال القروي،وقد نشر هذا التقرير في حوليات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي(1).

ولم يلبث أن أصدر دراسة تتجـــاوز مئتي صفحة حول تاريخ البادية في بـــلاد المغرب الكبير تناول فيها البِنْيات الفلاحية والزراعية والنظرية الاجتماعية، وقد طبع هذه الدراسة بمدينة طنجة (2) .

وهكذا اندمج جاك بـــيرك بحكـــم وظيفته في الأجواء الثقافية والعلميـــة في الجهات التي عمل فيها ، وتعرف علـــى عدد من الشخصيات المغربية نظرا لإلمامه باللغة العربية .

وقد استهوته مدينة فاس أكثر مـــن أي جهة أخرى فربط اتصالـــه ببعـــض الأدباء والفقهاء في العاصمة العلمية الـــتي - كما نعرف - تحتضن أقدم مســـجد جامعة عرف في التاريخ الإسلامي علـــى أنه مدرسة لرجـــال الفكـــر في شـــتى الاتجاهات والتخصصات المعروفة علـــى العهد القديم .

وقد رأيناه يلتفت إلى هذه المعلمـــة الكبرى في تاريخ المغرب بل وفي تـــاريخ الإسلام بصفة عامة حيث نجد له بحثـــا مركزا عن هذا المسجد الجامعة بعنـــوان : دور جامعة إسلامية ، نشره كذلـــك في حوليات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي عام 1938 (3) .

لقد أخذ بيرك يجد متعة في الاهتمام بالنوازل الفقهية وبما يسمعه ويقرأه عـــن العقود التي تبرم بين المتعـــاملين وفـــن بالحاسة الفقهية التي يتمتع بها المتعاقدون.

وكل هذا كـــان بحاجـــة إلى أن لا يقطع جاك صلته بفقهاء فاس ومثقفيـــها أمثال القاضي محمد بن عبد العزيز بنـــاني والعالم عبد الحفيظ الفاسي، ومحمد بـــن سعيد المكناسي، من الذين كانوا يجـــدون في الحديث إليه ما يساعدهم على فتـــح آفاقهم على فضاءات أخرى كـــانوا في حاجة إلى التعرف عليها، وقد أغراه ذلك الجو العلمي في فـــاس فـــاجترأ علـــى الاشتغال بنوازل الفقيه الشهير ســـيدي المهدي الوزاني : نوازله الكبرى المعروفـــة بـــ " المعيار الجديد " تمييزًا لها عن معيار الونشريسي ...

(1) Sur un coin de terre marocaine, in Annale d'histoire économique et sociale T.9 N45-1937.
(2) Etudes sur l'histoire rurale maghribine, Tanger, Ed. Internationale - 1938.
(3) Dans le Maroc Nouveau : le rôle d'une Université Islamique Annales d'histoire économique et sociale. Paris 1938.

د. التازي ، جامع القرويين : المسجد الجامعة لمدينة فاس ، ثلاثة مجلدات ، طبع دار الكتاب اللبناني ، بيروت 1972 .

هنا وجدنا جاك يؤلف كتابه حول "نوازل المزارعة " : دراسة وترجمة وقد طبعها بالرباط عام 1940 (1) .

وفي إثر هذا ظهر له بحث طريف عن ظاهرة البيع بالمزاد العلني بمدينة فاس كتبه بالمشاركة مع زميله بوسكي (G H Bousquet) ونشره في المجلة الاقتصادية والسياسية عدد مايه 1940(2).

ويتأكد من خلال تعقب الخطوات العلمية الأولى لبيرك أن الاهتمامات التي هيمنت عليه إنما كان يجد صداها في مدينة فاس التي يمكن القول من الآن بأن فضلها-أي فاس-على بيرك يظل شاخصا قائمًا باسطا ظلاله على حياة الرجل !

وربما أخذ ينسى أنه موظف تابع لأطر الحماية الفرنسية ، وأخذ ينسى أنه مراقب مدني ! فهو دائم الصلة بالأوراق ودائم الصلة بأصدقائه من فاس ...

إنه هذه المرة يشتغل على كتاب كان المجمع العلمي في ميلانو وقف عليه، ويتعلق الأمر بمجموع الفقه الذي روي عن الإمام الشهيد زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أول كتاب دون في الفقه الإسلامي ... هذا الكتاب قام جاك بيرك بالاشتراك مع زميله بوسكي G.H.Bousquet بترجمته وتقديمه والتعليق عليه حيث نشره بمعهد الدراسات الشرقية بالجزائر عام 1941.

وبمرور الأيام كانت معارف جاك بيرك مع المغاربة ، وخاصة مع أهل فاس، تنمو وتكبر بقدر ما تنمو فيه الرغبة في البحث عما يتصل بالمجتمع الإسلامي والقانون المغربي ... وهنا كان تأليفه : "محاولة حول المنهج القضائي المغربي" الذي طبعه بالرباط عام 1944 ، وهو يتناول الحديث عن الفقه الإسلامي والاجتهاد والعادات (3).

وفي أوائل الأربعينيات جدَّ في الساحة المغربية حدث لم يمر دون أن تصيب شظاياه زميلنا جاك بيرك ... فلقد قام ، في إطار وظيفته الرسمية،بإعداد تقرير مهم عن المشكل الزراعي بالمغرب عرف بالتقرير الأصفر، كان يتضمن رأيه في السياسة الفلاحية الجديدة لفرنسا بالمغرب. وقد صادف هذا التقرير تقديم عريضة الاستقلال من لدن الوطنيين المغاربة عام 1944 الأمر الذي لم ترضه فرنسا بطبيعة الحال ... وبما أن جاك بيرك

(1) Les Nawazil il muzaraa du Miyar Al Wazzani, étude et traduction, Rabat E. Moncho, 1940.
(2) ZAYD BNU ALI, Recueil de la loi musulmano Trad. Avec introd. et notes. La maison des livers, Facul. des Lettres d'Alger 1941.
(3) Essai sur la méthode juridique maghrébine - Rabat : M. Leforestier 1944.

كان ممن لا يسير دائما في ركب المعمرين فقد اقتُرح إبعاده عن المدينة وتعيينـــه في منطقة نائية عن الحاضرة !!

فهل حدَّ من نشاطه مقامه بعيدًا عن المدينة ؟

لقد وجد في تلك الأمكنة النائية مـا يحمله على المضي في طريـــق البحـــث والتنقيب بل ومواصلة السير نحو تغيـــير الاتجاه كلية ، أي إنه أمسى يعمل علـــى نيل لقب أكاديمي يغنيه عن تلك الوظيفـة التي كان يشعر معها بأنه في غير مكانه ، وأنه غير ميسَّر للخدمات الـــتي كـــانت تُنتظر منه ، فماذا إذن عن جديد بـــيرك فيما بعد 1944 ؟

لقد صدر له بحث بعنوان : وثـــائق قديمة حول العـــرف العقـــاري لإقليـــم سكساوة، نشره في المجلة الإفريقية عـــام 1948 وهو يتضمـــن معلومـــات تاريخية وحقائق عن السكان في الأطلس الكبـــير من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر (1).

وقد قام في السنة الموالية بعمل فقهي جليل ، ذلك ترجمة وتحقيق تأليف أبي علي حسن بن رحال التدلاوي المغـــداني تلميذ الشيخ اليوسي ، هذا التأليف يحمل اسم (تضمين الصناع) وهـــو يحـــدد المسؤولية المدنية الملقـــاة علـــى كـــاهل الصانع(2).

وفي السنة الموالية عام 1950 ظهر لـــه بحث يحمل عنوان" وثائق صغيرة حـــول التاريخ الاجتماعي للمغرب" عن أرشيف قاض من البادية ، نشره في المجلة الإفريقية عام 1950 وهو يتضمن معلومات تاريخيـــة اجتماعية قضائية (3).

وقد نشر في نفس السنة 1950 معجمًا توثيقيًا عربيا بربريا (شلحيا) يعود للقـــرن الثامن عشر ويتضمن بدوره معلومـــات تاريخية واحتماعية وقضائية وعدليـــة إلى جانب المعلومات الإنثولوجية(4).

وقد قرأنا له " حقيقة وشعر " حول سكساوة، نشره كذلك في المجلة الإفريقية عام 1953 والبحث بدوره يحتوي علـــى معلومات أنثروبولوجية وثقافية وأخلاقيـة تتصل بسكساوة (5).

وفي نفس السنة 1953 صدر له بحـــث هام يعالج مشـــاكل أســـاسية حول علم

(1) Documents anciens sur la coutume immobiliére de Seksawa in Revue africaine 1948.
(2) AL-MA'DANI, Abu Ali Alger 1949 - Dir Henri Perès.
حول المعدان انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ح 3 ص 7 الطبعة الثانية – تقديم د. التازي .
(3) Revue Africaine N 422-423-1950.
(4) Un glossaire notarial arabo chleh dû deren XVIIIe siècle, Revue Africaine No 424-425-1950.
(5) Vérité et poésie sur les seksawa - Revue Africaine No 434-345-1953.

الاجتماع الشرعي في إفريقيا الشمالية ، وقد نشره في مجلة الدراسات الإسلامية عام 1953 وهو يتضمن معلومات عن النظام القضائي والاجتماعي(1).

وفي هذه الأثناء صدر له بحث جيد عن سكساوة بعنوان العصور القديمة لسكساوة، زوّده بالصور والرسوم ونشره في مجلة (هيسبريس) المعروفة ببحوثها المتخصصة (2).

وفي سنة 1954 تناول مشاكل الديموغرافية في بلاد البربر، فقام بدراسة حول قبائل إقليم إيمينتانوت حيث كان يشغل منصب المراقب المدني شاركه في هذا البحث شوفالي لومور Chevalier Lemore ، ونشره في المجلة الاقتصادية والاجتماعية المغربية ، وهنا سنعرف عن السكان وعن الأسر ومشاكل الهجرة بمنطقة سكساوة (3).

وفي سنة 1955 كتب جاك بيرك بحثًا عن الأدب المغربي والمشرقي في أثناء القرن السابع عشر،نشره في مجلة(أرابيكا) وهي مجلة متخصصة في الدراسات العربية، والبحث هذا يتناول حديثًا عن الرحلة والتصوف الإسلامي والأدب المغربي والثقافة العربية (4).

وقد كلل هذه البحوث المتلاحقة بالعمل الجليل الذي قام به 1955 وهو يشغل تلك الوظيفة في الأماكن النائية بالأطروحة المهمة التي نال بها درجة دكتوراه في السوربون والتي تحمل عنوان: "البِنْيات الاجتماعية للأطلس الكبير " وهي التي خط بها طريقه نحو العمل الأكاديمي الجاد (5).

لقد انتخب جاك بيرك من الآن أستاذًا في كوليج دوفرانس مكان الأستاذ لوي ماسينيون الذي أحيل على التقاعد .

وهنا احتفظ جاك بيرك بهذا الكرسي الذي تربعه مستشرقون أفذاذ من أمثال ويليام مارسي، وليفي برفنصال، وريجيس بلاشير .

و لم يشغله هذا الكرسي عن نشاطه الدائم، فبالرغم من أنه ظل في الكوليج على صلة بطلبته يؤطرهم ويوجههم بأسلوبه الذي عرفناه عنه فقد ظل إلى جانب ذلك يكتب ويؤلف في شتى الموضوعات ، لم يكن ليعرف الراحة

(1) Problèmes initiaux de la sociologie juridique en Afrique du Nord in studia islamica T.1-1953.
(2) Heperis 1953 P. 359-417.
(3) Le problème démographique en pays berbère, étude sur les tribus de la région d'Imintanout, in Bulletin économique et social du Maroc No 60-1954.
(4) La littérature Marocaime et l'orient au XVLL in Arabica T.2, 1955.
(5) Structures sociales du Haut-Atlas; suivi de retour au Seksawa, Positif de Paul Pascon 2e éd. Paris, Presses universitaires de France 1915.

إطلاقًا وقد عرفنا له بحثًا بعنوان "استثمار بالمغرب" نشره في الحوليات الاقتصادية والاجتماعية والحضارية سنة 1955(1).

ومن آثاره سنة 1956 بحث بعنوان (مائة وخمس وعشرون سنة من السوسيولوجيا المغربية) نشره في الحوليات كذلك (2).

وكان من عيون تدخلاته هذا العام 1956 الدرس الافتتاحي الذي ألقاه يوم السبت أول دجنبر 1956 في كوليج فرنسا: (كرسي التاريخ الاجتماعي للإسلام المعاصر) (3).

وقد وقع اختيار بيرك ، كموضوع للإسهام في كتاب (منوعات Mélanges) الذي صدر برسم أستاذه لوي ماسينون ، وقع اختياره على عنوان : وثيقة من الأطلس الكبير ، نشرها المعهد الفرنسي بدمشق عام 1956–1957 (4).

وصدر له كتاب بهذا التاريخ حول مصر، ويتعلق الأمر بالتاريخ الاجتماعي لقرية مصرية في القرن العشرين (5).

ثم كان كتابه الذي ترك الصدى عام 1958 حول شخصية علمية مغربية عاصرت السلطان المولى إسماعيل جد الأسرة العلوية الحاكمة ، ويتعلق الأمر بالشيخ اليوسي : وقد أهداه بخطه للأستاذ علال الفاسي معيدًا إلى ذاكرته ما كان جرى بينهما من حديث عن أوكيستان المغربي (6)!!

وقد نشرت له الكراسات التونسية (بمجلة العلوم) 1958 دراسة بعنوان حواضر ومدن صفيح(7)

ثم بعد هذا قدم لكتاب ألفه توما توفيق بعنوان : قرية جبلية من لبنان ، وقد نشر في لاهاي عام 1958 ، ويجب أن نؤكد هنا مرة أخرى على أن تقديم تأليف مّا من لدن بيرك لا يعني مجرد زهور تقدم إلى المؤلف بدافع من مجاملات ومكايسات، ولكن التقديم عند بيرك يعني إسهامًا فعليًا من إثراء الكتاب وإغنائه(8)

(1) Apropos d'un livre récent: une exploitation de la sainteté au Maghreb, in annales économique, sociétés, civilisation No3 1955.
(2) Cent vingt cinq ans de sociologie magrCent vingt cinq ans de sociologie magrébine, in annales No3, 1956.
(3) Impr. Daupetey Gouverneur, 1957.
(4) Un document hagrologique du Haut-Atlas in mélanges Luis Massignon, Damas: Institut francais de Damas 1956-57.
(5) Histoire sociale d'un village egyptien au Xxème siècle.
موسسة علال الفاسي ، شارع الإمام مالك – الرباط .
(6) Al Yousi: problèmes de la culture marocaine Xvllème siècle. Haye Mouton 1958.
(7) Médinas, villeneuves et bidonvilles, les cahiers de Tunisie. Tevue des sciences humaines No2122-1958.
(8) Un village de montagne au Liban Hadeth el-jable, La Haye mouton 1958.

وفي مجال اللغة العربية نشر له معهد الدراسات العليا بباريز عام 1960 مقدمة حول الأضداد في اللغة العربية(1)

وقد طلبت إليه جماعة على رأسها روبير ديكلواتر R.Descloitres أن يقوم بتقديم تأليف لها عن جزائر مدن الصفيح فاستجاب لطلبها بإنشاء مقدمة جيدة ظهرت عام 1961(2)

وفي نفس العام ظهرت له دراسة بعنوان "عبارة ودلالة في الحياة العربية" نشرتها له المجلة الإفريقية للأنثروبولوجيا : الإنسان L'Homme (3) .

كما ظهر له عام 1962 بحث بعنوان: (في النجف وكربلاء بالأمس) نشر في مجلة أرابيكا المعروفة ، كما نعرف ، بتخصصها في الدراسات العربية(4).

وفي نفس السنة 1962 ظهر له بحث في مجلة (العالم الثالث) عن العلوم الاجتماعية وإزالة الاستعمار (5).

وقد أسهم عام 1962 في (منوعات) ليفي بروفنصال حول المصلحين الدينيين بالمغرب ...

وقد ظهر له عام 1963 بحث في النظام الزراعي ببلاد المغرب، ضمن أعمال أخرى صدرت عن الإصلاح الزراعي بالمغرب، تناول فيه بيرك الاستثمار الفلاحي والإنتاج والتخطيط والحق العقاري ، وقد شارك في هذه الأعمال جان دريش ،والمهدي بنبركة، وروني جومون وآخرون . وقد ترجم هذا البحث إلى اللغة الإنجليزية (6).

وقد ظهر له بحث عن (التاريخ والرقص) نشره في مجلة Esprit شهر يوليه غشت عام 1963.

وفي إطار (متنوعات) تكريم العالم الفرنسي المعروف شارل أندري جوليان قدم ملاحظات تتصل بالفنون الجميلة حول الزربية المغربية نشرت في مجلة دراسات مغربية عام 1964.(7).

وقد استجاب لرغبة صديقيْه : راول ولورا مكاريوس، فكتب مقدمة على تأليف لهما يحمل عنوان مختارات (Anthologie) في الأدب العربي المعاصر ضمناه مختارات عن أدباء مصر ولبنان والعراق وسوريا والسودان وتونس والجزائر والمغرب ... كانت المقدمة

(1) L'homonymie des contraires on arabe. Ed. De l'Ecole pratique des hautes études, Paris.
(2) Descloitres, Robert, J. Claude Reverdy, Claudin Descloitres - Paris - Mouton 1961.
(3) Expression et signification dans la vie arabe in l'Homme, N1 - 1961.
(4) Hier à Nagaf et Karbala in Arabica : revue d'études arabes - T.9,1962.
(5) Sciences Sociales et décolonisation in Tiers-Monde T.3,1962.
(6) Le système agraire au maghreb, in Reform agraire au Maghreb Maspero 1963.
(7) Remarques sur le Tapis Magrébin, in Etudes magrébine, Paris 1964.

مركزة رائعة كونت وحدها بحثًا جيـــدًا حول الموضوع من سائر جهاته (1).

وقد ظهر له في حقل الحقوق عـــام 1964 تأليف يمكن أن نترجمه بانفصال عن العالم ، وهو يهتم بتفكـــك الاســـتعمار وظهور حركات التحرير الإسلامية مـــن سنة 1965 وهو التاريخ الذي استرجع فيه المغرب استقلاله إلى عام 1963(2).

وقد أسهم عام 1965 في منوعـــات عميد الأدب العربي الدكتور طه حســين ... وظهرت له في نفس الســنة قصيـــدة حول الجزائر نشـــرتها مجلـــة ESPRIT في عددها شهر ديسمبر 1965.

وضمن التأليف الجماعي (معايـــير وقيم في الإســـلام المعـــاصر Normes et valeurs) قرأنا له عـــام 1966 ملاحظـــات حول الفن الإسلامي... (3)

كما قرأنا له عـــن حالـــة تســـوية بين الحقوق الجامعية والحقائق المحليـــة ، وعن دعم الإسلام ... وعـــن الإســـلام بناء على بعـــض الشـــهادات العربيـــة المعاصرة ...

وأخيرًا في موضوع الفلسفة عن قضية دريفيس وقضايا عربية مشابهة ، مشيرًا لما حدث في مصر بالنسبة لطه حسين وعلى عبد الرازق ...

وقد أسهم جاك بيرك عـــام 1967 في (منوعات) محمد الفاسي الـــتي حـــرص الفاسي على صدورها قبل أن يتوفاه الله! فكتب بيرك موضوعا يحمل عنـــوان Un arabisant chez les Diola (4).

وكتب في نفس العام 1967 كتابًـــا بعنوان مصر بين الإمبريالية والثورة (5).

وفي هذه السنة قدم لكتـــاب ألفـــه بورجيس هيرني ، وكان الكتاب يحمـــل عنوان (الجزائر في محنة الحكـــم 1962 – 1967) (6)

كما قدم في نفس العـــام لكتـــاب أندري دمير سمان بعنوان الأسرة التونسية والعصور الجديدة (7)

وقد صدر له بحث في مجلة الثقافـــة الإنسانية1967 بعنوان:من سفح المقطم(8).

وصدرت له هذا العام 1967 أبحـــاث ضمن تأليف جماعي عن الازدواجية في

(1) L'ambivalence dans la culture arabe avec j.p. Charmay et autres.
(2) L'Homme et la société, Revue internationale de recherches et de synthéses sociologiques N11 1969.
(٣) نشر هذا البحث في : Esprit : revue internationalN2, 1969 .
(4) Grunebaum, Gustave Edmund Von : L'identité culturelle de l'Islam 1969.
(5) FAO T.VIII 1969.
(6) Les Hilaliens repentis au l'Algérie rurale au Xve siècle d'après un manuscrit jurisprudentiel, Annales N5, 1970.
(7) Couland, Jacques : Le Mouvement syndical au Liban - Editions sociales - PARIS.
(٨) يحتوي البحث على بضع ورقات .

الثقافة العربية . كـــان منـــها (هلينيـــة وكيمياؤون عرب) وحول ابـــن رشـــد والالتباس في الفقه والتعابير الغامضـــة في العربية (1).

وصدر له عام 1969 بحـــث بعنـــوان "حياة اجتماعية وتغيرُّات العالم" ، نشـــره في مجلة الإنسان والمجتمع (2).

وفي هذه السنة 1969 نشر بحثًا بعنوان الإنسان والتطور (3).

وقد استجاب في هذه السنة للأستاذ كرونيبوم Grunebaum الذي طلب إليـه أن يكتب مقدمة لكتابه (الهويـــة الثقافيـــة للإسلام) هذا الكتاب الذي ترجمه مـــن الإنجليزية روجي ســـتيفرا R.Stuveras(4).

وقد أعيد عام 1989 طبع هـــذا الكتـــاب نظرًا لأهميته .

وفي (المنوعـــات) المؤلفـــة برســـم الإسلام عام ١٩٦٩ كتب عن "العواصم الإسلامية في المتوسط من وجهة نظر ابن خلدون والمَقَّرَيْن (5).

وقد ظهر له عام 1970 بحث حـــول بني هلال في القرن الخامس عشر الميلادي بحسب مخطوط يتعلق بالقضاء ونشـــره في الحوليات وهو يتحدث عـــن التـــاريخ الاجتماعي والاقتصادي (6)

وقد استجاب لرغبة جاك كـــولان J.Couland الذي ألف كتابًا بعنوان"الحركة النقابية في لبنان من عام 1919 إلى عـــام 1946 "فكتب له مقدمة ظهرت عـــلم 1970 وقد عُرب هذا الكتاب عام 1974 من لدن نبيـــل هـــادي ونشـــرته دار الفـــارابي ببيروت(7).

وفي عام 1970 كتب حول موضـــوع يتعلق بالفقه الإسلامي وبالذات حـــول نوازل مازونة، كان مفيـــدًا للمـــهتمين بالأنثروبولوجيا الاجتماعيـــة والثقافيـــة والنظام القضائي، وقد نشـــره في مجلـــة الدراسات الإسلامية (Studia Islamica)(8)

وفي نفس السنة 1970 كان له حديث بعنوان (عودة من الصورة) نشره في المجلة

---

(1) L'ambivalence dans la culture arabe avec J.P Charmay et autres.

(2) L'Homme et la société , Revue internationale de recherches et de synthèses sociologiques N11 1969.

(٣) نشر هذا البحث في : Esprit : revue internationale N2, 1969 ,

(4) Grunebaum, Gustabe Edmund, Von : l'identité culturelle de Islam 1969 .

(5) FAO T.V III 1969 .

(6) Les Hilaliens repentis au l'Algérie rurale au Xve siècle d'aprècle d'après un manuscrit jurisprudentiel, Annales N5, 1970 .

(7) Couland, Jacques : Le mouvement syndical au Liban - Editions sociales - PARIAS.

(8) En Isant les Nazazil Mazauna, Studia Islamica T.32 - 1970 .

الدولية Diogéne (1) وفي هذه السنة أيضًا 1970 صدر له كتاب:الشرق الثاني...(2).

ثم كتب عام 1972 مقالة بعنوان عودة إلى مازونة نشره في الحوليات (3)

ولم يتردد هذا العام في أن يكتب مقدمة على الكتاب الذي ألفه كوديو أتيليو بعنوان (علال الفاسي أو تاريخ حزب الاستقلال) ونحن نعرف سلفًا عن علاقته بالأستاذ علال الفاسي، فلقد قام بيرك بزيارته أثناء وجوده في منفاه بالكابون ، عندما شارك بيرك في مؤتمر في برازافيل عام 1944 على ما يذكره بيرك في هذا المقدمة التي لم ينس فيها أن يصف الأيام التي نفي فيها الملك محمد الخامس من قبل الاستعمار الفرنسي بالأيام المحزنة... (4)

وفي نفس العام 1972 كتب عن المنطق الانتخابي، وقد نشر البحث في مجلة (ديوجين) العالمية (5) .

وفي نفس السنة 1972 كتب عن الجديد حول بني هلال، ونشر ذلك في مجلة الدراسات الإسلامية، وكان المقال مما يهم الدين يشتغلون حول القبائل العربية وما قال عنها ابن حزم وابن خلدون وغيرهما (6) .

وكتب أيضًا بهذا التاريخ 1972 عن علماء تونس في القديم والحديث ، ونشرت مقالة الكراسات التونسية (7) .

وفي عام 1973 ظهر له كتاب (العرب) الذي طبع عدة مرات كان آخرها عام 1979 (8) . وفي نفس العام كتب عن قادس بالقيروان بحسب مخطوطة تونسية، ونشر بحثه في مجلة الغرب الإسلامي والمتوسط (9) .

وبرسم " منوعات " لوتورنو عام 1973 كتب عن قضاة من القيروان بحسب مخطوطة تونسية .

وقد أسهم جاك بيرك في الموضوعات المتعلقة بالقضية الفلسطينية على انفراد،وبالمشاركة مع الآخرين ، وهكذا قرأنا له مساهمات في التأليف الذي صدر عام 1973 تحت عنوان "الفلسطينيون والأزمة الإسرائيلية العربية(10) .

وفي كتابه (اللغة العربية حاضرا) الذي ظهر عام 1974 تناول عددا من

(1) Le retour de l'image, diogène, N 70 - (1970) .

L'orient secound, Editions Galimard, Paris 1970 .

(٣) ظهر الكتاب في باريس .

Annales N1 (1972).

(5) Logiques plurales du progrès, N79 - 1972 .

(6) Du nouveau sur les Bani Hilal, Studia islamica T.36, 1972 .

(٧) مجلة العلوم الإنسانية مجلد ٢٠ رقم 77 - 78 - 1972 .

(٨) نشر سندباد في باريس وهو من ١٤٤ صفحة ثم نشر عام ١٩٧٩ من ١٨٨ صفحة .

(9) Çadis de Kairouan, l'Occident Musilmum N13/14-1973 .

(10) Les Palestiniens et la crise isarelo - arabe avec maxime Rodinsin et autres éd. Sociales 1973 .

القضايا التي تهم العالم العربي والإسلامي(1) .

وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الإنجليزية عام 1978 من لدن روبير سيطوري من جامعة أوستن - طيكساس بريس .

كما ظهر له في نفس العام 1974 تأليف (المغرب تاريخ ومجتمعات) تناول فيه عددا من القضايا التي تتصل ببلاد المغرب بمعناه الواسع ، بما فيها الإصلاح والوقف والتاريخ الاجتماعي(2) . الخ

وبمناسبة الذكرى الأربعين لوفاة صديقه القديم الأستاذ الرئيس علال الفاسي ١٩٧٤ أسهم بكلمة عبر فيها عن عواطفه نحو الزعيم الذي قال عنه : "لقد حُرم الإسلام من مفكر حريص على التوفيق بين ما هو جديد وما هو أصيل ... " (3) .

وفي مجال العلوم السياسية كتب عن "الجزائر والواقع المعاش " ونشر ذلك في المجلة الدولية : ديوجين (4) ،

كما قدم لكتاب صدر عام 1974 لمنجى صيادي بعنوان : الجمعية الوطنية الأولى العصرية في تونس : الجمعية الخلدونية 1896 - 1958 .

وبالاشتراك مع الزميل الدكتور مصطفى الشكعة صدر له عام 1974 أيضًا كتاب بعنوان (الجمالية منذ قرن) : محاولة في التاريخ الاجتماعي لحي بالقاهرة (5) .

ولا نغفل له دراسة نشرها في الجزائر عام 1974 في مجلة (مغرب Maghreb) عن استفتاء الأمير عبد القادر لعلماء فاس حول الجهاد ... (6) .

وصدر له عام 1975 مقال بعنوان مفاهيم جديدة للتقدم نشره في ديوجين(7)

وقدم عام 1976 لتأليف صدر عن بوتي أوديت بعنوان الأغواط (محاولة في التاريخ الاجتماعي) (8) .

وظهر له عام 1976 كذلك بحث بعنوان:"المدُّ الوطني والديمقراطية القاعدية في الأمة العربية"1915 - 1925 نشره ضمن

---

(1) Langages arabes du présent, PARIS Galimard - 1974 .
(2) Maghreb ; histoire et sociétés, ALGER, 1974 .
(٣) كتاب ذكري الأربعين : مؤسسة علال الفاسي ...
(4) L'Algérie et le Vérie et le Vécu, Diogène N86 - 1974 .
(5) La première association nationale moderne en Tunisie, Tunis 1974 .
(6) La Gamaliya depuis un siècle ... avec Mustafa al - Shakaa Geuthner - PARIS 74 .
(٧) مصطفى القصري : الكشاف البيليوغرافي لمدينة فاس ١٩٩٢ .
(8) Laghonat: essaie l'histoire sociale, par Odette petit, Paris 76 .

تأليف جماعي بعنوان : حول الخطّـــابي وجمهورية الريف (1) . وقد عرب هـــذا التـــأليف ونشـــر في دار ابـــن رشـــد بيروت1980.

وقد صدر له عام 1976 بالاشتراك مع دومينيك شـــوفاليي وآخريـــن تـــأليف (العرب من خلال وثائقهم) وهو تأليف في غاية الأهمية (2) .

وصدر له كتاب ، بعنوان (العـــرب من الأمس إلى الغد) ، طبع لثالث مـــرة عام 1976 وقدم له في آخر طبعاته زميلـــه السير هاميلتون جيب . وقد ترجم هـــذا الكتـــاب إلى الإنجليزيـــة والإيطاليـــة والإسبانية، كما ترجم إلى العربية مـــن لدن بعض الأســـاتذة في دار الكتـــاب اللبناني بيروت : الدكتور علـــي ســـعد الذي لم يلبث أن أعاد النظر في الترجمـــة وطبعها من جديد في الثمانينيـــات ، ثم ترجمها العالم المصري خيري حماد بعنـوان (العرب تاريخ ومستقبل) وطبعتها الهيـئة المصرية العامة للتأليف والنشر عام 1971 .

وفي مقدمته لهذا الكتاب أثنى علـــى المغاربة الذين يتميزون عن غيرهم بما سماه "العبقرية الخشنة " !

وقد ظهر عام 1977 تأليف للدكتـــور طه حسين بعنوان : (فيما وراء النيـــل) ، عبارة عن قطع مختارة ترجمها من العربيـــة إلى الفرنسية كل من جاك بيرك وميشـــل حايك، وأنور لوكا ، وأندري ميكيل(3)

وفي نفس العام كتب في "منوعـلت" طه حسين حول : الإسلام من منظـــور طه حسين (4)

وهذا كتاب ظهر عـــام 1978 مـــن تأليف جاك بيرك بعنوان (مـــن داخـــل المغرب العربي) من القرن الخامس عشـــر وإلى القرن التاسع عشـــر ، ويتضمـــن تعليقات بيليوغرافية وبحوثًا تاريخية كمـــا يتضمن حديثًا عن الإسلام (5) وعلمـــاء الإسلام .

وفي نفس العام 1978 ظهر كتاب لـــه في جزءين اثنين بعنوان " من الفـــوات إلى الأطلس " عرفنا من خلاله الكثير مـــن المعلومات المهمة ، ومن بعض فصولـــه عرفنا أن كثيرًا من أطراف المغـــرب – مزوضة مثلا – ما تزال تعيش إلى اليـــوم نفس التقاليد والأعراف الـــتي عرفتـــها محاكم الميـــاه في بلنســـية في العصـــور الوسطى، مما تحدثت عنه كتب تاريخ

(1) La Poussée Nationale et démocratie a la base, in Abd el Krim - PARIS, 1976 ,
(2) Les Arabes par leurs archives avec Dominique Chevallier et autres. Edi. S.N.R.S. 1976 .
(3) Hussein Taha : Au-Dela du Nil, PARIS, Gallimard, 1977 .
(4) B.E.U. Damas 1977 T. XXIX .
(5) L'intérieur du Maghreb : Xve - XIXe Siècle, PARIS Gallimard, 1978 .

الغرب الإسلامي . وأن الضبط والإتقـلن في توزيع ماء السقي بالمغرب، وخاصـــة بضواحي المدن، بلغ في الدقة والتحـــري وكأنما لكل ورقةٍ ورقة نصيبها من المـــاء الذي ينوبها، الأمر الذي حـــيَّر الذيـــن عاشوا أو سمعوا عن المؤسســـات الـــتي تشرف على توزيع الماء (1) .

وفي عـــام 1978 أيضًـــا وجدنـــاه يستجيب لرغبة صديقه بـــيرج مـــارك فيكتب مقدمة لكتاب : التاريخ وحضارة العرب والعالم الإسلامي (2) .

وقد نشرت له المجلة الثقافية الشهرية (المعرفة) في عددها رقـــم 191-192 لعـــام 1978 كلمة بعنـــوان (رجـــل في ســـبيل غرناطة مرتقبة) .

وعندمـــا قـــام عـــام 1979 جـــان كروســـجان (Jean Grosjean) بترجمـــة القرآن تطوع جاك بيرك بكتابة دراســـة كمقدمة للموضوع (3) .

ومن تآليفه التي لقيت رواجًا كبـــيرًا كتابه "المغرب بين حربين" الذي وجدنـــا له عام 1979 طبعة ثالثة مع زيادات وهـــو كتاب يهم المشتغلين بحركات الاستعمار والأنثروبولوجيا الاجتماعيـــة والثقافيـــة والبحث التاريخي (4) ، ونعتقد أن هـــذا الكتاب هو الذي أشار إليه بيرك وهـــو يكتب مقدمة تأليفه الســـالف الذكـــر: العرب من الأمس إلى اليوم، والذي نعت فيه العبقرية المغربية بأنها خشـــنة (Rude génie) !

وبعد هذا وفي نفس العام 1979 يـــأتي اهتمامه بالمعلقات العشـــر فيقـــدم لهـــا ويترجمها من اللغة العربية ، وأعتقـــد أن إقدامه على ترجمة المعلقـــات العشـــر ، بالإضافة إلى ما قام به من دراسة وتقـــديم لترجمة جان كروسجان للقـــرآن، هـــو الذي سيكون وراء تفكيره في أن يقـــوم بترجمة القرآن على ما سنرى (5) ...

وقـــد ختـــم الســـبعينات (1979) بالتقديم لكتاب روني كايي حول الرحلة إلى تنبكتو (6) .

وفيما يتعلق بـــالتراث الإســـلامي وجدنا جاك بيرك يقوم عام 1980 بـــإعداد مقدمة مهمة لكتاب مقتبس من تـــاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري يحمـــل اسم(محمد خاتم الأنبيـــاء)الذي ترجمـــه

(1) De l'Euphrate a l'Atlas PARIS Sindbad 1978.
(2) Berge, MARC: Histoire et civilisation musulman et du Monde musulman PARIS Ed. Lides 1978.
(3) Le coran Trad. Pazr jean Grasjean, décoré par Zenderoudi - PARIS Club du Livre 1979.
(4) Le maghreb entre deux guerres, Paris, Seuil, 1979.
(5) Les dix grandes odes arabes de l'anté - Islam, Paris Sindbad, 1979.
(6) Caillie, Tené : Voyage a Tambauctou, Paris F. MASPERRO , 1979 .

هيرمان زطانـــبرك (ZOTENBERG) (٣) ، والذي طبع مرة أخرى عام 1983 .

وفي إطار تكريم فيرنان بروديل تسـاءل عن وجود المارّانوس المسلمين بفاس (2) .

وقد ظهر له في الحقل الأدبي عـــام 1980 كذلك محادثات (عربيات) مع ميريز عكار (3) .

وفي الميدان الاجتماعي قدم عام 1980 لكتاب فاروق بن عطية وهو بعنـــوان : الجزائر ركام أو حـــاضرة : الاندمـــاج الحضري بالجزائر (4) .

وفي نفس السنة 1980 كتـــب عـــن الإسلام في مواجهة التحدي (5) .

وفي إطار التآليف العامة ظـــهر في باريز عام 1981 تأليف مهم تحت إشـــرافه يحمل عنوان بيليوغرافيا للثقافة العربيـــة المعاصرة (6) .

وقد قدم عام 1981 لكتاب ألفته ندى توميـــش بعنـــــوان تـــاريخ الأدب الرومانيسكي في مصر العصرية (7) .

وفي نفس العام 1981 قدم كذلـــك لكتاب ألفه بالإنجليزية غالي شكري بعنوان "مصر : صورة لرئيـــس - 1981 1971:السادات في طريقه إلى القدس"(8).

وقد ظهر بحث بالإنجليزيـــة حـــول السياسية والوطنية بالمغرب والصحراء من عام 1919 إلى 1935 ، بمجلة التاريخ العـــام بإفريقيا : البحث لجاك بيرك وترجمه 1985 Heinemann 1981 - (9) وهو يحتوي علـــى تاريخ الوطنية المغربية والصراع الدولي إلخ.

وفي سنة 1981 كذلـــك خصـــص دراسته الختامية في كوليج فرنسا لموضوع بعنوان أندلسيات (10) .

وفي سنة ١٩٨٢ عندما ألفت بـــوتي أوديت P.Odette عن " حضور الإسلام في اللسان العربي" كتب لها مقدمة أضفـــت على الكتاب حُلة جديدة (11)

وقد حرص جاك بـــيرك علـــى أن يواكب أصداء الثورة الإسلامية في إيـــران وهو المـــهتم بالإســـلاميات ، ولذلـــك وجدناه يقوم عـــام 1982 بعـــد ثـــلاث سنوات من الثورة الإيرانية بتقديم تـــأليف كتبه على شريعتي بعنوان (تاريخ ومصير) وهو عبارة عن قطع مختارة ومترجمة عن

(1) AL - TABARI, Mohammad : Sceau des prophètes, PARIS, 1980 .
(2) Des " MARRANOS" musulmans a Fès.
(3) ARAVBIES : entretiens avec mirBIES : entretiens avec mirèse AKAR,PARIS,STOK 1980.
(4) Agrégat ou cité : l'inté : l'intégration citadine a Alger, Alger 1980 .
(5) L'Islam au défi, PARIS Galimard 1980 .
(6) Bibliogrpahie de la culture arae contemporaine , Paris, Sindbad 1981 .
(7) Tomiche Nada:Histoire de la littérature romanistique de l'Egypte, Paris Maisoneuve et Larose 1981.
(8) Portait of a president 1971 0 1981 , London Zed press 1981 .
(9) Politics and nationalism in the Maghrb ..., General history of Africa 1981 - 1985. UNESCO.
(10) Andalousies, PARIS, Sindbad 1981 .
(11) Présence de l'Islm dans la langue arabe, Paris Libr. d'Amenque et d'Orient 1982 .

الفارسية من لـــدن حميـــد ويفـــاري دهيلانكور (N.Yavari d'Hellencourt)(1)

وقد أصدر جوزيـــف لوســـيوني – وهو من الذين كانوا يهتمون بالأوقـــاف الإسلامية على عهد الحماية الفرنســـية بالمغرب–، أصدر بحثًا عن المؤسســـات الحبسية بالمغرب منذ بدايتها إلى عام 1956 وهو التاريخ الذي استرجع فيه المغـــرب استقلاله ، هذا البحث لم يكن غير جـلك بيرك صالحًا لكتابة مقدمة عنه في بدايـــة الثمانينيات بما عرف فيه من تضلع مـــن الموضوع (2).

وقد صدر لجاك بـــيرك عـــام 1982 كتاب مهم حول بعض العلماء الأصليين الثائرين من بلاد المغرب الكبير في القـــرن السابع عشر ، وهو يتناول الحديث عـــن العلمـــاء والحركـــات السياســـية والإسلامية(3)

وقد ظهر لـــه عـــام 1983 كتـــاب بالإنجليزية بعنوان ميلاد جديد للعـــرب : آلام وأفراح ، ترجمـــه عـــن الفرنســـية كينتان(4) .

وبالاشتراك مع زميله القديم جوليـلان كولو J. Couleau عرفنا له كتابًا طبع لثـلاثي مرة عام 1984 بعنـــوان : ذاهبـــون إلى المغرب (5) .

كما صدر له في هـــذا العـــام 1984 كتاب "حول الإسلام في عـــهد هـــذا العالم"(6) .

وعندما ألف أحليم المستغانمي عـــن "المرأة والكتابة في الجزائر عام 1985 " قـلم بكتابة مقدمة احتوت علـــى مـــا يـــهم المشتغلين بالأدب المغربي المعاصر إلخ (7).

ولعلنا لا نعـــرف أن والـــد بـــيرك أوكيستان كان هو كذلك من حَمَلـــة القلم، ومن ثمت وجدناه يحرر " كتابـلت عن الجزائر " وقد عُـــني الولـــد جـــاك بتلـــك الكتابـــات وجمعـــها وقدمـــها عام1986(8)

وقد حضرت له حديثًا ألقاه في مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام 1986 بعنـــوان "من حاضر المجتمعات العربية إلى تراثنـــا الكلاسيكي ومن تراثها إلى الحـــاضر"، حيث استمعنا إليه يقول :

(1) Histoire et destinée , PARIS - Sindbad, 1982 .
(2) Les fondations pieuses "habous" au MAROC Imp. Royale - 15 Mai 1982 .
(3) Ulémas fondateurs insurgés du Maghrev XVII siècle, PAERIS Sindbad 1982 .
(4) Arab rebirth : pain and ecstasy transIby Quintin Hoan, London 1983 .
(5) Nous partons pour le Maroc, Paris : Presses Universitaires de France 1984 .
(6) L'Islam au temps du monde, paris, Sindbad 1984 .
(7) Ahlem , Mosteghanemi, Algérie : femme et écriture, Paris, l'Harmattan, 1985 .
(8) Ecrtis sur l'Agérie, ALX-en-Provence, Ed. 1986 .

"إن سوء التفاهم بين عالم الغـــرب وعالم الإسلام المتفاقم بســـبب التوتـــر السياسي قد تضاعف منذ أوائل الفـــترة التي ظهرت بها حملة نابليون في مصر مـــع أنه قد انسحب بسرعة تاركًـــا وراءه - كما يقول حتى الآن بعـــض المؤرخـــين المصريين - عناصرَ نهضة المستقبل". (1)

وفي بحر سنة 1987 قدم لكتاب ألفـــه سلام صادق بعنوان : الإسلام والمسلمون في فرنسا (2) .

وفي نفس العام 1987 كتب بحثًا حول: " الثقافة الإسلامية وفرنسا" نشره ضمـــن أعمال الجمعيـــة الفرنســـية والهجـــرة المغربية(3) .

وفي عام 1988 نشر بيرك مقالاً لـــه بعنوان : " في القبيلة بشمال إفريقيـــا" ، نشـــره في تـــأليف بعنـــوان : في الأنثروبولوجيا والتاريخ ، حالة المغـــرب العربي" ، اهتـــم بـــه المتخصصـــون في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافيـــة في العصور الوسطى (4) . وكـــان ذلـــك إسهامًا منه في المنوعـــات المـــهداة إلى

وفي عام 1989 شعر - وقد أشـــرف على سن الثمانين- بأن من واجبـــه أن يفكر في إعداد مذكراته الـــتي كـــانت ضرورية لكل الذين عرفوه وقرأوا عنـــه ، وهناك كان كتابه (مذكرات العَدْوتَيْن) (Mémoires des deux rives) وقـــد ضمنـــه الكثير من المعلومات عن حياته وخاصـــة بالديار المغربية، ويشعر المرء وهو يقـــرأه بأنه فعلا أمام رجل ظاهرة، لا يعـــرف للراحة سبيلا، وأنه اســـتطاع أن يشـــق طريقه معتمـــدًا علـــى نفســـه وعلـــى جهده(5).

وفي عام 1990 قدم لكتـــاب ألّفـــه الزميل الأستاذ عبد الكريم غلاب تحـــت عنوان "دَفنّا الماضي "والذي ترجمـــه إلى الفرنسية بعنوان "الماضي المدفون "فرانسي جوان (6).

وقد تلقف العالم العربي الإســـلامي خبر محاولته لترجمة القرآن بالكثير مـــن الاهتمام، لما كانوا ينتظرونه مـــن عـــالم متضلع في اللغة العربية ، متصل باستمرار بالبيئة الإسلامية ومتمرس في الكتابـــات المتعلقة بقضايا العروبة والإسلام.

(١) مجلة مجمع اللغة العربية الجزء ٥٨ - شعبان ١٤٠٦ - مايه ١٩٨٦ .

(2) Sellam, Sadel : L'Islam et les musulmans en France, Paris, Tougui 1987 .

(3) La sociLa société francaise et l'mmigration magrébime, actes Paris Ed. A.T.M.E, 1987 .

(٤) نشرته دار توبقال - الدار البيضاء ١٩٨٨ .

(5) Mémoires ... édi. Du Seuil , Paris 1989 .

(٦) كان عنوان التقديم : مستقبل بدون وفاءات ووفاء بدون مستقبل .

لقد ظهرت بالفعل الطبعة الأولى عام 1990 من هذه الترجمة التي استعرقت منه كما يقول ست عشرة سنة من العمل الجاد .

وقد أتي في نهاية هذه الترجمة بدراسة تقع في أزيد من ثمانين صفحة بعنوان : (عند قراءة جديدة للقرآن) أورد فيها أجوبته على ما يمكن أن يُطرح من أسئلة(1) .

ومن المهم أن نعرف أن الرجل كان يقدر أهمية الخطوة التي أقدم عليها بترجمته للقرآن ، ولذلك فليس من الغريب أن نقرأ في مقدمته للترجمة مثل هذه الكلمات التي لا تخفى دلالتها : إنه لا يمكن أن يُنتظر من شخص واحد مجموع الخصائص التي يستلزمها مشروع كهذا -من المسؤول عنه، فإلى المعارف الفقه - لغوية الجادة ، وإلى المعرفة الجيدة بتفسير النص وأسباب النزول، ينضاف شيء من الحدس الروحي والحس النقدي للتاريخ ، والحساسية الأدبية ... فماذا يمكن أن يقال عن الجمع بين هذه الوظائف كلها ، ومَن الذي يزعم الطموح إلى ذلك، أو تكون لديه الوقاحة ليطالب بذلك غيره ، وهل ينبغي تفويض الأمر مستقبلاً إلى فرق ، وهل على مترجم جديد أن يعتذر عن المغامرة أو على الأصح عن الانتهاك ؟ هذا الانتهاك الذي يُهَوِّن من أمره أنه اقترف من قبل الكثيرين قبلي ... إذا ما أضفنا هذا إلى ما ورد من كلامه في مجلة (استوديا إسلاميكا) حينما قال : إنني لمدينٌ كثيرًا لجميع الذين نبهوني إلى ما وقعت فيه من هفوات أو أخطاء أو سهو، وإني لأتقبل بكثير من الاهتمام كل ملاحظة جديدة فلا أحد منزه عن الخطأ ، والمناقشة هي الوسيلة لتعميق التأويل في صالح الجميع " .

وبمناسبة التقائنا جميعًا في القاهرة في اجتماع مؤتمر مجمع اللغة العربية يناير 1991 لم يكن الحديث يدور إلا عن ترجمته القرآن التي كانت حديثة الظهور. وقد اقترحتُ عليه وقتها أن يقدم الترجمة أمام أعضاء المجمع، لكني لاحظت أنه - على ما أذكر - غير متحمس لذلك ...

هنا في بناية المجمع ... وفي بعض المآدب التي جمعتني به عند طائفة من الأصدقاء، أو في بعض اللقاءات التي كانت تجمعنا في بعض المكتبات ... كان الرجل يردد الأفكار التي سمعناها عنه في

---

(١) هذه الدراسة صدرت مرة أخرى عام ١٩٩٣ على حدة بعنوان Relire le Coran .

التعريف بالترجمة ، تلك الأفكار التي تتلخص في أنه كعالم باحث يرحب بكل الذين يتعقبون أفكاره، وقد قام بالفعل بالاتصال بعدد من أساتذة الأزهر الشريف لاستمزاج رأيهم حول عدد من القضايا التي تتصل بالترجمة ...

ونعود إلى تأليف جاك بيرك بعد ظهور ترجمته للقرآن لنذكر أنه عندما ألف جان بول شارناي 1991 حول الحياة الإسلامية في الجزائر بحسب الأحكام القضائية للنصف الأول من القرن العشرين ، قدم جاك بيرك للكتاب المذكور بما نعهده فيه من إثراء وإغناء للموضوع(1) .

وكذا كان الأمر عام 1991 عندما تصدى سيريل كلاص C. Glasse إلى وضع قاموس موسوعي للإسلام ... فقد وجدنا أن جاك بيرك يضع له عام 1991 مقدمة تناسب الموضوع (2) .

وكذلك رأيناه يقوم سنة 1993 بتقديم كتاب ألفه بيرنار بوتيفو Bernaed Botiveau بعنوان القانون الإسلامي والحقوق في المجتمعات العربية (3) .

وفي نفس السنة 1993 صدر له تأليف حول محادثات مع جان سور Jean Sur(4).

وفي عام 1994 استجاب لزئاد بوشرارة فكتب له مقدمة عن كتابه Les lieux du corps en Islam (5) .

وفي عام 1995 صدر له تأليف طريف حول كتاب الأغاني بعنوان (موسيقى على ساحل الوادي : الصفحات الأكثر جمالا من كتاب الأغاني) (6) .

وقبل أن يتوفاه الله أواخر الشهر السادس من عام 1995 صدرت له طبعة جديدة لمحاولته ترجمة القرآن مشفوعة بدراسة تفسيرية على نحو الطبعة السابقة(7) .

وقد أدركته الوفاة وله كتاب تحت الطبع يحمل عنوان (العرب والإسلام ونحن) ظهر عام 1996 ، ويحمل إلى جانب جاك بيرك اسم زميله جان سور سالف الذكر (8) .

(1) La vie musulmane en Algérie 2e édi. Paris 1991 .
(2) Glasse Cyril : Diction . encyclo .de l'Islam . Trad et adapt. De l'anglais par Yves Tharawal Paris Bordas 1991 .
(3) Loi islamique et droit dans les sociétés arabes : mutations des systèmes juridiques du Moyen-Orient, Paris, Karthala 1993 .
(4) Il reste un avenir : entretiens avec jean Sur, Paris Arlea 1993, Paris Albin Michel 1993 .
(5) Paris, Publisud 1994 .
(6) Paris , Albin Michel 1995 .
(7) Ed. Rev. et Corr. Paris Albin Michel 1995 .
(8) Les arbes, l'Islam et nous, suivie d'um Homme national. Paris. Ed. Arte 1996.

ونحن إذا ما رجعنا إلى تقاريره الـــتي قدمها إلى وزارة التربية الوطنية الفرنسية، وكذا تقاريره إلى منظمـــــة اليونســـكو كخبير منذ عام 1955 فسنقف على تقارير كان يكتبها بعد روية وتفكير وبعد كثير من استقصاء الآراء واستيعاب الموضوع ، لا يهمه أن ينهي تقريره في وقت محـــدد بقدر ما يهمه أن يكون تقريره مرضيًـــا لفكره وضميره .

ومن غير أن نهمل ميدان الأطـــاريح التي كان يُشرف عليها، أو يناقشها لابـد أن نذكّر بعشرات الرسائل العلمية المفيدة التي أسهم فيها إشرافًا أو مناقشة، والـــتي اعتبر تدخله في أثنائها بمثابة علم جديـــد يضاف إلى المعلومـــــات الـــتي قدمـــها الباحثون المرشـحون لنيـــل ألقـــاب أكاديمية...

يضاف إلى هذا أن المـــهتمين مـــن عيون الطلبة وحتى من بعض الأســـاتذة كانوا يجدون متعة في الاستماع إليه وهو يثير بعض التعقيبات التي لم تكن تخطـــر على البال ... وكثيرًا ما كان يمزج نقاشـه بالدعابات التي تهدف إلى شحذ ذهـــن أو إزالة عفلة ، وقد حضرت ذات يوم بعضًا من هذه المجالس العلمية التي كانت ثريَّـــة بالأفكار الصائبة ، والتعقيبات المفيدة التي تكون محل مناقشات ومراجعات فيمـــا بعد.

وإذا ما حاولنا أن نقوم بحفريَّـــات فيما يتصل بموضـــوع (جـــاك بـــيرك السياسية) فسنجد له ، والحق يقـــال ، مواقف ينبغي أن نذكرها لـــه مـــرورًا بالتاريخ، وخاصة فيما يتصل بآرائـه إزاء التحرر من الاستعمار والاستغلال الـــذي كان يجثم بكلكله على صـــدور بعـــض البلاد العربية والإسلامية ... وسأكتفي في هذا الباب – ونحن أكاديميون قبل كـــل اعتبار– أن أحيل على بعض اســـتجواباته التي خَصَّ بها بعض الإذاعات أو بعـــض الصحف ذات الشهرة العالمية (1)

فإذا ما فتحنا ملف ما قيـــل عـــن مؤلفاته من تعاليق ، وما كتب عليها مـن مقالات، فسنجد أنفسنا أمـــام مئـــات الجزازات ومئات الأسماء من الذين تعقبوا مؤلفاته ودراساته بالكثير مـــن العنايـــة والاهتمام ... وسنجد أننا أمام عالم قـــائم بذاته يحمل اسم جاك بيرك (2) .

تلك جولة في أعمال هذا الرجـــل الجليل، مرتبة على سني حياتـــه، وهـــي تشهد، إن كنا في حاجة إلى شهادة، بأن

(1)إذاعة فرنسا الدولية يوم الخميس 6 فبراير 1991 في حديثه عن علاقة الشمال بالجنوب جريدة لوموند الملحق الثقافي عـــدد 7 يوليه 1995 جريدة الأهرام في آخر استجواب له يوم 14 يونيه 1995 ...

(2)مكتبة لاسوربس – الرباط .

الرجل كان من طينة خاصة فيما يتصل بنشاطه المتوالي وفيما يتصل كذلك بحرصه على أن يبقى في الجو الذي ألفه منذ شبابه : الجو العربي الإسلامي الذي وصفه في مقدمة كتابه عن العرب من الأمس إلى اليوم ، وخاصة الجو المغربي الذي ملأ عليه أجواء حياته منذ البداية ...

لقد قدَّرت فيه نشاطه المتواصل منذ أن تعرفت عليه عندما كنت اجتمع معه عند بعض الشخصيات المغربية ... وعندما كنت سفيرًا لبلادي في بغداد وفي طرابلس ،وعندما كان يتردد على العراق وليبيا، وقد أكبرت جهوده وخاصة في السنين الأخيرة من حياته التي تضاعفت فيها أعماله وكثرت تنقلاته .

لقد زار المغرب آخر ما زاره في أواخر فبراير 1995 بدعوة من مؤسسة عبد الرحيم بوعبيد، حيث ألقى محاضرتين: الأولى حول ترجمته للقرآن، والثانية حول الاندماج الحضاري .

سألته : ألا تشعر بالتعب وأنت تتجشم هذه المتاعب؟ فكان جوابه : إنه يشعر بالمتعة الكبرى وهو يسهم بإضافة كلمة جديدة، يذكره الناس بها، إن الوسيلة الوحيدة التي تجعلك صحيح الجسم دائمًا هي (يؤكد بيرك) أن تظل على صلة بما يُغْنِي معلوماتك ويؤثث ذاكرتك .

تلك كلمات سمعتها منه ونحن نتوادع،تعمدت إيرادها أمامكم،وإذا كان المشرق وراء التعريف بجهود جاك بيرك من خلال ما ترجمه له من تآليف ، وما كتب عنه من مقالات فإن المغرب يُقدر جيدًا ما قدمه بيرك للمكتبة العربية على شتى الأصعدة وفي مختلف الحقول . .

ومن هنا رأينا أن المؤسسات الرسمية بالمغرب ، وكذا المؤسسات الحرة : مؤسسة الملك عبد العزيز، وكذا العديد من الأساتذة والكتاب يقومون برد الجميل إلى بيرك بما نشروه وكتبوه (1) مما يحملنا على الدعوة إلى القيام بتعريب سائر إنتاجه وخاصة ما يتصل منها بلغتنا وبيئتنا ...

وغداة اليوم الذي توفي فيه طلبت إلى إذاعة طنجة، بصفتي عضوًا في مجمعكم الموقر، أن أعطي بالتليفون نبذة عن نشاطه أذاعتها على التوّ ...

وبعد ... فكل الرجاء من زملائنا قادة المجمع، وأقصد إلى السيد الرئيس

(١) مؤسسة عبد الرحيم بوعبيد سلا - مؤسسة الملك عبد العزيز للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء - كلية الآداب بفاس - ندوة طنجة يوليه ١٩٩١ - قاسم الزهيري : طبعة جديدة لترجمة القرآن العلم ١٤/٦/١٩٩٥ .

- عبد الكريم علاب الصديق الفكري للإسلام ، العلم ٢٨/٦/١٩٩٥ .

ABDOU FILALI - ANSARI · Jacques Berque entre l'écrit et l'oral Prologues - Mohamed Boughali: Jacques Berque éd La Porte - Belles Images Dépot legal 211/1995 .

وإلى كل العناصر الفاعلة في المجمـــــع أن يحتفظوا لرجال الاستشراق بكراسي لهـــم بين زملائهم الآحرين في هذا المجمع ، بل أن يفكروا في توسيع دائرة نشاطهم سيما وقد أصبح للاستشراق في كل بلد مـــن بلاد العالم رجـــال ونســـاء يـــهتمون بالدراسات العربية والإسلامية في كـــل حقول المعرفة .. وبهذه المناسبة أرشـــح اسم الأستاذ أندري ميكيل لملء كرســـي العضو الراحل جاك بيرك ...

لقد أتيحت الفرصة لي كي أشـــارك في أثناء السنتين الماضيتين في عدد مـــن المؤتمرات التي احتضنت طائفة من رجـــل الاستشراق، وقد سررت بظاهرة طريفة، تلك هيمنة الأمانة في البحث العملي على معظمهم ، وتجاوز الأفكار الـــتي كـــان بعضهم يحاول أن يزرعـــها في أوســـاط الضعاف من المثقفين . لقـــد أصبحـــت للاستشراق اليوم أبعاد تعتمد على تعميق المعرفة والاستفادة من كل الطاقات لخـــير العلم، والعلم وحده !

وأعتقد أن على مجمعنا أن يستمر في مواصلته لرجال العلـــم أينمـــا كـــانوا وبالروح العلمية البناءة الهادفة إلى تحقيـــق المزيد من العطاء، والمزيد من النماء .

أشكر زملائي على حسن إصغائهم .

عبد الهادي التازي

عضو المجمع من المغرب

التعريب واختلاق المعوّقات (*)

للأستاذ الدكتور جميل عيسى الملائكة

ألقى البحث الأستاذ الدكتور ناجح الراوي

للتعريب معانٍ كثيرة ، منها الكلام المهذب، ومنها نقيضه : الكلام القبيح ، وله معانٍ أخرى كثيرة غير تلك ، غير أن له أيضًا معاني اصطلاحية ، منها معناه القديم ، وهو جعل صيغة اللفظة الأجنبية ذات جَرْسٍ عربيّ ، كما في تعريب كلمة philosophia بكلمة فلسفة ، ومنها الحديث، وهو بدلالته العامة ، جعل المجتمع ، بموظفيه ، ولغته ، وتقاليده ، عربيًّا ، وبدلالته الخاصة ، استعمال اللغة العربية بدلاً من اللغة الأجنبية ، ومنه تعريب التعليم . وهذا المعنى الأخير هو المقصود في هذا الحديث .

والتعليم العام ، كما هو معروف، معرَّب كله في العراق . ومثل ذلك يقال في تعريب الموضوعات الإنسانية في التعليم العالي . غير أنّ تدريس العلوم ، ولا سيما التطبيقية منها ، كالطب والهندسة ، مازال أكثره غير معرَّب ، على الرغم من كثرة ما عقد لذلك من مؤتمرات وندوات وما انتهت إليه من توصيات ، وما كُتب فيه من بحوث ودراسات ، وما صدر من تشريعات وقرارات ، على مدى العقود الخمسة الأخيرة ، وكلها تنادي بوجوب تعريب التعليم ، على مختلف مستوياته ، بلا استثناء .

فما السبب في عدم تعريب هذا القدر الكبير من التعليم الجامعي عندنا؟

لنتذكر أولا ، أن اللغة هي من أهم مقومات الوحدة القومية ، وهي عنوان الولاء والانتماء ، وأن في تساهل أي أمة بترك لغتها إلى لغة غيرها ، معنى المساس بالسيادة والهوية القومية .

ولهذا الأسباب ، نجد أن أكثر الشعوب ، سواء من هي من الدول العظمى ، أو التي هي أقل منها مستوى، لا ترتضي لها عزتها وكرامتها أن يكون التعليم عندها بغير لغتها القومية . ويكفي أن نعد من تلك فرنسا ، وروسيا ، وألمانيا، واليابان ، وهنكاريا ، ويوكوسلافيا ، واليونان ، وتركيا ، وغير

* ألقي هذا البحث في الجلسة الخامسة من مؤتمر الدورة الثالثة والستين يوم الأربعاء ١٠ من ذي القعدة سنة ١٤١٧هـ الموافق ١٩ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٧م

ذلك كثير.وحتى العبرية،التي هي في عداد اللغات الميتة، بات الصهاينة يستملونها في التعليم في بعض جامعاتهم.ولا يمكن لعاقل أن يقول إن لغات كل هؤلاء الأقوام أكثر طواعية للتعليم من اللغة العربية .

إن مما يؤسف له حقًا أن تستمر هذه الحال، من بقائنا عالة على لغة أجنبية في تعليمنا الجامعي . وكل ذلك بسبب ما يختلقه بعض الأساتذة من صعوبات ومعوقات ، على درب التعريب ، مما لا وجود له في الواقع .

إن الغالبية العظمى من أساتذة العلوم في جامعاتنا ، كانت دراستهم باللغة الإنكليزية، والكتب التي استعملوها هي أيضًا باللغة الإنكليزية ، ومن ثم فهم يجدون أسهل عليهم أن يدرسوا باللغة التي درسوا بها ، وأن يستعملوا الكتب المكتوبة بتلك اللغة ، من أن يبذلوا الجهد لتهيئة المحاضرات ، والتدريس ، وإعداد. الكتب المنهجية ، وكتابة الأسئلة الامتحانية ، ونحو ذلك ، باللغة العربية ، التي لم يعتادوا على استعمالها في التعليم الجامعي .

وقد تبع ذلك ، أنهم يختلقون مختلف العقبات أمام تعريب التعليم الجامعي .

يحتج بعضهم بأنه ليس في المتيسر من المصطلحات ما يكفي لسد حاجة التعريب . إن هذه الحجة واهية أساسًا . فالمفروض أن المصطلحات في أي لغة ، توضع وتنمو من خلال استعمال تلك اللغة . ولم يسمع أحد بأن أيًا من البلاد التي ذكرنا انتظر حتى قدمت له المصطلحات كاملة غير منقوصة . ومثل ذلك لم ينتظر أسلافنا من العلماء قرارات من المجامع والهيئات العلمية واللغوية ، عندما وضعوا مصطلحات الصفر ، والجبر ، والفلك ، والمنطق ، والجيب ، والظل ، والقاطع ، وقطعة الدائرة ، وقطاعها ، ومئات غيرها من المصطلحات العلمية ، في العصور التي ترجموا فيها علوم اليونان والهند ، ثم طوروها ، وأضافوا إليها الكثير من عندهم.

والمعروف أن عشرات الدلالات العلمية الجديدة ، ومصطلحاتها ، تظهر وتضاف يوميا إلى جميع الاحتصاصات في العالم المتقدم ، في هذا العصر الذي يتميز بالسرعة الهائلة للتقدم العلمي . وليس في إمكان أي من العلماء والباحثين والمتخصصين ، أن ينتظر كلما عنت له

فكرة ، أو جاهته دلالة علمية جديـــدة ، ريثما تنظر فيها المجامع والهيئات العلميـــة المتخصصة ، وتقر مصطلحًا لها . ولـــــو حصل مثل ذلك لتأخرت مسيرة العلـــم . وإنما يجتهد العالم والبـــاحث في اختيـــار مصطلحه ، ويستعمله . ويمكنه أن يعـــود إلى ما تيسر مـــن المعجمـــات اللغويـــة والاصطلاحية ، وقد يشاور بعض أهـــل اللغة ، كلما دعت الحاجة إلى ذلك .

هذا ، وإن مـــا أعدتـــه المجـــامع ، ومؤتمرات التعريب ، ومركز التعريـــب في الرباط ، والاتحادات والجمعيات العلمية، والهيئات المتخصصة ، وبعـــض الأفـــراد العلميين ، من مصطلحـــات علميـــة ، مطبوعة بهيئة معجمـــات ، أو مجـــاميع اصطلاحية ، يبلغ مئات الآلاف . وقـــد أُدخل منها في حسَّابة في المغرب ، نحـــو ستمائة ألف مصطلح . إن كـــل هـــذه المصطلحات ، وغيرها ، ســـيبقى علـــى رفوف المكتبات ، وفي خزائن الكتب، ما لم تستعمل في عملية التعريب .

وأعـــرب مـــن التـــذرع بغيـــاب المصطلحات أن يدعي آخرون بأن مـــن الضروري الانتظـــار ، ريثمـــا توحَّـــد المصطلحات المتعدِّدة ، المتخذة لدلالـــة علمية واحدة . ولكن كيف توحد هـــذه المصطلحات ، ومـــن يوحدهـــا ، إن لم تأخذ طريقها إلى الإستعمال ؟

لقد ضخم بعضهم قضية عدم توحيد المصطلحات ، حتى جعل منـــها العقبـــة الكأداء في طريق التعريب . وهذا هـــو الخطأ بعينه . فليس من الممكن ، ونحن في عصر تتقدم فيه العلوم ، وتظهر الفكـــر والدلالات والكشوف العلمية الجديـدة ، بسرعة هائلة ، أن ينتظر العلماء كل مرة، حتى تجتمـــع هيئـــة معينـــة لتوحيـــد المصطلحات التي تشيع لدلالـــة علميـــة واحدة ، ليتمكنوا من استعمال المصطلـح الموحَّدِ المُقَر .

ولهذا السبب بعينه ، لا يمكـــن أن تسلم أي لغة حية ، ينتشر استعمالها على رقعة كبيرة من الأرض ، أو تســتعمل في أكثر من قطر واحد من تعـــدد بعـــض المصطلحات للدلالة العلمية الواحدة .

ففي اللغة الإنكليزية مثلا ، يُسَـــمَّي بعضهم حوض تجمع ميـــاه الأمطـــار ، لتصب في نقطة معينة من النهر watershed، ويصطلح آخرون على تسميته catchment، وبعضهم يسميه catch basin ، ويدعـــوه آخرون drainage area ، ويطلق عليه غيرهم

اسم gathering ground . ومثل هذا كثير . وأكثر منه أن يشيع للدلالة العلمية الواحدة لمصطلحات أو ثلاثة فقط ، كما في استعمالهم مصطلحات crown و soffit و vertex، لدلالة علمية بعينها، وهي أعلى جزء في الوجه الداخلي من العقد المستعمل في المجاري ؛ أو في استعمالهم مصطلحي evapo-transpiration وconsumptive use- لمعنى الماء الخارج من التربة بفعل التبخر والتنح . وقد يزيح أحد المصطلحات المستعملة لدلالة علمية معينة، سواء مما يستعمل للدلالة نفسها ، كما في إزاحة مصطلح water table لمصطلح phreatic surface ، وكان كلاهما مستعملا للدلالة على سطح الماء الجوفي، أو كما في إزاحة مصطلح (المياه الجوفية) في العربية ، مصطلح (المياه الخفية) ، وكان هذا الأخير ، هو المستعمل قبل نحو عشرة قرون .

وهكذا ... فإن الاستعمال وحده هو الذي ينتحل ، ويغربل ، ويبقي المصطلح الأسب ، أو الذي هو أكثر خطأ من سواه . وقد يظل عدد من المصطلحات شائعًا لدلالة علمية واحدة ، أمدًا طويلا، ولا يزيح أي منها سواه ، ولا تتأخر مسيرة العلم ، وإن تكن الحالة المثلى ، هي أن يستعمل مصطلح واحد ، للدلالة العلمية الواحدة .

ومن أمثلة تعدد المصطلح العلمي في العربية استعمالهم مصطلحات (الرَّقّاص) في العراق ، و(الخطّار) في سوريا ، و(النوّاس) في لبنان، و(البندول) في مصر، وهو لفظ أعجمي ، لشيء واحد بعينه . وقد يستمر ذلك زمنًا طويلا،ومثله كثير.

وعلى أية حال ، لا داعي للمبالغة في خطورة الأمر . فلن يؤثر ذلك كثيرًا في تقدم العلم ، وإن يكن الأفضل هو التوحيد ، كما سبق بيانه .

ومن المعوقات المختلقة على العربية ظلمًا وعدوانًا، إدعاء عدم طواعيتها للعلمية والتعريب ووضع المصطلحات . لقد كان ذلك من آثار عهود الاستعمار وحكم الأجنبي ، الذي كان يحاول ، بشتى الوسائل ، أن يضلل أبناء هذه الأمة، ليدخل في روعهم أن العربية لا تصلح لدراسة العلوم ، وأنما لغة الأدب والشعر فحسب . ومن المؤسف حقًا أن ينطلي مثل تلك الافتراءات على بعض الناس ، فيظلوا منخدعين بها حتى زمننا هذا .

ويمكن القول بأن للعربية من الحصائص ما يجعلها من أطوع اللغات للتعليم والعبارة العلمية. وليس على العالم والباحث إلا أن يمارسها ، ويوظفها في أعماله العلمية ، ليتعرف دقائقها ، ويطلع على إمكاناتها العظيمة في التوسع والاستيعاب .

ففي العربية مثلا من وفرة الأوزان الاشتقاقية ما قد لا نجده في أحسن اللغات، التي تسمى في هذه الأيام اللغات الحية . وقد أحصى بعضهم بضع مئات من هذه الأوزان . ولكل وزن منها واحد أو أكثر ، من المعاني والدلالات ، التي يمكن استعمالها وتوظيفها للتعبير العلمي . وليس هذا مجال استعراض كل ذلك غير أن من المفيد الإشارة إلى ملامح من بعض ما تمتاز به هذه اللغة ، على اللغات الأوربية ، من تلك الخصائص .

وإن التعدية القياسية للثلاثي اللازم ، بالهمزة ، من سمات العربية ، التي لا نجد ما يماثلها في اللغات الأوربية ، التي يلجأ فيها، في الأغلب ، إلى استعمال أكثر من كلمة واحدة لهذا الغرض ، أو يستعمل فيها الفعل نفسه للزوم والتعدي ، من دون تمييز . وقد تكون تعدية اللازم العربي أيضًا بالتضعيف ، في بعض الأحيان . فيقال في تعدية الفعل (ذهبَ ، أذهَبَ) وفي (جَمَد ، جمَّدَ) . وأمثال هده الأفعال المُعَدَّاة ، ومصادرها ، مثل (الإذهاب ، والتجميد ، والإزاحة ، والتبريد) وغيرها، ذات فائدة كبيرة في لغة العلوم .

أما في الإنكليزية مثلا ، فيقال في (أدهب ، وبوَّمَ ، وأنسَى) مثلا made go و put to sleep ، و caused to forget أو made forget ، أو يستعمل للمتعدي ما يستعمل للازم من دون تمييز . فيقال مثلا في (بَرَد وبرّد) كليهما cooled ، ولا يتضح المراد إلا في سياق الكلام .

وعلى العكس من ذلك ، من خصائص العربية أيضًا : المطاوعة وهما يصاغ الفعل اللازم المطاوع من المتعدي، على غرار (انقطع، وانحل ، واجتمع وانتشر ، والتصق واختفى ، وتشتت وتجمد) من (قطع، وحل، وجمع، ونشر، وألصق، وأخفى ، وشتت، وجمد) وهذه الأفعال ، ومصادرها، وهي (الانقطاع والانحلال ، والاجتماع والانتشار ، والالتصاق والاختفاء ، والتشتت والتجمد) ، والكثير من أمثالها ، كلها

كبير الفائدة أيضًا في اللغة العلمية ، لدلالتها على التأثر بفعل خارجي .

ومن خصائص العربية الاشتقاقية ، التي تميزها من اللغات الأوربية أيضًا ، قياسية صوغ اسمي الزمان والمكان ، بلفظ واحد لكل منهما ، على غرار (المسْبح ، والمغرب ، والمتلقى) لمكان السباحة ، وزمن الغروب ، ومكان الالتقاء أو زمانه . أما في الإنكليزية فهي تصاغ من فعل بعينه بأكثر من كلمة واحدة فيقال مثلا swimming pool ، و time of sunset، و meeting time أو meeting place.

ومما يميز العربية أيضًا كثرة أوزان ما يمكن اشتقاقه من أسماء الآلة ، التي تصاغ من الثلاثي قياسًا بأوزان (مِفعَل ، ومِفعال ، ومِفعلة) ، وقد تصاغ بوزن اسم الفاعل ومبالغته، مذكرًا أو مؤنثًا، ومن المزيد بوزن اسم الفاعل أيضًا . فيقال:(مِلقط،ومِرفاع، ومِعزقة ، ونابض، وقاطرة،وجرّار،ودبّابة، ومكنّف، ومُبرقة، ومُفاعِل،ومبرِّدة).ومثل ذلك كثير،وكله عظيم النفع في وضع المصطلحات العلمية.

وثمة أوزان اشتقاقية أخرى كثيرة ، تنفرد بها العربية ، مما يمكن استعماله لمعانٍ علمية معينة ، كما في وزن (التفاعُل) ، للعمليات أو العلائق العلمية المتبادلة ، مثل (التجاذب ، والتوازن، والتفاعل ، والتعادل ، والتناظر) ؛ ووزن (التفعيل)، لمعنى التكثير ، كما في (التقطيع ، والتكسير ، والتجميع) وغير ذلك كثير.

ويفيد المصدر الصناعي لمعنى الحالة التي يتصف بها الشيء . وهو ذو أهمية كبيرة في الاصطلاح العلمي . ويمتاز في العربية عنه في الإنكليزية مثلا بقياس صياغته بإلحاق ياء النسبة والهاء بآخر الصفة ، أو الاسم ، أو المصدر ، أو حتى الجملة في بعض الأحيان ؛ في حين أنه لا يمكن صياغته في الإنكليزية بطريقة واحدة لكل هذه الأشياء . وهكذا يقال (الحساسية والمطيلية ، والشعبية والداروينية ، والاشتراكية والاحتمالية، واللاأدرية، والماهية) من (حساس ومَطيل ، وشَعْب ودارون ، واشتراك واحتمال، ولا أدري ، وما هو) .

وغير كل هذه ، من الأوزان الاشتقاقية المفيدة في الاصطلاح العلمي ، مما تمتاز به العربية من سواها ، كثير مما لا يمكن إحصاؤه في هذه العجالة .

وينقل كثير من الأوصاف إلى الاسمية في أكثر اللغات ، لتسمية أشياء بعينها ،

كما في استعمال (الهشيم) بالعربية للنبات اليابس المهشم ، و (الخطّاف) لنوع معين من الطير ، وكلاهما في الأصل من الأوصاف . غير أن مجال العربية في ذلك أوسع من كثير من اللغات ، ومنها الإنكليزية، لأن الصفة في العربية تأتي بصيغة التذكير والتأنيث . وهكذا يقال ، (الدقيق) لطحين القمح ، و(الدقيقة) لجزء من ستين جزءا من الساعة ، و(الطائر) لواحد الطير ، و(الطائرة) للمركبة الهوائية المعروفة .

والعربية اختزالية بطبيعتها ، سواء في رسم حروف كلماتها ، أو في تركيب جملها ، فلو أريد كتابة لفظة (كتب) بالإنكليزية ، لاحتيج إلى ستة حروف . ولو أريد ترجمة (استعنتك) إلى الإنكليزية لقيل I asked for your help بخمس كلمات ، أو I turned to you for your help بسبع كلمات .

وفي حروف العربية تسعة أصوات ليست في الإنكليزية ، وهي الحاء ، والحاء ، والصاد ، والضاد، والطاء ، والظاء، والعين، والغين، والقاف، في حين أن العربية لا ينقصها من أصوات الحروف الإنكليزية سوى خمسة ، هي صوت ch كما في جمجمال ، وg كالذي في بابا كركر ، وP كما في قره تيّة ، وS كالذي في measure ، وV كما في هاقانا.وقد أقر أكثر المجامع كتابتها على التوالي جيما بثلاث نقاط (جـ) ، وكافًا بشرطتين (كـَ) ، وباء بثلاث نقاط (ب) ، وزايا بثلاث نقاط (ز) ، وفاء بثلاث نقاط (فـ) ؛ وهي موجودة في أكثر صناديق الطباعة . وغير خافٍ أن وفرة أصوات حروف العربية ، مما يجعلها أكثر طواعية لصياغة الكلمات والمصطلحات من سواها .

وللمجاز في العربية معنى أخَصُّ من معنى المصطلح فالمصطلح قد يكون لفظًا استعمل لغير معناه اللغوي ، بشرط وجود علاقة ، من قريب أو من بعيد ، بين المعنى المستعمل فيه ، والمعنى اللغوي ، كاستعمال كلمة (الضَّرْب) لتكرار العدد بقدر معين ، مع أن أصل معناه اللغوي هو الإصابة باليد وبالعصا أو نحو ذلك ؛ وقد يكون استعمال اللفظ بمعناه اللغوي نفسه ، كما في (الجريان ، والذوبان) ؛ أو يكون لفظًا جديدًا مشتقا ، أو مقيسا، أو مولدًا ، أو حتى مُعرَّبًا من كلمة أجنبية. أما المجاز فهو مقصور على المعنى

الأول للمصطلح أي أنه لفظ استعمل لغير معناه اللغوي ، بشرط وجود علاقة بين المعنى المستعمل فيه ، والمعنى اللغوي .

وفي المجاز غنى وموسعة كبيرة في اللغة العربية . فإن معنى (الأخذ) مثلا، هو التناول . ولكن للأخذ عدة استعمالات مجازية غير هذا . فيقال (أخذ يفعل كذا ، أي طفق) و (أخذه وأخذ به : أمسكه) ، و(أخذ إخذهم : تخلق بأخلاقهم) ، و (أخذ فلانا : حبسه)، و(أخذه بذنبه: عاقبه عليه)، و(أخذ عنه: نقل)، و (أخذ في الكلام: بدأ)، و (أخذه بالأمر:ألزمه)،و(أخذ الله فلانًا: أهلكه)، و(أخذ حذره : تيقظ)، و(أخذ على نفسه:تعهد)،و(أخذت فيه الحمرة:أثرت) و(أخذ فيه السير:أضعفه)، و(أخذ على فمه:منعه من الكلام)، و(أخذ على يده: منعه عما يريد فعله) . وعلى غرار هذا خرجوا من (الضرب)، على المجاز ، بنحو أربعين معنى ودلالة . وكل هذه المعاني المجازية ، وأمثالها مما يسهل ويغني مهمة اختيار المصطلح العربي .

أما بعد ، فإن الاحتجاج بصعوبة تعريب التعليم الجامعي ، لعدم تيسر الكتب المنهجية ، والمجلات العلمية ، والتمسك بأنه لابد من الانتظار والتريث حتى تعد تلك الكتب ، كل ذلك من الأعذار المردودة أساسا . فإن الدين ينهضون بمهمة التعريب ، هم وليس سواهم، المعول عليهم في إعداد الكتب المنهجية ، ومن بعدها كتب المراجع . إنها نغمة يسمعها الجميع منذ عشرات السنين بلا طائل ، ولا تُعد كتب ، ولا يُسار في التعريب .

وفي الحقيقة : إن العمليتين يجب أن تسيرا جنبًا إلى جنب ، وليس لإحداهما أن تسبق الأخرى . فتُعد المحاضرات في البدء، ويُسار في تعريب التعليم ، وتُجمع مادة المحاضرات لتهيئة الكتاب المنهجي. وهذا يُطور بمرور الزمن ، ومع تطور المناهج . ثم يأتي من بعد ذلك إصدار المجلات العلمية ، ليقبل عليها ويستفيد منها قراؤها ، بعد أن يكونوا قد ترسخت لديهم المقدرة على استيعاب اللغة العلمية ، لغة التعريب .

أما عن اللغة الأجنبية ، فلن يكون من الصعب تحصيص ساعة أو ساعتين أسبوعيًا ، في السنتين الأوليين من الدراسة الجامعية ، لتدريس الحد الأدنى من لغة وظيفية تمكن الطلبة من العودة إلى

بعض المراجع الأجنبية عنـــد الحاجـــة ، وتمهد للنخبة النابهة منهم متابعة الدراســة العليا والتخصص في الجامعات الأجنبية .

وأخيرًا إن كل المعوقات المدعاة والمختلقة في طريق التعريب تتهاوى وتتـــهافت ..

إن المعوق الوحيد هو التخوف مـــن أن تعريب التعليم الجامعي سيتطلب من الأساتذة الجامعيين ، من دون شـــك ، بدل الكثير من الجهود . ولكـــن مـــتى كانت قضايا بناء الصرح الحضـــاري ، وتحقيق الأصالة العلمية ، وتدعيـــم روح الولاء والانتماء ، وكلها متعلق بمصـــير الوطن والأمة - مما لا يستحق أن تبـــذل كل الجهود من أجله ؟

جميل عيسى الملائكة

قضية التعريب في مصر(*)

للدكتور محمود حافظ

من بين الأهداف التي وضعها مجمع اللغة العربية بالقاهرة نصب عينيه منذ إنشائه العمل على تعريب العلم وذلك بوضع المصطلحات العلمية والمعاجم والاهتمام بالترجمة وذلك من منطلق واع مستنير يعد تعريب العلم والتعليم في مصر قضية وطنية لها أبعادها العلمية والاجتماعية والثقافية وهي وثيقة الصلة بلغتنا القومية وكياننا العربي وكذلك بمستقبل الأجيال الصاعدة بمختلف مراحل التعليم في مصر .

وفي سبيل ذلك كان موضوع تعريب العلوم والتعليم بؤرة الاهتمام في المؤتمرات التي يعقدها المجمع منذ سنوات -وها هو يعيد الكرة هذا العام ويجعل التعريب الموضوع الرئيس لهذا المؤتمر والذي يتصدى له علماء المجمع والعلماء الأشقاء من المجامع اللغوية العربية بالدراسة والبحث والاستقصاء إيمانا بضرورته أو حتميته التي تزداد يوما بعد يوم بعد ازدياد الجفوة بين اللغة العربية ودارسيها والناطقين بها وما يبدو في الأفق من أزمة حادة تتمثل في ابتعاد أو عزلة اللغة العربية بمفرداتها وكلماتها وأصالتها عما يجري اليوم على الألسنة في كل مكان - وكذلك ما يبدو من ترد وهبوط في مستوى الخريجين والتعليم في مراحله المختلفة - وأيضا ما نشهده اليوم من انتشار مدارس اللغات الأجنبية في مصر والتي لا تولي اللغة العربية في مناهجها إلا أقل القليل وهو أمر جد خطير على مستقبل أبنائنا فكريا وثقافيا واقتصاديا واجتماعيا .

والدعوة إلى التعريب واتخاذ اللغة العربية لغة للعلم تنطلق من وعي أصيل يستشرف الآفاق الرحبة لهذه اللغة ويرى في قوتها وحيويتها وثرائها وشمولها قدرة فائقة على استيعاب التطور المتلاحق في شتى قطاعات العلم والمعرفة وعلى مواكبة الإيقاع السريع في حركة العلم والتقدم العلمي والتكنولوجي وكذلك على مُكنتها الهائلة على التعامل مع ذلك

* ألقيت هذه المحاضرة في الجلسة السادسة من مؤتمر الدورة الثالثة والستين ظهر يوم الأربعاء ١٠ من ذي القعدة سنة ١٤١٧هـ الموافق ١٩ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٧م .

الفيض الغزير من المصطلحات العلميـــة الجديدة التي تزخر بها العلـــوم الحديثـــة والمستحدثة التي ابثقـــت مـــن ثـــورة الاتصـــالات والإلكترونيـــات وثـــورة المعلومات والحاسبات والهندسة الوراثيـــة والتكنولوجيا الحيوية وعلـــوم الفضـــاء والبيئة وغيرها .

ومبعث الاهتمام أيضًـــا بـــالتعريب ونقل العلوم إلى اللغة العربيـــة يســـتمد جذوره مـــن تلـــك النهضـــة العلميـــة الإسلامية التي تألقت في سمـــاء الأمـــة العربية وبلغت أوجها في عصر الخليفـــة المأمون (٧٨٦ - ٨٣٢م) حين أخـــذ المسلمون ينهلون مـــن مـــوارد العلـــم ويترجمون الكتب الإغريقية والســـريانية والفارسية وينقلون إلى اللغـــة العربيـــة مختلف الذخائر العلمية وبذلك انتقـــل إلى لغة العرب تراث الأمم ذات الحضـــارات القديمة وتلت دلك نهضة علمية خصبـــة واسعة تميز الإنتاج العربي فيها بـــالجد والأصالة وبإضافات جادة أضافها عـــدد من العلماء الأعلام العـــرب إلى هـــذه التراجم من مبتكراتهم وكان هذا نتيجـــة تفاعل التراث الأجنبي الدخيل مع التراث العربي الأصيل - كان هذا العصر عصـــرا ذهبيًا بالنسبة للغة العربية لغـــةً للعلـــم زخرت بآلاف المصطلحات والمقـــابلات والمأثورات - ومازلنا نحـــن المشـــتغلين بالعلوم ننهل حتى اليوم من نبعهم الفياض كؤوسا مترعة بالعلم والمعرفة بلغة عربيـــة جزلة معطاءة اتسعت آفاقـــها الرحبـــة لمختلف العلوم والفنون ..

وأحيانا ما يقف المرء معجبا بذلـــك الإنتاج الغزير لهؤلاء العلمـــاء الأعـــلام أمثال ابن سينا (٩٨٠م) ولـــه مئتـــان وستة وسبعون كتابا ، والرازي (٨٥٤-٩٣٢م) وله مئتان وأربعـــة وعشـــرون (٢٢٤) كتابا ، والكنـــدي (١٨٥ - ٢٥٢هـ) وله مئتان وثلاثـــون (٢٣٠) كتابا ، وابن الهيثـم (٩٦٥ - ١٠٣٨م) وله مئتان (٢٠٠) من الكتب .

الدعوة إلى التعريب في مصر :

وفي مصر ترجع الدعوة إلى تعريـــب العلوم والعمل في سبيله إلى سنوات بعيدة خلت حين جدت مصر في نقل العلـــوم الحديثة إلى العربية في عصر محمد علـــي وما بعده بغية استعمالها في التدريـــس في المدارس العليا ومن هذه الجهود ما قامت به مدرسة الطب والصيدلة عـــام ١٨٣٣ من ترجمة ٨٦ كتابا أجنبيـــا في عـــدة

تخصصات لتعليم الطب والصيدلـــة ولم تلبث هذه الكتب بعد نجاحها أن أخذت طريقها إلى تركيـــا والجزائـــر وتونـــس ومراكش .

كما قام عدد من المبعوثين الأوائـــل بعد عودتهم مـــن بعثـــاتهم في فرنســـا بالتدريس في المعاهد العليا باللغة العربيـــة وقدموا إلى مكتبتنا العلمية رصيدا كبـــيرا من كتبهم ومعرباتهم ومؤلفاتهم نذكـــر منهم على سبيل المثال :

أحمد حسن الرشيدي أحد أعـــلام مدرسة الطب المصريـــة ومـــن أعمالـــه ومؤلفاته : رسالة عن تطعيم الجـــدري ، ضياء النيرين في مداواة العينين ، طـــالع السعادة والإقبـــال في علـــم الـــولادة ، الدراسة الأولية في الجغرافيا الطبيعيـــة . وأيضا محمد على البقلي الذي ألف كتبـــا عربية في الجراحة ، محمد الشـــافعي في الأمراض الباطنة ، محمد ندى ومن كتبـــه وترجماته حسن البراعة في فن الزراعـــة ، الحجج البينات في علم الحيوانات ، نخبـــة الأذكياء في علم الكيميـــاء ، الأزهـــار البديعة في علم الطبيعة . وعلى رياض في الصيدلة والسموم ومحمـــد الـــدري في الأمراض الوبائية ، ومحمـــد بيومـــي في الحساب والجبر والهندســـة الوصفيـــة ، ومحمود الفلكي الذي عاد من بعثتـــه في فرنسا عام ١٨٥٩ وتقلد بعـــد ذلـــك منصب الأستاذية في العلـــوم الرياضيـــة بمدرسة المهندسخانة-هذا بالإضافـــة إلى ذلك الرصيد الضخـــم مـــن الكتـــب والتراجم والمؤلفات باللغة العربية التي قام بها أو أشرف عليها شيخ المـــترجمين في عصره رفاعة رافع الطـــهطاوي(١٨٠١-١٨٧٣) ومعاونوه في العلوم الهندســـية والرياضية والجيولوجية والفلكية والطبيـــة والجغرافية والتاريخية وألفاظ الحضـــارة والفنون وغيرها . .

ومما هو جدير بالذكر أن عددا مـــن اللغويين والمتخصصين كانوا يعـــاونون هؤلاء العلماء في تعريبـــهم وترجمـــاتهم ومؤلفاتهم وينقحون أعمالهم ويثرونهـــا بمقابلات من التراث العلمـــي العـــربي للمصطلحات العلمية الأجنبيـــة كمـــا حدث في أول معجم طبي اضطلع به عمر التونسي مع أعلام من مدرسة الطب هـــو معجم"الشذور الذهبية في الألفاظ الطبية".

وبذلك تجمعت في مصر إبان النصف الأول من القرن التاسع عشر وما بعـــده بسنوات حصيلة ضخمة من علوم الغرب

نقلها إلى اللغة العربية هـــؤلاء العلمـــاء وأضافوا إليها من مبتكراتهم ومؤلفـــاتهم ومن التراث العلمي العربي مما ســـاعد في حركة التنوير وتدريس العلوم في المدارس والمعاهد في ذلك الوقت بلســـان عـــربي مبين-ولا شك أن ازدهار حركة التعريـــب والرجمة كانت لها اليد الطولى في هـــذه النهضة العلمية التي سادت في ذلك العصر.

ولكن مما يدعو إلى الأسى أن هـــذه المسيرة الوثابة في تعريب علوم الغـــرب ونقلها إلى اللغة العربية قد توقفت بعـــد ذلك حين نكيـــت مصـــر بـــالاحتلال البريطاني عام ١٨٨٢ وجثم على صدرها لسنوات عدة وعزلت اللغة العربية عـــزلا تاما عن تدريس العلوم الحديثة التي فرض المستعمر دراستها بلغته وقد مهد لهـــذا الانقلاب ومسايرته ترسيخٌ لفكرة عجـــز اللغة العربية عن تدريس أي علم حديـــث وملاحقة التقدم العلمي - وقد روج لهذه الدعوة عدد من المثقفين قبيـــل الثـــورة العرابية - واحتدم الصراع بـــين حمـــاة الشخصية الوطنية والدعاة إلى لغة أجنبيـــة وقد أثار ذلك الشعور الوطني الذي ظـــل يعتمل في صدور الوطنيـــين المخلصـــين الذين رفضوا التخلي عـــن لغـــة الأمـــة والتفريط في لسانها وعلى الرغم من ذلك عجز الضمير الوطني عن التصدي لفـــرض اللغة العربية على المجال العلمي - ولكـــن لم يقف علماؤنا مكتوفي الأيدي أمام هذا الوضع المثير فقامت دعوة حمل لواءهـــا عبد الله النديم في مجلـــة الأســـتاذ عـــام ١٨٩٢ للمضي في تعريب المصطلحـــات العلمية لاستخدامها في تعليـــم العلـــوم الحديثة ووجدت هذه الدعوة اســـتجابة عملية في اجتماع رأسه محمـــد توفيـــق البكري في أوائل ١٨٩٣ وحضره عـــدد من أئمة الكتاب والعلماء في ذلك العصر ووضعوا لائحة لمجمـــع لغـــوي علمـــي وتدارسوا في سبع جلسات، ومن بين مـــا تدارسوه عدد من المصطلحات العلمية - وفي العام نفسه (١٨٩٣) ظهرت مجلـــة "المهندس" وقدمت تجربة عملية لكتابـــة البحوث العلمية باللغة العربية الفصحـــى دحضا للقائلين بعجزها في مجال البحـــث والتدريس ثم تتابعت الجهود بعد ذلك في هذا الســـبيل إلى أن أسســـت الجامعـــة المصرية الأولى الأهلية عام ١٩٠٨ .

إنشاء الجامعة المصرية :

بدأ التفكير في إنشاء الجامعـــة مـــع مطلع القرن العشرين ثم تبلورت الفكـــرة

نتيجة الوعي الثقافي والسياسي في عام ١٩٠٨ حين تأسست الجامعة الأهلية واقتصرت الدراسة فيها على بعض فروع الأدب والفلسفة وكان قيامها ترسيخًا لفكرة الجامعة مشعلا للتنوير ومنارا لنشر العلم والمعرفة في البلاد ثم تحولت إلى جامعة حكومية – الجامعة المصرية في عام ١٩٢٥ وكانت بذلك فاتحة نهضة علمية وثقافية حديثة في مصر وكان التدريس أساسا باللغة العربية التي استعادت مكانتها مرة ثانية – وكما يقول أستاذنا الدكتور عبد العزيز صالح قد استدعت الضرورة في المراحل الأولى من إنشاء الجامعة استقدام عدد قليل من العلماء الأجانب والمستشرقين للتدريس بالجامعة في بعض العلوم وكانت تترجم محاضرات هؤلاء إلى اللغة العربية وتلخص للطلاب– وفي السنوات التالية أخذ عدد المصريين العائدين من بعثتهم بالخارج يزداد ازديادا مطردا و لم يلبث هؤلاء أن تولوا مهام التدريس بالجامعة في معظم الكليات والمعاهد العليا باللغة العربية باستثناء بعض الكليات .

ومع تطور النهضة العلمية والتعليمية واتساعها في مصر في الخمسين سنة الأخيرة أصبح لدينا في مصر في الوقت الحاضر اثنتا عشرة (١٢) جامعة بالإضافة إلى جامعة الأزهر ولبعض هذه الجامعات فروع تعليمية تضم عددا من الكليات المتخصصة ، وإلى أن تكتمل كلياتها ستصبح في وقت قريب جامعات إقليمية جديدة قائمة بذاتها – وتضم هذه الجامعات مئتين وخمس عشرة (٢١٥) كلية ومعهدًا جامعيا يدرس بها أكثر من ثلاثة أرباع المليون (١٧٤ ، ٧٥٤) من الطلاب في العام الجامعي ١٩٩٥/١٩٩٦ وذلك بالإضافة إلى واحد وثلاثين (٣١) من المعاهد العليا التابعة لوزارة التعليم ويدرس بها مئتان وسبعون ألف (٢٧٠٠٠٠) طالب – وبالجامعات المصرية أيضا ستة وتسعون ألفا (٩٦٠٠٠) من طلاب الدراسات العليا.

أما جامعة الأزهر فبها عشرون كلية (٢٠) تضم ٦٥٨١٠ من الطلاب وسبعة آلاف وخمسمائة (٧٥٠٠) من طلاب الدراسات العليا – وكل هذه الإحصاءات عن العام الجامعي ١٩٩٥/١٩٩٦ .

وبالإضافة إلى هذه الجامعات الحكومية توجد الآن بمصر خمس (٥)

جامعات خاصة وأكثر من مئتين (٢٠٠) من مراكز ومعاهد البحث العلمي .

وقد شهد ربع القرن الأخير في مصر الجانب الأكبر من هذه الزيادة الهائلة في أعداد الطلاب والكليات والمعاهد ، وازدادت تبعا لذلك أعداد أعضاء هيئة التدريس بالجامعات - ومن بين هؤلاء الطلاب نحو ربع المليون (٢٥٠٠٠٠) من الطلاب يدرسون معظم مقرراتهم باللغة الإنجليزية وهم طلاب كليات العلوم والهندسة والطب البشري وطب الأسنان والصيدلة والطب البيطري والمعهد العالي للتمريض ومعهد العلاج الطبيعي ويقوم بالتدريس لهم نحو عشرين ألفا من الأساتذة والأساتذة المساعدين والمدرسين والمدرسين المساعدين والمعيدين وذلك بخلاف أعداد أعضاء هيئة التدريس بجامعة الأزهر .

وهناك قلة قليلة من المقررات في بعض هذه الكليات تدرس باللغة العربية - كما سيتضح فيما بعد - وجملة القول أن نحو ٣٠% من مجموع طلاب المرحلة الجامعية الأولى في مصر ونحو ٥٠% من مجموع أعضاء هيئة التدريس في هذه المرحلة يَدْرسون ويُدَرِّسُون باللغة الإنجليزية في الوقت الحاضر، إذ تجذب الأستاذ المادة العلمية المتاحة في مراجعها العلمية الأجنبية، ويخشى استخدام اللغة العربية فيحتاج إلى جهود مضاعفة في الترجمة والإعداد هو في غنى عنها حين يستخدم اللغة الأجنبية ويأليت هذه اللغة لغة سليمة حقا وقد زاد سوء الحال بتكدس الطلاب بالآلاف مما جعل مهمة الأستاذ بالغة الصعوبة وعجز الطلاب عن استيعاب المادة العلمية وفهمها وهضمها تماما بهذه اللغة الأجنبية ويكفي أن نطلع على أوراق إجاباتهم لنرى المستوى العلمي واللغوي المتردي في هذه الأيام ومع ذلك نرى عزوفا عن التدريس بلغتنا القومية مع أن قانون الجامعات المصرية حرص على النص على أن تكون اللغة العربية لغة التعليم والتدريس أما تأجيل إعمال هذا النص الذي منحه القانون في بعض الأحوال فكان لأجل موقوت ولكنه للأسف استمر منذ إنشاء الجامعة حتى اليوم .

وعلى الجانب الآخر نرى صورا مشرقة وضاءة لأساتذة بجامعاتنا المصرية خاضوا التجربة - تجربة التدريس باللغة العربية في عزم وإصرار وأبلوا فيها أحسن

البلاء دحضا للفريـــة الـتي يروجـها المعارضون لتعريب العلوم والطب بصفـة خاصة وهي أن اللغة العربية قد تقصر عن الوفاء بمتطلبات التعبير والتدريس بهـا في العلوم والطب وغيرها . وعن ملاحقـة التطور العلمي السريع في هذا العصـر – ومن بين هؤلاء العلماء عالم البيولوجيـا والطب الدكتور محمد ولي الذي ظـل يدرس علم الحيوان والتشريح والأنسـجة لطلاب إعداديات الطب ولطلاب العلوم بجامعة القاهرة طوال خمسة وعشرين عاما بالعربية . ومازلنا نذكر لـه محاضرتـه "العربية لغة العلم " الـتي ألقاهـا عـام ١٩٣٤ بالمجمع المصري للثقافة العلميـة والتي فند فيها حجج المعارضين للتدريس باللغة العربية في الجامعات – وقد ناشـد في محاضرته مجمع اللغة العربية وكـان في مراحل إنشائه الأولى أن يتوجه بجـهوده نحو جعل اللغة العربية لغة للعلـم إلى أن قال من فرط إيمانه بالقضية " ولا يكـون هذا إلا إذا تشيد المجمع على أساس مـن هذا المبدأ ودق قلبه بما يبعثه فيه من الجـد واليقين وسرت نفحات هـذه النهضـة العربية في دمه فتخللت جميـع أجـزاء جسمه فأصبح علميا عربيا في الشـكل والجوهر وأملنا في هذا المجمع كثير وثقتنـا فيمن يقومون عليه عظيمة " هدا ما قالـه أستاذ جامعي كبير مذ أكثر من سـتين عاما – ولو امتد به العمر حـتى اليـوم ليعرف كيف أن المجمـع لازال يعمـل جاهدا نحو تحقيق هذا الهـدف ويعقـد حوله المؤتمرات، منها مؤتمر هذا العـام – كلها زاخرة بالدراسـات والمحـاضرات آخرها المحاضرة القيمة لأستاذنا الجليـل الدكتور شوقي ضيف عن " العربية لغـة علم راسخة " والتي ألقاهـا في المؤتمـر الماضي .

عالم آخر من علماء مصر البـارزين آمن بالعربية لغة للعلـم هـو الأسـتاذ الدكتور أحمد زكي عالم الكيمياء وعضو المجمع واللغوي الأديـب، ومـن تـابع محاضراته وكتاباته وبخاصة في مجلة العربي لرأى كيف كانت اللغة العربية طـوع قلمه يطرق بها مختلف الموضوعات العلمية ويصف بها المستحدث من علوم العصـر في مكنة واقتدار وكانت كتاباته في العلم بلغة الضاد قمة في الأداء والاسـتقصاء . وكانت له جهود كبيرة في الدعوة منـذ الثلاثينيات إلى ترجمة أمـهات الكتـب العلمية الأجنبية إلى اللغة العربية .

ومن بين هـــؤلاء العلمـــاء أيضـــا الأساتذة مصطفى نظيف وإسماعيل مظهر والدكاترة إبراهيم مدكور وعلي مشـــرفة وكامل حسين وكامل منصور ، ومحمـــد مرسي أحمد، وعبد الحليم منتصر ، وعلي محمد كامل الدي درّس علـــوم الطاقـــة باللغة العربية بهندسة عين شمس ، وعائشة عبد الرحمن التي كتبت عن اللغة العربيـــة ودراسة العلوم بالجامعة ، وعبد الحـــافظ حلمي محمد، ومحمود حافظ وغـــيرهم، وهؤلاء ومن سبق ذكرهم قادوا المســـيرة في مصر في الدعوة إلى تعريـــب العلـــوم وتعريب التعليم العالي والجـــامعي وقـــد كتبوا مقالات كثيرة منها " العربية لغـــة علمية ، نقل العلوم إلى العربية ، نشـــر الكتب العلمية باللغـــة العربيـــة ، لغـــة تدريس العلوم في الجامعات ، تعريـــب العلم وكثيرا ما حاضر هؤلاء العلمـــاء في العلوم والطب باللغة العربية وحققوا كتبا رائدة من تراثنا العلمي العربي .

ويجدر بي في هذا المقـــام أن أنـــوه بجهود عالم جليل هو الأستاذ الدكتـــور محمد سليمان أستاذ الطـــب الشـــرعي بجامعة القاهرة الذي درّس هـــذا العلـــم باللغة العربية وقاد مع زملاء لـــه مـــن المؤمنين بتعريب الطب حركـــة جـــادة لتحقيق هدا الهدف . ومند ســـنوات في مـــايو ١٩٨١ وافقـــت لجنـــة قطـــاع الدراسات الطبية التابعة للمجلس الأعلـــى للجامعات على السماح باستخدام اللغـــة العربية في التدريس بكليات الطب .

واهتماما بهذه القضية صدر قرار عن المؤتمر العشرين لاتحاد الأطباء العـــرب في جلسته الختامية التي عقدت بالقـــاهرة في الثاني والعشرين من يناير عـــام ١٩٨٨ خاص " بتعريب مناهج كليات الطـــب وأن يكون عام ١٩٨٨ عام بدء تعريـــب الطب في كلياته المختلفة في الوطن العربي على أن يتم ذلك تدريجيا في الســـنوات العشر القادمة" . كما أوصى المؤتمـــر أن تكون البحوث في مؤتمرات اتحاد الأطبـــاء العرب باللغة العربية ومناشـــدة منظمـــة الصحة العالمية عقد اجتمـــاع لعمـــداء كليات الطب في العالم العربي لمناقشـــة موضوع البدء في عملية تعريب الطب .

وفيما أعلم عقدت عدة اجتماعـــات وكان الجدل حول هذا الموضوع بـــين مؤيد ومعارض وكما يقـــول الأســـتاذ الدكتور أبو شادي الروبي عضو المجمـــع إنه حين عرض قرار وزراء الصحة العرب

بضرورة التزام الجامعات بالانتهاء من تعريب الطب مع نهاية القرن الحالي - حين عرض هذا القرار على مجلس كلية الطب بجامعة القاهرة تبين أن ٧٥% من الأساتذة للأسف رفضوا ما جاء به تجنيا على اللغة العربية أنها قد تقصر عن الوفاء بمتطلبات التدريس بها وقد تعزلهم عن التقدم العالمي في مجال الطب وبحوثه وقد فاتهم أن جامعة دمشق تقوم بتدريس الطب باللغة العربية منذ أكثر من خمسين عاما ونيف حتى اليوم كما أن معظم جامعات العالم تدرس العلوم والطب بلغاتها القومية .

وفي هذا السياق أيضًا تجدر الإشارة إلى أن الستينيات وأوائل السبعينات قد شهدت محاولات جادة للتدريس باللغة العربية للسنوات الإعدادية بكلية الطب وكانت النتائج عظيمة من حيث استيعاب الطلاب للمادة العلمية وتفهمها في سهولة ويسر وللأسف الشديد عُدل عن ذلك وعاد التدريس باللغة الإنجليزية استجابة لما طالبت به كلية الطب في أوائل السبعينيات . وربما كان عدم توافر المراجع العلمية الحديثة باللغة العربية ترجمة وتأليفا وتعريبا أحد الأسباب في هذه النكسة - أضف إلى ذلك افتقار المدرس الجامعي والعالي إلى التأهيل الأمثل للتدريس بالعربية السليمة بدلا من ذلك الخليط من لغة أجنبية ضعيفة مترددية وعربية عامية دارجة . ويجدر بي أن أشير هنا أن بين الدراسات الرائعة التي كتبها العالم الجليل الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربية الأردني دراسة قيمة حقا في موضوع تأهيل أعضاء هيئة التدريس بالجامعة للتدريس باللغة العربية وهي دراسة جديرة بالعناية والاهتمام .

أهمية الكتاب في تعريب العلوم

من المشاهد أن المكتبة الجامعية في مصر لا تزال كما قدمنا فقيرة حتى اليوم في الكتب والمراجع العلمية الحديثة المؤلفة باللغة العربية أو المترجمة إليها بكليات العلوم والهندسة والطب بفروعه المختلفة والصيدلة وبعض المعاهد العليا باستثناء بعض المقررات الدراسية في بعض هذه الكليات،إذ لها كتبها بالعربية لأنها تدرّس بهذه اللغة - وسبب ذلك الذي نشهده من قلة المستحدث من المراجع العلمية العربية هو العزوف عن التأليف أو الترجمة في غيبة الحافز الذي يدفع إلى

ذلك - ومرد ذلك أيضا إلى الأزمة التي تمر بها حركة الترجمة بوجه عام .

وغني عن البيان أن الترجمة ضرورية لتحقيق التواصل الفكري الدائم بيننا وبين العالم الغربي الذي تتقافز خطواته في معارج الرقي والتقدم . كما أن اللغة العربية تزدادغني وثراء بالترجمة وتتسع آفاقها بالحضيلة الجديدة التي تضاف إلى مذخور تراثها وتصبح أقدر على تأدية رسالتها في عصر العلم والتقدم العلمي والتكنولوجي بفضل عملية التلاحم التي تضطلع بها الترجمة،ولاشك أن لكل ذلك انعكاساته الإيجابية على التعليم باللغة العربية في جامعاتنا ومعاهدنا العالية.

والجدير بالذكر أن الترجمة قد ازدهرت في مصر في عصور سابقة - في عصر رفاعة الطهطاوي شيخ المترجمين الذي قاد أكبر حركة للترجمة في عصره وبلغ عدد ما ترجم نحو ألفين من الكتب والرسائل في مختلف العلوم والفنون - وكان منهج الطهطاوي في ترجمة المصطلحات أو المفردات الأجنبية هو أن يجدد في ذهنه معاني هذه المفردات ثم ينقب عن ما يتلاءم معها من المفردات العربية في المعاجم العربية وأحيانا يلجأ إلى تعريب المصطلح الأجنبي فيضعه بنصه مع بعض تعديل يتلاءم مع النطق العربي وكان يرى أن هذه المصطلحات المعربة يمكن أن تأخذ طريقها إلى اللغة العربية كغيرها من المصطلحات المعربة عن اليونانية والفارسية وغيرها وكان لهذه الجهود أثرها العميق في النهضة العلمية والثقافية في مصر .

كما تجدر الإشارة إلى أيام "المقتطف" الذي بدأ نشاطه في مصر عام ١٩٨٥ وامتد أكثر من خمسين عاما وكان يحفل بمختلف التراجم والموضوعات العلمية والمصطلحات باللغة العربية ، أو إلى أيام لجنة التأليف والترجمة والنشر التي أنشئت علم ١٩١٤ وزودت المكتبة العربية على مدى ثلاثين عاما بطائفة من الكتب والمؤلفات والتراجم التي كانت عونا كبيرا للتعليم العالي والجامعي ، أو إلى أيام المجلس الأعلى للعلوم في أواخر الخمسينات (١٩٥٦) حين أشرف على برنامج لترجمة أمهات الكتب والمراجع في العلوم الأساسية الجامعية إسهاما في تدريسها باللغة العربية ودعما لحركة تعريب العلوم، وقد زود الكثير من هذه الكتب بكشافات تضم

المصطلحات العلمية الأجنبية ومقابلاتهـــا باللغة العربية - وهكذا فعلت مؤسســـة فرانكلين حين بـــدأت في الســـتينات في ترجمة العديد من المؤلفات العلمية الرائـدة إلى اللغة العربية بهدف الاستفادة بهـــا في التعليم الجامعي وكذلك في نشر الثقافـــة العلمية وهكذا فعل مشـــروع "الألـــف كتاب" الذي نهضت به وزارة الثقافـــة بوزارة التربية والتعليم وتولته بعد ذلـــك هيئة الكتاب - ولكن من المؤسف حقـــا أن الكثير من هذه الكتـــب والمراجـــع الجامعية التي نقلت إلى اللغة العربية قـــد أهملت وطواها النسيان، إذ أن العـــزوف عن التدريس بالعربية قد وأد معظمـــها . وأجهض الجهود المضنية التي بذلـــت في سبيل إنجازها .

. بارقـــة أمل وتفـــاؤل :

وسط هذا الأسى على مـــا فـــات يتبدى على الجانب الآخر ما يبعث علـــى التفاؤل والأمل فقد بدأ تدريس بعـــض المقررات باللغة العربية في بعض كليـــات العلوم والهندسة والطب البيطري في بعض الجامعات والمعاهد العليا تطمح إلى بعضها فيما يلي وهي بداية طيبة علـــى طريـــق تعريب العلوم نرجو لها الاطراد والنماء :

أولا في كليـــات العلـــوم : تدريـــس الرياضيات في الســـنتين الأولى والثانيـــة باللغة العربية وكذلك علم البيئة النباتيـــة وفسيولوجيا النبات بعلوم عين شمـــس . وتدريس علوم الكيمياء والفيزيقا والنبات والحيوان والجيولوجيا والرياضيـــات في السنة الأولى بعلـــوم المنصـــورة باللغـــة العربية. وتدرس علوم السنة الإعداديـــة بعلوم الأزهر باللغة العربية وكذلك علوم الأجنة والتطور والبيئـــة والتصنيـــف في السنوات الأخرى .

ثانيا في كليات الهندسة :

تدرس علوم السنة الإعدادية باللغـــة العربية وتشمل الرياضيـــات والفيزيقـــا والميكانيكا والكهرباء والهندسة الوصفيـــة وغيرها - كما تدرس مقررات أخـــرى بالعربية في خـــواص المـــادة والمســـاحة والحجوم والكميات في الســـنتين الأولى والثانية بهندسة عين شمس ويدرس كذلك علم السكك الحديدية والطرق وتخطيطها بالسنة الرابعة .

ثالثًا : في كليات الطب البيطري:

تدرس علوم الوراثة وتربية الحيـــوان والاقتصاد الزراعي باللغة العربية .

رابعًا : في كليات الطب والصيدلة وطب الأسنان :

عزوف واضح عن التدريس باللغة العربية حتى الآن . ولو أنه في بعض المواد كالطب النفسي بجامعة عين شمس يجوز للطالب أن يجيب باللغة العربية وتوجد كتب ومؤلفات في هذا الفرع وفي غيره كالصحة العامة والأمراض العصبية والرمد وتدرس بعض هذه المقررات باللغة العربية في جامعة الأزهر وغيرها .

وفي السنوات الأخيرة ظهرت حركة طيبة بكلية الطب بجامعة الأزهر حيث يقوم بعض أساتذتها بالتأليف باللغة العربية في بعض تخصصاتهم من العلوم الطبية، منهم الأستاذ الدكتور محمد عبد العزيز محمد الذي وضع أول كتاب ضخم (٥٥٩ صفحة) عن العين وطب العيون باللغة العربية وكذلك أول كتاب لغوي رمدي وعنوانه " الأصل العربي لمفردات طب العيون أثبت فيه أن اللغة العربية هي الأم لجميع اللغات وقد أشاد مجمع اللغة العربية بهذا المؤلف حين عكف على دراسته، كما نشر الدكتور عبد العزيز كتابا آخر عن أم الغلوق" أو الجلوكوما (المياه الزرقاء) باللغة العربية

- كذلك وضع الأستاذ الدكتور عبد اللطيف موسى عثمان ثلاثة مجلدات عن أمراض الجهاز العصبي باللغة العربية - والأستاذ الدكتور عبد المجيد إبراهيم اللبان وآخرون يعدون كتاباتهم في تخصصات أخرى إسهاما منهم في تعريب العلوم الطبية والطبيعية بجامعة الأزهر ونرجو أن تمتد هذه الحركة المباركة إلى الجامعات الأخرى في مصر .

دور مجمع اللغة العربية وهيئات أخرى في النهوض بتعريب العلوم في مصر :

تشهد مصر منذ سنين نشاطا ملحوظا من هيئات علمية ولغوية تعمل جاهدة في صبر وأناة على اتخاذ اللغة العربية لغة للعلم وتطبيقاته وفي مقدمة هذه الهيئات مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذي يقوم - من بين مهامه اللغوية والعلمية والأدبية الكبرى - بمهمة وضع المصطلحات العلمية . ويسير المجمع على نهج واضح ومستقر لوضع هذه المصطلحات يلتزم به، فحين تتصدى اللجان العلمية (٢٠ لجنة) لترجمة مصطلح أو تعريبه تدرس المصطلح معنى ومبنى وأصله اللاتيني أو اليوناني، وتبحث عن أفضل المقابلات له باللغة العربية، وترجع

في ذلك إلى مختلف المعاجم اللغوية ، وقد تجد مقابلا أو مأثورا دقيقا غير مطروق في كتب العلم القديمة يؤدي المعنى فتأخذ به وتصطفيه ليشيع استعماله، ثم يعرف المصطلح تعريفًا علميا دقيقا . ويمر المصطلح في مراحل من الدراسة والتمحيص كفيلة بصقله وصوغه الصياغة المثلى بدءا باللجنة العلمية المتخصصة ثم بمجلس المجمع ثم بمؤتمره السنوي .

وتجدر الإشارة إلى أن التقدم العلمي المذهل في مجال العلم والمعرفة والذي نشهده اليوم في ثورة المعلومات والحاسبات وثورة الاتصالات والإلكترونات والهندسة الوراثية والتكنولوجيا الحيوية وعلوم الفضاء والبيئة وغيرها كل ذلك جاء إلينا بسيل منهمر من المصطلحات الحديثة والمستحدثة – فإذا استعصى علينا أن نجد لها المقابلات العربية المناسبة لجأنا إلى التعريب كما عرب العرب قديما فأخذوا عن اليونانية والهندية والسورياتية والفارسية والتركية وكما عرب المحدثون عن الإسبانية والإيطالية والإنجليزية والفرنسية ومع ذلك فإن اللغة العربية كانت ولا تزال من الثراء بحيث يمكنها أن تستوعب الكثير مما تفرزه هذه الثورات العلمية الحديثة من مصطلحات.

وقد أنجز المجمع أكثر من مئة وخمسين ألف مصطلح في مختلف التخصصات، عدا عدة آلاف أخرى تحت الإعداد ومن بين هذه المصطلحات نحو خمسة وخمسين ألف مصطلح علمي وتكنولوجي متخصص أخذ جزءٌ كبير منها طريقة نحو المعاجم العلمية المتخصصة التي أصدرها المجمع وهي أربعة عشر معجما منها معجم الجيولوجيا ومعجم الفيزيقا ومعجم الحاسبات ومعجم الكيمياء والصيدلة ومعجم البيولوجيا في علوم الأحياء والزراعة ومعجم النفط ومعجم المصطلحات الطبية ومعجم الهندسة ومعجم الرياضيات ومعجم الفيزيقا النووية ومعجم الهدرولوجيا ومعجم القانون – هذا بالإضافة إلى ست وثلاثين مجموعة من مجموعات المصطلحات التي أقرها المجمع .

وغني عن البيان أن هذه الحصيلة اللغوية الهائلة من المصطلحات العلمية المشروحة والمعرّفة تمثل دعما قويا لحركة

تعريب العلوم والتعليم ومعينا زاخرا وعونا للمؤلفين والمرتجمين الذين ينقلون الكتب العلمية الأجنبية إلى اللغة العربية أو لأساتذة الجامعات والمعاهد الذين يدرّسون علومهم باللغة العربية حين يكتمل الشوط وتخطو حركة التعريب في كليات العلوم والطب والهندسة خطوات فسيحة إلى الأمام ويصبح التدريس فيها بلسان عربي مبين - وتحضرني في هذا المقام مقولة لأستاذنا الجليل الدكتور شوقي ضيف " علينا التأكيد على أهمية تعريب العلوم لأن معنى ذلك التخلص من التبعية للغرب أو التبعية العلمية بعد أن تخلصنا من التبعية السياسية وينبغي أن نتخذ الوسائل الممكنة للتخلص من هذه التبعية لكي تعود للعرب نهضتهم العلمية الحقيقية .

وتجدر الإشارة هنا أيضًا إلى عمل معجمي يعد قمة في الأداء والاستقصاء هو معجم العالم الطبيب الدكتور محمد شرف والذي أصدره عام ١٩٢٦ في العلوم الطبية والطبيعية شاملا أكثر من أربعين ألف مصطلح إنجليزي ومقابلاتها وشروحها باللغة العربية - وكذلك إلى معاجم أخرى رائدة للمعلوف وأحمد عيسى ومصطفى الشهابي والبعلبكي وغيرها وكذلك إلى بعض المعاجم القديمة وتمثل لنا عونا كبيرا في نقل العلوم إلى اللغة العربية .

ويقتضي الإنصاف أيضا أن ألمح إلى جهود الاتحاد العلمي المصري الذي واصل نشاطه منذ نشأته عام ١٩٥٦ في اتخاذ اللغة العربية لغة للعلم وفي سبيل ذلك اهتم بموضوع المصطلحات العلمية وإيجاد المقابلات العربية المناسبة لها وقد أنجز منها بضعة آلاف ونشرها الاتحاد في كتبه وقد أشرف على هذا العمل وحبله بعلمه وخبرته عالم جليل هو الأستاذ مصطفى نظيف رئيس الاتحاد آنذاك وعضو مجمع اللغة العربية وقد عاونه في ذلك أستاذ جليل كنا معه هو الدكتور عبد الحليم منتصر الذي دفع بهذه المصطلحات إلى المؤتمرات العلمية العربية وكان آخرها مؤتمر بغداد عام ١٩٦٦ - كما تجدر الإشارة إلى أن الجمعيات العلمية في مصر والتي قفز عددها إلى مائة وعشرين جمعية علمية، الكثير منها ينشو دراساته وتلقى محاضراته باللغة العربية متخذا العربية لغة للعلم مثل الاتحاد العلمي المصري والمجمع المصري للثقافة

العلمية وجمعية المهندسين والمجمع العلمي المصري (بعض محاضراته) والجمعية المصرية لتاريخ وفلسفة العلوم والجمعية المصرية لتعريب العلوم التي يرأسها الأستاذ الجليل الدكتور عبد الحافظ حلمي عضو المجمع وتقوم بنشاط مرموق. أما الجمعيات التي تنشر بحوثها بلغة أجنبية فيلحق بالبحث ملخص باللغة العربية وهذا يحدث أيضًا في البحوث التي تنشر في المجلات الجامعية والمجلات العلمية الأحرى والتي بلغت بضع مئات في السنوات الأخيرة،ويكتب فيها الآلاف من أعضاء هيئات التدريس بالجامعات ومراكز ومعاهد البحوث في مصر - كما أن الرسالات العلمية لدرجتى الماجستير والدكتوراه والتي تكتب باللغة الإنجليزية تكون دائما مذيلة بملخصات ضافية باللغة العربية وتوجد من هذه الرسالات قرابة خمسين ألف رسالة حافلة بمادة علمية هائلة ومصطلحات علمية باللغة العربية .

نشاط آخر مرموق ذو صلة بنقل العلوم إلى اللغة العربية يقوم به منذ سنوات مركز الأهرام للترجمة العلمية ولعله الوحيد من نوعه على نطاق كبير ويعد اليوم أنشط هيئة علمية تقوم على أمر ترجمة كتب في الرياضيات والكيمياء والتكنولوجيا والطب وعلوم الأحياء والحساب الآلي وغيرها، وقد صدر منها عدد كبير كما أصدرت بعض المعاجم في العلوم المستحدثة كالكمبيوتر، وكذلك عددا من الموسوعات العلمية - وإذا كانت هيئة الكتاب أكبر هيئة حكومية في هذا المجال إلا أن الكتب العلمية التي تصدرها هي قُلّ لا كُثر لا تكاد تشفي علة أو تنقع غلة .

ومع كل النشاط الذي تقوم به هذه الهيئات وغيرها في مصر في نقل العلوم إلى اللغة العربية فلا زالت مصر والدول العربية في المؤخرة بالنسبة لغيرها من الدول وفي إحصائية لمنظمة اليونسكو عن تراجع الترجمة في الوطن العربي ذكر أن نصيب هذا الوطن من إنتاج الكتب المترجمة في عام ١٩٧٠ كان ١ في الآلف بالنسبة لما انتج في سائر أنحاء العالم وكان نصيب الدول الإفريقية ٧ في الألف أما في عام ١٩٨٦ أي بعد ستة عشر عاما تراجع ما ترجم في الوطن العربي إلى ٦ في الألف، لتحتل بذلك المركز الأخير بينما تقدمت الدول الإفريقية إلى ١٢ في

الألف، وليس التراجع في الكم فقط بل في الكيف أيضا، وقد تقلص الإنتاج المترجم في مجال العلوم الأساسية والتطبيقية إلى درجة لافتة للنظر .

وفي دراسة إحصائية أخرى مماثلة عن ما تصدره بعض الدول من كتب مترجمة إلى لغاتها أو مؤلفة كل عام أذكر أن اليابان (نحو ١١٥ مليون نسمة) لا تزال تحتل المركز الأول في العالم للسنة الثالثة عشرة على التوالي بإصدارها نحو ٣٢ ألف كتاب أو عنوان حديد سنويا وتحتل روسيا (١٢٠ مليون نسمة) المركز الثاني بإصدار ٢٨ ألف كتاب في العام تليها الصين ، ١,٢ مليار نسمة) وتصدر ٢٧ ألف كتاب تليها ألمانيا ثم أمريكا وتصدر تايوان ١٤ ألف كتاب سنويا منها ١١ ألف كتاب مترجم وتصدر هولندا ستة آلاف عنوان منها أربعة آلاف عنوان مترجم .

أما الدول العربية (٢٢ دولة) بتعداد يصل إلى ١٧٠ مليون نسمة فيبلغ ما تصدره نحو تسعة آلاف كتاب جديد سنويا في الوقت الذي يبلغ ما تصدره إسرائيل (٣,٥ مليون نسمة) نحو عشرة آلاف كتاب بالعبرية سنويا معظمها مترجم عن لغات أخرى – ومع ذلك فليس ببعيد أن يدور الزمن دورته وتعود للعالم العربي الريادة الفكرية كما كان .

الاهتمام باللغات الأجنبية والانفتاح على التقدم العلمي العالمي :

إذا كنا ندعو لقضية تعريب العلوم والتعليم بالجامعات ونعمل لها لتصبح حقيقة واقعة لاعتبارات قومية وعلمية واجتماعية إذ أن الفكر الأصيل لا يخلق في الأمة إلا إذا كانت تعلم بلغتها وتكتب وتؤلف بلغتها، فيجب في الوقت نفسه ألا يتبادر إلى الذهن أننا نريد الانغلاق على أنفسنا بل العكس هو الصحيح ، هو الانفتاح على العالم الخارجي، على علمه وفكره ومنجزاته الحديثة في العلوم وتطبيقاتها ومواكبة الإيقاع السريع الذي نشهده في هذا العصر عن حركة العلم والتقدم العلمي والتكنولوجي – ولا شك أن ذلك يعتمد في المقام الأول على إتقان لغة أجنبية من اللغات الحية كالإنجليزية أو الفرنسية نطل بها إطلالات نيرة ومثمرة على العالم الخارجي وآفاقه العلمية الرحبة – علينا الاهتمام بتعليمها في أثناء المرحلة الجامعية بل وفي مرحلة التعليم العام لأننا أصبحنا

في عصر لا يجوز فيه لخريج الجامعة طبيبا كان أم مهندسا أن يقف عند لغته القومية إذا أراد أن يتابع التقدم العلمي العالمي في مجاله وتخصصه ـ وغلى عهد قريب كان تعريف الأمي في اليابان من لا يعرف لغة أجنبية واليوم أضافوا إليها لغة الحاسوب - وإذا كان تعلم لغة أجنبية ضروريا لطالب المرحلة الجامعية ليتسع بها أفقه ويستعين بها على مزيد من الدرس والاطلاع الخارجي فإنه واجب أساسي وحتمي بالنسبة للأساتذة والمدرسين والباحثين وطلاب الدراسات العليا إذ لا يمكن أن يجري أي منهم بحوثه أو ينشر إنجازاته وهو بمعزل عن منجزات العلم والعلماء في كل مكان ودون أن يتم التواصل بينه وبين العلماء في الخارج ولن يتأتى ذلك دون إتقان لغة أجنبية حديثًا وكتابةً وفكرا، وتجدر الإشارة إلى أن برامج الدراسة في كليات العلوم تشمل برنامجا خاصا لتدريس اللغة الإنجليزية لطلاب السنتين الأولى والثانية وبرنامجا لتدريس اللغة الألمانية لطلاب السنتين الثالثة والرابعة وآخر مكثفا لطلاب الدراسات العليا - ومع ذلك فلا زلنا بعيدين تماما عن ما نبتغيه من معرفة أو إتقان للغة أجنبية ويلزم المزيد من الاهتمام والجدية في هذا المجال .

الاهتمام باللغة العربية :

لست في حاجة إلى القول إن تعريب العلوم وكذلك تعريب التعليم يتطلب رفع مستوى اللغة العربية لدى القائمين عليها والمشتغلين بها والدارسين والمدرسين على حد سواء ،بعد أن هبط هذا المستوى وبلغ درجة من الضعف والاستهانة تبدت في مختلف مراحل التعليم وأشاعت الألم والحسرة بين سدنة اللغة العربية وكثيرا ما تصدت أقلام لمأساة اللغة العربية وإن مجرد إلقاء نظرة عابرة على أوراق إجابة التلاميذ وكذلك الطلبة في الجامعات جعلنا نقف على حال اللغة العربية في مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا بل وفي مناح كثيرة من حياتنا من هبوط مستواها ومعرفة متدنية بها، ومما يدعو إلى الأسى أن الكثير مما نأكل وما نلبس وما نتداوى به وما نستخدمه من أدوات الصناعة والزراعة ومختلف الفنون وما يقع عليه بصرنا وما تسمعه آذاننا وما تلمسه أيدينا مستورد أو مصنوع بلفظه الأجنبي ويطلبه الناس بلفظه الدخيل على اللغة، وانتشرت

كتابة اللافتات الأجنبية بحروف عربية وأصبح كل ذلك جزءا من حياتنا ، وتلك هي الخطورة الكامنة التي تحدق باللغة العربية والتي تدعو اليوم إلى وقفة صارمة قبل أن تصبح اللغة العربية غريبة بيننا بعد أن كنا في شبابنا بل في أولى مراحل التعليم نقرأ كليلة ودمنة لأبن المقفع والعبرات والنظرات للمنفلوطي .

لذلك علينا من بين ما نعمل له النهوض بقضية التعريب وحل مشاكلها، أون نعمل أيضا على تأهيل المدرسين بالجامعات والمعاهد لتدريس العلوم باللغة العربية من جهة وعلى رفع مستوى الطلاب بالجامعات من جهة أخرى وذلك بوضع مناهج وبرامج متطورة لتدريس اللغة العربية وقواعدها الأساسية ويجب أن يتم ذلك أيضًا في جميع مزاحل التعليم قبل الجامعي ليكتمل بذلك البناء اللغوي للطلاب على كل مستوياتهم – بل يذهب البعض إلى ضرورة العناية باللغة العربية في مراحل الطفولة ليستقيم اللسان مبكرا نطقا وتعبيرا . وبهذا التكامل يستقيم الأمر لدى الأساتذة والطلاب على حد سواء ويصبح تعليم العلوم عربيا وبلسان عربي مبين .

وفي معرض التدليل على ثراء اللغة العربية بالمصطلحات والمترادفات شدني ما قاله الأستاذ الدكتور محمود الرخاوي مقرر لجنة التعريب باتحاد الأطباء العرب من أن " هناك " علميا " ما يثبت أن اللغة العربية الفصحى هي أم اللغات الهندية والأوربية وأصل الكلام فاللغة العربية كانت الأصل والمنبع بينما تمثل اللغات الأخرى قنوات وروافد لها (فمثلا نحو ٨٠% من أفعال اللغة السكسونية و٧٥% من أفعال اللاتينية تأتي من أصل عربي) ويؤيد هذا أن عدد الجذور في اللغة العربية يزيد على ستة عشر ألف (١٦٠٠٠) جذر بينما اللغة السكسونية بها ما يزيد قليلا على ألفي (٢٠٠٠) جذر .

اقتراحات وتوصيات

قبل أن أختم كلمتي أود التأكيد على النقاط الآتية :

أولا : علينا أن نستمر في دعوتنا لتعريب العلوم والتعليم العالي والجامعي في مصر وأن نعمل لذلك بجهد الطاقة حتى يصبح التعريب حقيقة واقعة وأن نتصدى بالحجج الدامغة لهؤلاء الذين يقفون ضد

هذه القضية القومية ويعملون على عرقلة مسيرتها وذلك من منطلق أن اللغة العربية قادرة على استيعاب مقتضيات التطور العلمي والتكنولوجي في هذا العصر ، وأن شعوبا شتى صغيرة أو كبيرة تستخدم لغتها في تدريس العلوم وفي البحوث العلمية والتطبيقية دون أن يكون ذلك ، عائقا لها في شيء .

ثانيًا : دعوة المجلس الأعلى للجامعات والمسؤولين عن التعليم العالي والجامعي في مصر إلى تبني هذه القضية ووضع خطة شاملة لها وتدرس وسائل تنفيذها وأن تسهم الجامعات إسهاما كبيرا في تشجيع التأليف باللغة العربية والترجمة إليها وأن تُعد المكتبة العلمية العربية في مختلف التخصصات وذلك للنهوض بمستوى التعليم والبحث العلمي .

ثالثا: العمل على توحيد المصطلحات العلمية في الوطن العربي للقضاء على بلبلة قائمة في استعمال المصطلح الواحد بمقابلات عربية مختلفة في البلاد العربية وقد بدا ذلك واضحا في الندوات التي ينظمها اتحاد المجامع اللغوية العربية (وكانت آخر هذه الندوات في دمشق في ديسمبر ١٩٩٦لدراسة معجم البيولوجيا) وفي المعاجم التي يقوم بإعدادها مكتب التنسيق بالرباط . ونأمل في مضاعفة الجهود التي يقوم بها اتحاد المجامع اللغوية في هذا السبيل .

رابعًا : إنشاء هيئة أو مؤسسة كبرى للترجمة والتأليف تضع خطة دقيقة لها تحدد فيها الأولويات في ترجمة العلوم والتكنولوجيا والعلوم الإنسانية مع ملاحقة التطور السريع في حركة العلم والبحوث العلمية والتكنولوجية وذلك لخدمة تعريب العلوم وتعريب التعليم الجامعي - وتوجيه عناية خاصة إلى ترجمة مجموعات متكاملة من أمهات الكتب والمراجع العلمية الأجنبية في مختلف التخصصات وكذلك تشجيع التأليف فيها - ويلحق بهذه الهيئة معهد لإعداد المترجمين وتدريبهم .

خامسا : ضرورة التوسع في تعريب المصطلحات العلمية وفي وضع المعاجم العلمية المتخصصة باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية وقد أسهم مجمع اللغة العربية في ذلك بإصدار أربعة عشر معجما في مختلف التخصصات العلمية وغيرها وتحت الإعداد معجمات أخرى في العلوم الحديثة والمستحدثة ـ ونوصي

هنا أن يبادر المجمع بإهداء أعداد كبيرة من هذه المعاجم ومجموعات المصطلحات إلى مختلف الكليات الجامعية والمعاهد في مصر للاستفادة بها في تشجيع حركة التعريب ونقل العلوم إلى اللغة العربية بفكر عربي .

سادسا : توجيه عناية خاصة إلى تعليم اللغات الأجنبية في مراحل التعليم العام والتعليم العالي والجامعي ثم في مرحلة الدراسات العليا ووضع البرامج الكفيلة بإتقانها ليتاح الانفتاح على العالم الخارجي ومتابعة التطور العلمي والتكنولوجي في هذا العصر .

سابعا : تكثيف العناية باللغة العربية في جميع مراحل التعليم وبخاصة في مرحلة التعليم الجامعي وتطوير برامجها وطرق تدريسها مع العمل على تأهيل أعضاء هيئة التدريس بالجامعات . والمعاهد العليا للتدريس باللغة العربية .

ثامنًا : التأكيد على ضرورة إعداد ملخصات باللغة العربية لجميع البحوث والدراسات التي تنشر باللغة الأجنبية في المجلات العلمية، ودعوة الجمعيات إلى الالتزام بهذا الواجب القومي .

تاسعًا : على الإعلام بروافده الثلاثة أن يكثف عنايته باللغة العربية في برامجه وبين المشتغلين به والوافدين عليه بخطبهم وأحاديثهم .

هذه اقتراحات وتوصيات حول استخدام اللغة العربية لغة للعلم وللتعليم في الجامعات والمعاهد طالما رددتها المؤتمرات والندوات واتحاد الجامعات ومنظمة اليونسكو واتحاد الأطباء العرب كما نص عليها قانون الجامعات ومنذ أكثر من ستين (٦٠) عاما حتى اليوم فلا تزال القضية – قضية التعريب – قيد البحث و لم يتحقق الأمل الذي لازلنا نتطلع إليه – ولا أراني في حاجة إلى التأكيد أنه إذا أريد لهذه القضية الحل فعلى الدولة أن تحسمها بقرار سياسي ملزم بوفر لها كل الإمكانات ويضع لها الخطة والبرنامج للعمل والتنفيذ والانطلاق باعتبارها قضية قومية ووطنية وثيقة الصلة بكياننا العربي ومستقبل التعليم في مصر .

واختم كلمت بأبيات من قصيدة عن اللغة العربية للشاعر الراحل محمد البوعي يمجدها ويدعو فيها المجمع أن يأخذ بيدها مما ألم بها ويقول :

من حط بالقلم الحروف الأولى
قد كنت منذ نشأتَ قوة عزها

الله خص بنـــورها التنـــزيلا
تقـــضي لها حـــقًّا عليك نبيلا

لغة البيان وقد شَرُفْتِ بأحمدٍ
واليوم قد هبت عليها عجمة

يدعو ويبشر للحديث فصولا
كانت على لغة البيـــان وبيلا

الله نـــزَّلها عليه معلما
فانهضْ وخذ بيد البيان فإنه

واختـــارها لغـــة تنير عقولا
لم يرض غيرك للبـــيان كفيلا

عاشت قرونا منذ أن ولد الهدى
وشكرا جزيلا لكم .

فتـــبوأت قمم اللغات أصولا
والسلام عليكم ورحمة الله .

الناطقون بها حماة تراثها
محمود حافظ

صـــانوا حماها فتـــية وكهولا
نائب رئيس مجمع اللغة العربية

يا مجمع الفصحى وحصن تراثها
لا زلـــتَ ظلا البيـــان ظليلا

الترجمة والتعريب(*)

للأستاذ الدكتور عبد الله الطيب

للتعريب مواقع كثيرة من الأهمية ، أذكر منها أربعة.

أولا – الموقع القومى – وذلك أن اللغات عنوان للأمم والقوميات ولشخصية الفرد والمجموعة،وقد ذكر الجاحظ أن اللغات بينها تغاور كما بين الناس وقال أبو الطيب:

إنما أنفس الأنيس سباع
يتفارس جهرة واغتيالا
من أطاق التماس شيء غلابا
واعتصابا لم يلتمسه سؤالا

وقد تغلب لغةٌ لغةً كما يغلب أناس أناسا، ومن غلب سلب ، ومن عزّ بزّ ، وقال تعالى : " إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة ". وإذا غلبت أمة أمة عمدت إلى أن تغلب لغتها أيضًا وإلى أن تصير اللغة الأخرى صاغرة لها ذليلة ثم تموت أو كأنْ قد .

فالحرص على العربية والتعريب واجب لدرء هذه المذلة . وقد غزتنا اللغات الإفرنجية ولاسيما اللغة الإنجليزية، حتى قد أوشك أن يغزو حرف هجائها حرف هجائنا . وحتى صرنا نستعير منها ما يفسد به لساننا ولا يزيده، كقول بعضهم: " بنشر " لإصلاح العجلات وسد خرومها، وكقولهم:"استراتيجية" وقد تعنى عنها كلمة – خطة – وتخطيط ومعناهما واضح .

وقد رأيت على أحد إعلانات شركة للأسفار (بالفلاين كاربت إلى بيت الله الحرام) وما أخذت (فلاين كاربت) إلا من ألف ليلة حيث ذكرت بساط الريح،فتأمل. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أقبلت الفِتَن كقطع الليل المظلم ".واعلم أيها القارئ والسامع الكريم أن منها فتنة المسيح الدجال . وهو هذا العصر الذى نعيش فيه، فبالله نعوذ وبه نلوذ، ولا تلوِيَنَّكَ أصلحك الله صفاته المذكورة الحسية عن الأخذ بهذا المعنى الرمزى ، فهو إن شاء الله لا يخلو من أن يكون له وجه من الصواب والله أعلم.

ثانيًا : الموقع التعليمى وهو ثلاثة أبواب باب التعليم الأولى، ولا ينبغى أن نَعدو مذهب القدماء فى البداية بالقرآن . وقد تناول بعض هذا الباب ابن خلدون فى

* ألقى هذا البحث فى الجلسة السابعة من جلسات مؤتمر الدورة الثالثة والستين يوم الخميس ١١ من ذى القعدة سنة ١٤١٧ هـ الموافق ٢٠ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٧م .

المقدمة تناولاً حسنًا ، فنبه على أن البداية بالقرآن فيها بركة، وفيها تعويذ للناشئة من مس الشيطان . ثم يضاف إلى هذا أن فيها إشعاراً بأن الناشئ قد بدأ يجاوز درجة الطفولة إلى درجة أعلى منها تقربه من النضج رجلا أو امرأة ، وذلك أن الصغير يشاهد الكبار يُصَلُّون ويسمعهم يُؤَذِّنون ، ويصله ترتيل القرآن من وسائل الإعلام، إن لم يُغَلِّبْ أهلُ داره عليها المسلسلات الأجنبية الفظيعة، وهى شر نسأل الله درأه وأن يصرف عنا عِبْئَه!

وكان أكثر الأولين يأخذون الصغار بالحفظ من سورة الناس إلى البقرة والفاتحة ويضربونهم على ذلك ، ثم يأخذون بتعليمهم العربية والفقه .

ونحن الآن قد جعلنا نؤثر طريقة البدء بالتهجى غير المرتبط بالقرآن نحو ألف أرنب، با بط، ونحو (الجمل جمل حمد) (الولد دخل) على النحو الذى فى بعض كتيبات أطفالنا الآن . وطريقة القدماء لو تأملنا أجود .

وليس أَرَبِى المفاضلة بين أسلوب الأوائل والمعاصرين وإنما التماس السبيل إلى ما هو أجْدَىٰ. وإقحام الفصحى على الصغار أنها لغتهم- وهم يسمعون فى منازلهم اللسان العامى الشائع لا الفصيح المعرب- يوقع فى أعماقهم نوعًا من النفور والازدواجية النفسية الموفية على شفًا من النفاق . البداية بالقرآن أصوب لأنهم يعلمون أنه كتاب الله وأن لغته لغة المسجد لا لغة المنزل . وإتباعُ البداية بالقرآن دَرْسَ النحو سُلوكٌ به إلى جِدِّ الدرس ، وفيه تَنْبيهٌ على أن اللغة الفصحى لا تُتَنَاوَلُ قَطْفًا دانيا يسيرا ولكن لابد فى تحصيلها من مجهود .

ولقد صنع الأقدمون مختصرًا جيدًا هو الأجرومية وشرحوها شرحًا واضحًا وطريقة الأجرومية وشروحها فيهما تعويل على الحفظ، والحفظ فى مادة النحو أمر لا مَفَرَّ منه ، ومن خير ما كُتِبَ للناشئة فى النحو مختصرًا وافيًا كتاب قواعد اللغة العربية لحفنى ناصف وأصحابه رحمهم الله، وكتب الدروس النحوية الممهدة له . وعندى أن هؤلاء أجود من كُتّاب النحو الواضح ، لأن جانب الالتزام بخطوات "هربارت " الخمس أحدث تطويلاً فيه عناء على المدرس والتلميذ معا ، وكتب العربية المحبوبة السودانية ونحوها مما كتب لتبسيط النحو والتخلص من كتب ابن

مالك وابن هشام ومذهبها عند الشراح والمحشين باطل يجب طرحه .

ولابد فى المرحلة الثانوية من درسٍ كابن عقيل والتوضيح ومغنى اللبيب وذَرْءٍ من العروض والمعانى والبيان والبديع، وينبغى أن تكون قد سبقت ذلك فى المرحلتين الابتدائية والوسطى اختيارات جياد من الشعر والنثر ككتاب أدبيات اللغة العربية وكالمنتخب فى أدب العرب، وكجمهرة خطب العرب لأحمد زكى صفوت . ولابد فى المرحلة الثانوية من درس عدد من مقامات الحريرى والبديع، وباب من الحماسة على الأقل، وجميع المعلقات العشر، وعدد حسن من قصائد المفضليات الطوال .

ثم يصحب هذا منذ البدء أخذ التلاميذ بالتطبيق والإنشاء، حتى إذا صاروا إلى المرحلة الثانوية أُخذوا بكتابة المقالات والبحث والنظر فى القاموس واللسان والصحاح، وجعل بيد كل منهم تلميذًا أو تلميذة معجم ينظر فيه ويستعين به .

وخير الوجوه ليتعلم التلاميذ لغة العلم أن يُؤخذوا بكتابة المقالات لا بحفظ مذكرات الأستاذ . وجميع هذا يمكن تخصيص عام كامل له فى أواخر المرحلة الثانوية، كما يصنع البريطانيون فى المرحلة التى يسمونها الصف السادس، وهى تهيئ الطالب تهيئة حسنة للأخذ بأسباب التلقى الجامعى الواعى الرشيد .

ومما يجب أن يدخل فى باب البحث فى هذا الطور تعويد الطلاب بنين وبنات على أساليب القدماء العلمية فى المتون والشروح ، ولا تخفى ضرورة تزويدهم بمعرفة مادة كافية وافية من علوم الدين من فقه وتوحيد وحديث . وعلينا أن نيسر شروحًا قريبة المأتى لبعض أمهات الكتب فى هذا المجال مثل الموطأ والمختصر، وجوهرة التوحيد، وتهافت الفلاسفة، ومقدمة ابن خلدون، وإحياء علوم الدين،ورسالة القشيرى،وهلم جرّا.

هذا وعندما يصير الطالب إلى الجامعة ينبغى أن يكون قد أتقن درس اللغة الإنجليزية على الأقل، وينبغى أن يكون قد عُوِّدَ فى درسها على قراءة الكتب العلمية فى مختلف أبواب العلوم .

ومن شر ضروب التصنيف للطلاب عندنا قسمتهم إلى طريقين علمى وأدبى. وفى الكثير الغالب أن ينخرط الأذكياء النجباء فى الطريق العلمى، ويترك

المتوسطون ومن دونهم للطريق الأدبى ويكون من هؤلاء من بَعْدُ المدرسون، أضعفهم مدرسو العلوم الاجتماعية والآداب وخاصة آداب اللغة العربية، ولا يمكن أن ينهض تعريب الأمة وبيانها من بعدُ على مثل هذا الأساس الضعيف وإنك لا تجنى من الشوك العنب !

ولا علاج لهذا الداء إلا أن تعمل الدول المعربة على إكرام المعلم، كما قد تعمل على إكرام الطبيب ودرجات المهنيين التى تليه كالمهندسين والبياطرة والصيادلة.

قال الشاعر :

إن المعلم والطبيب كلاهما
لا ينصحان إذا هما لم يُكْرَمَا

فكيف يخفى على أولى الألباب أنهم حين يكرمون الطبيب ولا يكرمون المعلم لن يجدوا من المعلم نصحا، وتنهار من أحل هذا الجانب الضعيف جميع الجوانب التعليمية بما فيها جانب إعداد المهندس والطبيب .

عندى أنه يجب أن يكون تصنيف الطلبة للجامعة مرتبًا على طريق واحد يؤخذ فيه الطلبة بإتقان العربية والإنجليزية والرياضيات الدنيا والعليا، وصنوف من العلوم النظرية والجغرافيا والتاريخ والفقه والحديث والخط والرسم، وتبنى الشهادة المدرسية فى أدنى درجاتها على تحصيل جيِّد فى ست مواد على الأقل ثنتان وَجُوبِيَّتَان : إنشاء اللغة العربية ونحوها وإنشاء لغة أخرى كالإنجليزية ونحوها ، ثم إذا اختار طالب العربية مثلا علينا تجنب تكرار الكتب والمواد التى مر به درسها أو درس مشابه لها فى المراحل السابقة ، وفى تعليم العربية الآن منذ البداية الأولى إلى درجة التعليم العالى والإجازة الكبرى تكرار مرهق ، خال من الإتقان والدراية والأصالة حقا . وعندى أقل مما ينبغى أن يؤخذ به طالب العربية فى الجامعة أن يكون قد حفظ القرآن وعرف تجويده ورسمه، وأن يكون قد قرأ الكتاب، ومفصل الزمخشرى، وشرح الرضى للكافية والشافية ، وتعمق العروض، واطلع على جمهرة ابن دريد وتهذيب الأزهرى وقرأ كامل المبرد وكتب الحديث،وهذا باب واسع يلزم فيه حضور محاضرات يُعدها أساتذة علماء تكون لها متابعة من معيدين محبين للعربية عارفين بها أقوياء فيها ، وينبغى أن يكون لجميع هؤلاء وظائف من المال والجاه

جيدة عالية، وأن يكون لهم فى المجتمع مكان ومنزلة مرموقة .

وإذا اختار طالب غير العربية لزم أن يكون على اتصال بالعربية وثقافتها فى باب اختصاصه، إذا كان طبيبا مثلاً ألزم بالاطلاع على أمهات كتب طب العرب مما كتب ابن سينا والرازى وابن زهر مثلا، ومما كتبه مصنّفو كتب العلاج والأقرابازين، فإن ذلك يُعوده على باب من التحصيل ربما وجده من بعدُ نافعا. ولقد شهدت أناسا من أوربا يحرصون على اقتناء مخطوطات عربية فى غرب إفريقية تتناول أصنافا من العلاج بالأعشاب والعروق، وهؤلاء يعكفون على درس لغتها التي بالنسبة للمثقف المتوسط من أبنائنا كالطلاسم المغلقات بجد وصبر عظيم ، وما أحسب اهتمام الغرب هذه الأيام بغابات إفريقية المطرية إلا قد انبعث في أصله من تجارب من هذا الفرع الذى قدمتُ ذكره .

وإذا كان متخصصا فى الهندسة مثلا ألزم بالاطلاع على مصنفات القدماء فى هذا المجال، كخطط المقريزى وكمنظومات ابن ماجد وابن الياسمين وهلمّ جرّا . وعندى أن من باب ضياع الزمن إضافة ساعات وجوبية فى علوم العربية لطلاب الهندسة والصيدلة يحضرونها كارهين ويكون أساتذتها المكلفون بها أشد كراهية لها، ولا يجدون من الطلبة ما يشجعهم على الإقبال عليها ولا يكون لديهم من التحصيل والعلم ما يدفع الطلبة إلى شهود الساعات التى هم مكلفون بها لتثقيفهم . وكأن هذا الآن مذهب عام فى أكثر جامعات بلاد العرب تدفع إليه دوافع قومية، وحظُّه من حاق العلم وأساليب التثقيف حق ضئيل!

ثالثًا : موقع لغة التدريس فى الجامعة. ويوشك الإجماع أن يكون قائمًا على ضرورة التعريب، أى تعليم الطلبة بالعربية، وقد أخذت بلاد بهذا الوجه بإلزام سياسى، ويذكر أن العلوم العصرية كانت تُعَلَّمُ فى مصر مثلاً بالعربية حتى ألزم كرومر الناس بدرسها بالإنكليزية . وهذا داخل فى ما قدمناه أولاً من باب منح الأمم ولغاتها .

وقد خطت العلوم العصرية خطا واسعة من التقدم، وكل يوم يوشك أن يطرأ أمر تقنى أو علمى جديد . وقد وضع مجمع اللغة العربية بالقاهرة معجمًا كبيرًا وافيًا لمصطلحات العلوم الحديثة ،

ويضيف إليها فى مؤتمره كل عام قـــدراً عظيما، وقد اقتدت به مجامع وهيئـــات للتعريب كثيرة فى بلاد العربية .

ولكن أمرين هامين لا يزال مغفولاً عنهما فى مجمعنا هذا وفى سائر مجامع العربيـــة. الأول إيجاد معجمات لرموز عربيـــة لا تعتمد كل الاعتمـــاد علـــى الرمـــوز المستعملة عند الإفرنج، وقـــد يقـــال إن الرموز نفسها فى العلوم الحديثة لغـــة – وعالمية العلم تقتضى توحيد رمـوزه. وفى هذا نظر ، لأن القومية والكيان القومـــى يدخلان كلاهما فى هـــذا البـــاب ، ولا أحسب أن أهل الصـــين أو اليابـــان لا يعدون رموز الأوربيين والأمريكانيين فى علومهم ، بل قد نعلم أن اليابانيين مثـــلا لم يكونوا يضعون علـــى أصنـــاف مـــا يصدرونه من بضائع غير اللغة الإنكليزيـة وربما شفعوها بشيء مـــن الفرنســية أو الألمانية . أما الآن فهم يضعون الحـــرف اليابانى أولا ويشفعونه بترجمة له، وكأنهم يقولون للمشترى قد آن لك أن تتعلـــم لغتنا. ونحن نقرأ بعدُ فى كتاب الله"وتلك الأيام نداولها بين الناس " . ومن الأخطاء الشائعة أن أمم المسلمين دخلها تـــأخر وجُمُود بعد القرن السادس الهجـــرى – والحق أن عكس ذلك قد حدث، فقـــد دخلت أمم المغول والتتار فى الإسلام عن طواعية، وأسسوا ملكا عظيما فى الهنـــد وفى بلاد ما وراء النهر، وبنى فى زمـــان تيمورلنك الاسطرلاب العظيم، وكـــان للمسلمين سبق لا ريب فيه فى ميـــادين النظريات العلمية والصناعة والملاحة أخذ أوائلها عنهم الأوربيون فى نشأتهم الفتية، ثم اتلأب بهم طريق النهضـــة العلميـة الحديثة بعد ديكارت فتفوقوا على أمـــم الإسلام. وقد اتسعت رقعة الإسلام حـتى وصلت إلى بلاد جاوة والصين والماصين، ويوشك هؤلاء مســـلمين وغـــيرهم أن يتفوقوا على أوربا فى تقنياتهـــا الحديثـــة و"لَبْثٌ قليلا ينـــزل الهيجا جَمَل " .

ولعل دور إفريقية وفيها كانت أوائل الحضارة ليس ببعيد أن يعود من جديـــد والله تعالى أعلم – هذا إن لم تقم الساعة من قبل، وقد نعلم أنها كلمح البصـــر أو أقرب .

والأمر الثانى المغفول عنه هو الترجمة. ولعلنا إن نظرنا إلى أوائل نهضة المســلمين أن نهتم كمثل اهتمامهم بالترجمة، وقـــد نعلم أنهم قد أقبلوا عليها منذ بدايـــات بصيص النهضة إليهم قبل انبثاق شمـــس

الإسلام بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فقد تقدم دعوة التوحيد ظهور نبيٍّ بنى عبس الذى ضيعه قومه وقُس بن ساعدة وزيد بن نُفيل، وبعض الحنفاء فى قريش وغيرها، ثم كبار الشعراء. ذكر صاحب كتاب الزينة أن أبا عمرو بن العلاء زعم أنهم قد كانوا فى العرب بمنزلة أنبياء بنى إسرائيل فى بنى إسرائيل، وقد عرف بعض العرب الفارسية كعدىّ بن زيد وابنه، وطلب بعضهم العلم عند سُريان جندى سابور كالحارث بن كَلدَة وابنه النَّضْر، وأخطأ لكليرك إذ نسب إلى النبى قتل النضر بن الحارث هذا، وإنما كان المقتول النضر بن الحارث القرشى أخا قتيلة بنت الحارث المذكورة فى السيرة والحماسة، وهذا خطأ يجب التنبيه عليه .

وقد حثّ النبى صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت على تعلم العبرية، وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يعرف العبرية، وحرص خالد بن يزيد على ترجمة علوم يونان وكان له قدم فى الكيمياء، وكان خُبيب بن عبد الله بن الزبير كأنه ذو اتجاه متشابه، وكلاهما كان ابن خليفة. وقد حرص العباسيون على تشجيع الترجمة حتى انتقل إليهم علم يونان كله، لا بل لعل أدبهم قد ترجموه. وفى كتاب البهبيتى الذى فى تأريخ الأدب العربى إلى القرن الثالث زعم أن العرب قد عرفوا أوزان الشعر اليونانى ، وقد ترجموا قول أفلاطون بوزن يونانى حيث قال :

يا نار أدنى من أفلاطون

فإن به إليك حاجة ما

وهذا مما ذكره القفطى فى ترجمته له فى تأريخ الحكماء .

وعلى الترجمة عوّل الأوربيون فى أوائل أخذهم بأسباب النهضة، فترجموا كتب الموسيقا، ولعلنا إن نقبنا على مخطوطات الترجمات الأولى فى هذا الباب أن نعثر على غرائب من المعلومات يكشف لنا أمر قِدَم حضارتنا فى هذا الباب، ولا شك أنهم قد ترجموا شعر العرب من قدمائهم ومحدثيهم. وفى أوائل القرن السابع عشر ترجم أربينوس الهولندى شعر أبى الطيب إلى اللاتينية،و ذكر جون أوبرى فى ترجماته القصار أن بعض البريطانيين ترجم الكتاب المقدس إلى العربية ليؤثر بذلك على المسلمين مبشرًا فيهم بالمسيحية. وهذا باب واسع ليس

مجال الخوض فيه بَلْهَ التفصيل فى هذا الموضع، وإنما مرادنا فقط أن ننبه على أهمية ترجمة الكتب الأمهات فى مختلف العلوم ليكون ذلك فاتحة إلى تهيئة أسباب النهضة العلمية الحديثة من طريق لغتنا .

وترجمة الكتب الأمهات تحتاج إلى نفقة تقوم بها الدول، وهذا الباب كالمُعْرَضِ عنه، وأمر الترجمة موكول لمجهود الأفراد وهدا محدود المدى، وأكثر ما يقع فى باب الروايات والأدبيات وبعض علمائنا يُقْدِمُ على التأليف ولكن هذا ليس له من قوة التأثير كما يكون لترجمةٍ من كتاب أُمٍّ فى بابه معلوم يترجم وتُعاود ترجمته من حين إلى حين،ليضاف إلى ذلك ما يجدُّ من كشف .

ونحن فى مجمعنا فى الخرطوم قد آثرنا أن نقدم الترجمة، وأمر متابعتها تقوم به الهيئة العليا للتعريب ونحن نتعاون معها وهى بدورها تتعاون مع المجامع في الباب الذى هي مُقدمة عليه، وقد أوصلنا إليها عملي مجمع القاهرة فى ألفاظ الأحياء وغيرها .

ومن الكتب التى نحن مقدمون على ترجمتها الآن كتاب الزراعة فى السودان الذى أعده الدكتور توفيل وزملاؤه وطبع طبعتين سنة ١٩٤٨م وسنة ١٩٤٩م . وأمامنا غيره عدد من الكتب الأمهات التى كُتِبَتْ عن السودان أيام الحكم الثنائى، ومن أهمها كتاب حيوانات السودان ونباته، وكتاب طيور السودان وحيتان النيل والبحر الأحمر، ومجموعة مجلة السودان SUDAN NOTESAND RECORDS فى وقائع مدونات فى مادة غزيرة .

رابعًا : أعنى رابع المواقع الأربعة التى قدمتُ نيتى على ذكرها فى أول هذه الكلمة - الجانب الإعلامى ، وهذا خطير للغاية ، فى جميع أبوابه، فى الإذاعة والصحافة والتلفزة ، ولا ريب أن عددا من الإعلاميين أولو قَدَمٍ فى صِحَّة العربية والحفاظ على حسن أساليبها، ولكن الغالب الآن نوع من الأسلوب المتساهل فى تراكيب جمل العربية المُقْدِمِ أحيانًا كثيرة فيها على أخطاء بعضها عن جهل وبعضها عن تعمد . وقد كان للصحافة فى مصر حرص شديد علي الأسلوب النقى السليم . ولكن معظم الصحف العربية الآن قد ساغ لها نوع من ضروب الاستعمال التى لا تستحسنها العربية الصحيحة - كاستعمال فيما مكان بينما

وكتكرار كلما، وكسبق الـــواو لاســـم الموصول وهو إنما يوصف به مـــا قبلـــه كقولهم: " سفير كذا من الدول والـــذى قال "، والحديث عن شخص واحـــد لا عن شخصين، وتعداد الأخطاء الشـــائعة مما يضيق عنه المجال ويضيق به الصدر .

وللإعلام دور مهم فى التعليم لـــو يقوم به ، وفى كثـــير مـــن مؤسســـات الإعلام جَوْرٌ على الأدباء لاحق بما سمَّـــاه القدماء حِرْفة الأدب . وذلك أن كثيرًا من مؤسسات الإعلام تضن على الأدبـــاء بما يستحقون، وتتعالى عليهم وتعاملـــهم معاملة المتسوِّلة، وتعدو على حقوقهم .

ودور النشر فيها للأديب العـــربى ظلـــم مجحف، وهذا باب يخرجنا من البحـــث إلى الشكوى. والله المستعان وله الحمـــد أولاً وأخيرا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

عبد الله الطيب

عضو المجمع من السودان

الأدب العربي ونجيب محفوظ في المجر(*)

للأستاذ الدكتور شاندور فودور

إن ترجمة إنتاج أي كاتب أو شاعر أجنبي - بحسب اعتقادي - لدى أي شعب من الشعوب ليست بالبساطة مسألة لغوية ، إذ يرتبط ذلك بتواجد شخص الذي يعرف اللغة المعنية والقادر على ترجمته بالمستوى الأدبي اللائق . إذ واقع الترجمة في حد ذاته لا يعني بأن الإنتاج المعنى المترجم يلقى على الأقل القبول أو الاهتمام به بين سكان أحد الأقطار . ولا يوجد خلاف في ذلك بالنسبة للتقبل المجري للأدب العربي ، وبشكل خاص لنجيب محفوظ . وللتفهم الصحيح لهذا الواقع ، فإنه يجب أن نرجع، من أجل ذلك ، إلى الماضي لنلقي نظرة تاريخية تساعد على تفهم الأرضية المناسبة والظروف العامة للاهتمام بالحضارة العربية وبصفة خاصة الأدب العربي . ومن المفيد الإشارة إلى تلك السمات المميزة الخاصة التي تفرق بين ذلك الاهتمام وبين الاهتمامات الأوربية العامة .

وإننا نركز قبل كل شيء على أن الخطوط العامة للاهتمامات المجرية بالثقافة العربية تتبع المتجهات الأوربية غير أنه وجدت دائما لذلك سمات ذاتية خاصة . وهكذا فقد تنامى الاهتمام في أوربا وبالمجر منذ بداية عصر النهضة والإصلاح بدراسة اللغات السامية ، وضمن إطارها اللغة العربية . إذ برزت وقتذاك المجادلات العقائدية ودارت حول الكتاب المقدس للمسيحية أي حول " العهد القديم" وهي المجادلات التي حاول المشاركون فيها إظهار وجهات نظرهم الصحيحة متذرعين وملتجئين للغته الأصلية أي العبرانية ليتخذوا منها الحجج المؤيدة لما يريدون إثباته .

وقد أيقظ الاشتغال بالعبرانية وبشكل طبيعي اهتمامهم ببقية اللغات السامية ، وبالدرجة الأولى اللغة العربية . وكان لإبد من أن يتعرفوا على الدين الإسلامى والقرآن . والجدير بالذكر أن بعض المتجهات البروتستانتية المجرية ، التي رفضت مذهب "الثالوث المقدس" استندت في حججها على كتابات المؤلفين المسلمين المختلفة . وعلى هذا الأساس لم يكن من مجرد الصدفة أن بدأ

(*) ألقى هذا البحث في الجلسة السابعة من مؤتمر الدورة الثالثة والستين يوم الخميس ١١ من ذي القعدة سنة ١٤١٧هـ الموافق ٢٠ من مارس آذار سنة ١٩٩٧م .

تعليم اللغة العربيـــة بـالمجر (بجامعـة ناجسومباط) في عام ١٦٣٧م .

وإلى جانب الدوافع الدينية ، فقـد بدأت بشكل خاص - اعتبارا من القرن الثامن عشر في أوربا الغربية - تتعمـق عوامل جديدة ساعدت علـى تنامي الاهتمامات بالشرق وضمن إطارها العالم الإسلامي والعربي .ووقتـذاك دفعـت العلاقات التجارية والسياسية والمطـامع الاستعمارية إلى ضرورة التعرف علـى الشرق أيضًا . ومن الواضـح أن تلـك الدوافع لم تظهر بالمجر وذلـك بحكـم وضعيتها الجغرافية والسياسـية ، وقـد اتجهت بدلا من ذلك نحو الشرق وفـق مبررات مجرية .*

وإلى جـانب المصـالح السياسـية والاقتصادية اليومية لعب في ذلـك دور أهم يتمثّل في أن المجريين - كمـا هـو معلوم - قد قدموا إلى موطنهم الحالي من الشرق ، في أواخر القرن التاسع ، وذلك بعد أن عاشوا من قبل فترات طويلة مـع قبائل تركية في الأقاليم الجنوبية للاتحـاد السوفيتي اليوم. ويرجع الفضل في التعرف على الفـترة المبكرة للـتاريخ المجري ، أي على المصادر الأولى المكتوبـة لهـذا التـاريخ ، وهـي كتابـات الرحالـة والجغرافيين العرب المسلمين أمثال : ابـن فضلان وابن رسته والبكري والمسـعودي والإصطخري .

لذا لا يثير الدهشة أن تصبح قضيـة دراسة المجريين عبر مؤلفات هؤلاء وعـبر الثقافة العربية والإسلامية قضية وطنيـة . وقد تنامت بشكل خـاص في النصـف الأول من القرن التاسع عشر تلك الفكرة وذلك عندما اكتسحت أوربا الأفكـار القومية وعند تشكل المفـهوم الجديـد للدول القومية .

ولقد ساعدت هذه الأرضية التاريخية على انتشار الرومانسية في المجر ، وهـي كانت النـزعة الأدبية السائدة في أوربـا في القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر . والمعلـوم أن هـذه النـزعة أعرضت عـن الكلاسـيكية المقلـدة للحضارة اليونانية اللاتينية وتحولـت إلى الماضي القومي وإلى العصور الوسـطى وإلى الشـعر الشـعبي . وقـد بحثـت الرومانسية بشكل قوي عن السـمات المميزة لها ووجدتها بين أشياء أخرى في

* على سبيل المثال الحملة الصليبية للملك المجري اندرة الثاني التي انتهت بشكل غير محطوط بالفشل التام ، غير أنا فيما بعد لم نجـد أية ردة فعل مماثلة في الحياة الفكرية المجرية ، وهي التي لم تؤثر بأي شكل من الأشكال على السياسة المجرية ، ولا على ذلك الاهتمام المتصاعد تجاه الشرق .

اكتشاف العلاقة الشرقية . وقد أبسرزت الأفكار الأخرى للرومانسية الاهتمـــام بموضوعات شرقية . وعلى سبيل المثال ، فإن الوجدانية قد صورت شخصية المرأة على أسس أنماط شرقية . وقـــد بحثـــت فكرة الحرية الرومانسية عـــن الإنســـان الطبيعي الـــذي لم تفســـده الحضـــارة ووجدته في الشرق . في نفس الوقـــت الذي ربطت محبة الصوفية الرومانســـية بالشرق ، كما لعبت الأفكار الشـــهوانية دورا يربط هؤلاء بالشرق أيضًـــا . وفي أســـلوبهم الأدبي أغرمـــوا باســـتخدام الأساليب الشرقية المعتمدة على الألفـــاظ المزهرة . وشغفت الرومانســـية بتلـــك النـــزعة الأخلاقية التعليمية التي كـــانت تغلب على الآداب الشرقية . وبشـــغف كبير فتش دعاة الرومانسية عن النـــوادر والغرائـــب ، وهكـــذا أدى اشـــتغالهم بالشرق إلى مردودات جديدة لموضوعات وأفكار أدت إلي إثراء آدابهم الخاصـــة . وبشكل آخر فإن عدم معرفة الأكثريـــة بالشرق إلى جانب بعد المسافة قد جعلت الكاتب يقوم بحبك خيوط روايته بمزيـــد من الحرية . ومن المعروف فإن " ألـــف ليلة وليلة " كانت من أكبر المؤثرات علي تشكل اهتمامات الرومانسية الأوربيـــة بالشرق ، وذلك عند ما نشرت في أوائل القرن الثامن عشـــر ترجمـــة جـــاللاند الفرنسية لألف ليلة وليلة .

ولقد سادت بالمجر - بدون شـــك - تلك المؤثرات الرومانسية ، غـــير أنـــه ظهرت بشكل خاص بعض الملامح المعينة عليها . ولما كان المجريون قـــد أعلنـــوا انتماءهم إلى الأصول الشرقية ، لذلـــك ساد اللجوء إلى استخدام كناية " شـــعب الشرق "، لذلك كان الاستشراق أمـــرا طبيعيا منذ سنوات القرن الثامن عشـــر ، وشكل هذا نوعا من البحث عن الـــذات بالنسبة للأمة ، إذ أنه إلى جانب الأصول الشرقية للمجريـــين ربطتـــهم بالعـــالم الشرقي أيضا بعض الحقائق مثل : الفنون الشعبية - بعـــض الســـمات الشـــرقية للموسيقى - بعض الأشكال التي تعتـــبر شرقية والمحببة في الآداب والتراث الشـــعبي مثل النوادر والأمثـــال والموضوعـــات الشرقية المختلفة .

وإلى جانب ذلك ، وخلال الفـــترات التاريخية المتأخرة للمجريين الذين توطنـــوا بالغرب ، فقد بقيت علاقاتهم مباشرة مع الشعوب الشرقية المختلفة ، وإن لم يكـــن

ذلكِ في بعض الحالات في شكل محظوظ. فلقد تعرضوا خلال القرن الثالث عشر إلى إبادة التتار مثل ما حدث في بغداد عاصمة الخلافة العباسية ، كما تعرضوا للاحتلال العثماني في القرن السادس عشر والذي استمر لمدة ١٥٠ عاما .

ووقعت لذلك الموضوعات الشرقية في البحر داخل دائرة الاهتمامات التاريخية. وقد اكسب ذلك الوعي التاريخي الاستشراق البحري طابعه المميز المستقل. والذي يميز الاستشراق البحري وقتذاك. إن مصادره المادية لم تكن بالدرجة الأولى من المنابع الأصلية ، ولكنه بالأساس اعتمد على تراجم ومؤلفات المستشرقين الألمان والفرنسيين والإنجليز . وقد اقتبسوا منهم الكثير .

لذا لم يكن بمجرد الصدفة أن يكون أثر ألف ليلة وليلة أكثر فعالية بالبحر . فلقد ظهرت الترجمة الألمانية فقط في عام ١٨٢٥ ، وبدأت تظهر بانتظام منذ عام ١٨٢٩ ترجمتها البحرية ، والتي شارك فيها فورشمارتي أحد كبار الشعراء البحريين .

ومن الموضوعات الشرقية المميزة القصة الغنائية الشعبية المسماة " العربي والقاتل"، التي تصور تقاليد الضيافة العربية . وتحكي قصة البدوي الذي قَرَى ضيفَه - وفق تقاليد الضيافة - وظهر بأن ذلك الضيف هو قاتل لابنه ، ورغم ذلك استمر في ضيافته و لم يقم بأذيته ، طالما تمتع بقدسية الضيافة .

لم يكن فورشمارتي مترجما لألف ليلة وليلة فقط ، بل أنه وقع بنفسه تحت تأثيرها بالكامل ، إذ استعمل عناصرها الأساسية في أشعاره . ففي أشهر دراماياته: (تشونجور وتونده) ، فقد استغل في مضمونها الفكري ثلاثة متجولين : التاجر الجوال والأمير والعالم. وترجع أشكال شخصياته إلى ألف ليلة وليلة نفسها . فسفينة التاجر الجوال تغرق وتتشتت جيوش الأمير ويدفع الشك العالم إلى الجنون ، معلنا بذلك بأن كفاح الإنسان هو غير واضح الأهداف وبدون فائدة .

وبصرف النظر عن ألف ليلة وليلة ، فإن القصة يمكن أن تعتبر من أحدث الألوان الأدبية المشتهرة . وهي تنبع من الترجمات ومن الأعمال الأصيلة أيضًا . ونلتقي في الأخيرة بالدرجة الأولى ابتداء من أعوام العشرينيات ، وفي سنوات الأربعينيات حيث تصدر أكثريتها.ونذكر

على سبيل المثال فقط تراجم يوجيـــف بايظا الناقد الأدبي المشهور الذي ترجـــم رواية واشنطن ارفيج المســـماة " وردة الحمراء " التي ليست من مؤلفات كـلتب شرقي ، غير أن موضوعها يرتبط بعـرب المغرب .

ومن بين الروايـــات الأدبيـــة ذات الوشائج العربية نذكـــر " اثيوبيكـــا " لهيليودوروس ، وبرغـــم أنهـــا تتنـــاول موضوعا قديما إلا أنها من حيث المكـــان ترتبط بمصر ، والمترجمة من الألمانية . وقد حلفت آثرا كبيرا فى الأدب المجري . .

وفي حقل الشعر ، نقلت إلى المجريـــة أشعار حافظ الفارسي . وأول أشـــعار عربية ترجمت إلى المجرية كانت في القـــرن الثامن عشر - قام بها يانوش لاكـــوش - غير أنها لم تتم من الأصل العـــربي بـــل كانت من المنتخبات اللاتينية التي جمعـــها الإنجليزي وليام جونز والـــتي وجـــهت الأنظار في أوربا لأول مـــرة إلى الشـــعر الشرقي .

بينما قام يانوش رييتسكي الذي يتقـــن العربية بمهارة بترجمته إلى المجرية العديـــد من الأشعار العربية، ووضعها في القـــالب الشعري معتمدًا على أسسها الأصليـــة .

ومما يميز معرفته اللغوية أنه بمناسبة افتتـــاح قاعـــة الصـــور في عـــام ١٨٤٦ قـــام بالترحيب بحاكم البلاد ، الأمير يوجيـــف في ثوب قصيدة عربية .

وقام العالم اللغوي الشـــهير بـــال هونفالفي بترجمة حكايات لقمان في عام ١٨٤٠، بينما قام جـــابور فابيـــان في ١٨٢٥ بترجمة لأقوال عربيـــة . ونشـــر يوجيـــف بونوكـــري في عـــام ١٨٣٤ مجموعة من الأمثال العربية . وهذا النوع من الضروب الأدبية يلقى القبول المناسب بين الحكم الشعبية الـــتي تُغْـــني الأدب المجري .

ولن تكتمل الصورة المعطـــاة عـــن التراجم الأدبية ما لم نذكر أولى الـــتراجم للقرآن التي نقلته في عـــام ١٨٣١ مـــن اللاتينية للمجرية .

وباستعراض مواقع وأماكن الأحـــداث ومواضيع المؤلفات الأدبية التي ظـــهرت مترجمة أو مقتبسة يمكننا أن نقرر بأنهـــا تتضمن بشكل طيب تلك المؤلفات الـــتي ترتبط بشكل من الأشكال بمصر .

وقام في أواخر القرن الثامن عشـــر الشاعر المجري الكبير تشوكونائي بالترجمة المجرية لنص الأوبـــرا الشـــهيرة النـــاي

السحري والتي تجري أحداثها في مصر القديمة . وتقدم شعبيتها النموذج الطيب للاهتمام الأوربي بمصر .

وفي إحدى قصص يوكائي أكبر الكتاب الروائيين المجريين في ذلك القرن والمسماة الوردة المصرية ، تتم أحداثها في مصر وذلك قبل ألفين عاما . وتظهر آثار الاستشراق قوية لدى بيتر فايدا في إحدى رواياته وعنوانها " تمثال ممنون " وهي ذات موضوع مصري وكتبها في عام ١٨٣٦ . وفي رواية أخرى له يتناول أحداثًا متعلقة بصلاح الدين .

ويلعب الدور المهم بين السمات الرومانسية حب الترحال والسفر . وشاركت يوميات الأسفار بشكل كبير في جعل الشرق أكثر شعبية أيضًا . وفي السابق كانت الأسفار تستدعيها الضرورة : فهي إما سفارة أو للقيام بالحج أو القيام بأعمال التبشير ، وفي أسوء الأحوال الوقوع في الأسر . وبالنسبة للرومانسية فإن الأسفار ضرورة نفسية .

وقد احتلت مصر المكانة البارزة المرموقة في كتب وصف الرحلات السابقة ، ومن أقدم تلك الرحلات ، تلك الرحلة التي قام بها في عام ١٦١٣ تاماش بورشوش الذي كان سفيرًا للأمير الترانسلفاني جابور باتوري إلى الباب العالي ، والذي زار مصر أيضًا . بينما كان فرنتس توت دبلوماسيا في القسطنطينية والذي زار مصر في عام ١٧٧١ . وخلاله بزغت لأول مرة فكرة بناء قناة السويس . وقد قام باطلاع السلطان العثماني عليها . بينما قام رحالة مجري آخر في عام ١٨٤٥ بالتعرف على الحوذي السابق لمحمد علي وذلك بالإسكندرية ، وكان مجري الأصل ويتحدث سبع لغات .

وقد احتلت الإسكندرية ضمن مصر المكانة الأكثر شعبية والمحببة بين جمهور القراء المجريين ، لذلك قام فورشمارتي في عام ١٨٢٨ بترجمة رحلة جيمس ادوارد إلى الإسكندرية ، والتي كانت قد ظهرت بالأصل في مجلة ألمانية .

إن ظهور الموضوعات الأدبية الشرقية ومن بينها العربية قد عملت على استكمالها الدراسات العلمية التي كانت بالأساس إما تراجم لمؤلفات غربية أو جزئيا أعمال مجرية أصيلة . ويجب علينا هنا أن نذكر شامويل ديتشي الذي نشر

في عام ١٨٠٣ مؤلفه الشامل لتساريخ مصر . وقد اشتغل أحد المؤلفين المجريين بالإسلام ، وذلك عن طريق ترجمة من الألمانية لاطروحة ظهرت في عام ١٨١١،وكانت عن حياة النبي محمد (صلي الله عليه وسلم). ونلتقي كذلك بالعديد من الدراسات ذات الموضوعات التاريخية وعلى سبيل المثال التي تهتم بمصر الحديثة وبمحمد علي وببدو الجزيرة العربية وبالوهابيين . بينما قام ريبتسكي، السابق ذكره، بعدة دراسات ناقشت الشعر العربي .

وبتقييم نشأة الاستشراق المجري ، يمكننا القول بأنه بالرغم عن جميع الحالات التي تعمقت جذورها بشكل طيب في البيئة المحلية ، إلا أن الموضوعات الشرقية كانت في كثير من الأحوال ما هي إلا ذرائع يستغلها الكاتب لكي يجد الفرصة المناسبة للتعبير عن نظراته الشخصية . وفي مثل هذا المفهوم ، فإن الفرق يبرز بين بعض الشخصيات في مدى تملكهم للمعارف الدقيقة المتعمقة للموضوع الشرقي . ونجد أن البعض لديه القدرة فقط على إطلاق أسماء شرقية الأصل على أبطاله، بينما الآخرون لديهم القدرة على إشعارنا بمدى تعرفهم الدقيق على المواقع الشرقية ، وأقدر هؤلاء هم المماثلون لفورشماري القادرون على تصوير الروح الشرقية .

وفي جميع الحالات فإن الطابع المشترك السمة في الأعمال الأدبية ذات الموضوعات الشرقية ، هو النظرة المتعاطفة المحبة للشرق .

وتميز النصف الثاني من القرن التاسع عشر بأن وسائل المواصلات المتطورة بوتيرة متسارعة ، قد عملت على تقريب المسافات بشكل كبير بين أوربا والشرق الأوسط ، وبذلك قدمت الإمكانات التي لا يمكن مقارنتها في السابق ، وذلك للتعرف الشخصي للكثير بواقع الشرق .

ونحن إذا فكرنا في كتب الرحلات المهتمة بمصر والصادرة باللغة المجرية في ذلك الوقت ، فإننا بدون مبالغة يمكننا التأكيد على تواجد تلك العلاقات الوثيقة بين البلدين مثل الحال اليوم . فلقد تواجدت جميع تلك الظروف المهيئة لتشكيل صورة واقعية للشرق وللتعرف على الشرق الحقيقي .

غير أن كارثة الحرب العالمية الأولى، قد جعلت ذلك من المحال . فلقد قسمت

الحدود أوربا إلى وحدات صغيرة عملت على إعاقة المواصلات ، وقد عمل ذلك الواقع على توغل المصاعب الجمة في شرقي أوربا ، وهذا ما انطبق على المجر أيضًا . ولذا يمكننا القول بأنه من وجهة النظر المجرية ، فإن الشرق قد ابتعد عنها مثل ما كان عليه في بداية القرن التاسع عشر . ولقد اضطرت الدولة التي قامت على حطام الإمبراطورية النمساوية المجرية إلى الإلتفاف للداخل ، ولعله ليس من المبالغة تقرير أن الاهتمام الموجه للشرق قد انعدم ، وأن هذه العزلة تظهر في تقبل بعض الأفكار الغربية أيضًا ، والتي عملت على الحد من مفاهيم الأدب العالمي .

إن الفكرة الأساسية لهذا التفكير هو أن الأدب العالمي ليس حاصلة الآداب القومية ، بل هو ذلك الأدب الذي لا يخص أحد الشعوب بل الذي يعني شيئا لجميع شعوب العالم . والأدب العالمي يضم محصلة تلك المؤلفات الأدبية بأكملها التي عن طريق تأثيرها وقيمها تلعب دورها لدى كل الشعوب المثقفة والتي تصل إليها .

وهكذا فإن آداب الشعوب الشرقية القديمة والحديثة لا تنتمي إلى محيط ذلك المفهوم ، إذ رغم تواجد قيمها ، فإنها لم تؤثر على الآداب الغربية و لم تحيط نجيب الأدب العالمي و لم تشكل جزءا معين التراث المشترك للإنسانية . ويستثنى من ذلك أدب العرب ؛ لأن أهم مؤلفاتهم يمكن قراءتها مترجمة ، ولأن آثارها تسهم في نشأة الآداب الغربية وتشكيلها ، ومن الواضح أنه لا يمكن الحفاظ على هذا التضييق المصطنع للأدب العالمي .

إن التغيرات التي حدثت عقب الحرب العالمية الثانية ، قد عملت على الانعزال داخل أوربا من جانب ، ولكنها أتاحت الإمكانية للتعرف القريب على العالم الثالث، وإلى إنشاء علاقات ثقافية إلى جانب العلاقات الاقتصادية مع هذا العالم . وقد أصبح ذلك ممكنا عقب عام ١٩٥٦ فيما يتعلق بالدول العربية ،

أما كيف أن الاهتمام بالعالم العربي لم يخمد قبل عام ١٩٥٦ ولعشرات السنين ، وكيف أنه بعد عام ١٩٥٦ قد تنامى بعد الانفتاح السياسي ؛ فإن الفضل في ذلك يرجع إلى عبد الكبير جرمانوس المستشرق المجري المرموق . إن ذلك العالم الذي اعتنق الإسلام في سنوات الثلاثينيات ، ثم أدى فريضة الحج

بعد ذلك ، قام لسنوات طويلة كمؤسسة ذات فرد واحد على خدمة نشر وجلب الشعبية للثقافة العربية بالمجر . وقد ربطته وشائج الصداقة الوثيقة مع أبرز الكتاب والشعراء العرب ، ومن بينهم نجيب محفوظ أيضًا . وقد أتاحت له سفرياته المتكررة للدول العربية المختلفة ، وبصفة خاصة لمصر فرص ذلك ، وقد شرفه العالم العربي بالعضوية في معظم مجامع اللغة العربية .

وتتركز أهمية جهوده المبذولة في خدمة الأدب العربي في ضربين : أولهما كتبه التي تناولت أسفاره إلى العالم العربي والتي عن طريقها عرف القارئ المجري بما يخفى عليه من معرفة بالشرق العربي ، وكانت كتب رحلاته معدة وفق خبراته العلمية وذات صفة إيجابية وموضوعية . فقد استطاعت أن تلقى الاهتمام المتزايد من الجماهير المجرية وزرعت في نفوسهم التعاطف مع الشرق .. وثانيهما هو سعيه الحثيث لجعل الأدب العربي أكثر قبولا لدى المجريين ، فكتب باللغة المجرية تاريخ الأدب العربي ، وأعدَّ منتخبات للشعر العربي ، وشجع حركة الترجمة الفنية لروائع الأدب العربي .

ووصفه أحد مريديه بأنه، أي جرمانوس ،هو شخصية من شخصيات القرن التاسع عشر التي تأخرت عن عصرها . وحقيقة لقد كان جرمانوس مثل كبار رومانسيي القرن الماضي الذين كان أدب الرحلات بالنسبة لهم ضرورةً روحية وبلسمًا للنفس . ونحن إذ نجري المقارنة بين القراء المجريين في الخميسنيات وبين قراء القرن الماضي نجد من الصعوبة عليهم تخطي حدود البلاد إلى الشرق والذين يقرأون عنه كنوع من الفرار من واقعهم اليومي المحزن . لذا لم يكن من الصدفة أن تطبع ترجمته الذاتية المسماة " في ضوء الهلال الساطع " عدة طبعات وكانت من أكثر المؤلفات الأدبية شعبية في الخمسينيات .

ولقد برز فرق جوهري بين الاستشراق الحديث والاستشراق الرومانسي للقرن التاسع عشر ، إذ أنه اليوم يمكن تقديم الشرق مباشرة ومن ترجمات المؤلفات الأصلية ذاتها ، مع أن الترجمات - بسبب قلة من يتقنون العربية في البداية - كانت تتم في العادة من غير العربية ، بل كانت على أساس التراجم الإنجليزية والفرنسية أو الروسية . كما

توقف لجوء الأدب المحـــري إلى اقتبـــاس موضوعات شرقية ، إذ أن الكتاب عندما لجئوا إلى ذلك في القرن الماضي كـــانوا يستغلون الرداء الشرقي للتعبير عما يجيش في أنفسهم من انفعالات مكبوتـــة . إذن فليس من المغالاة أن نقرر في هذا الصـدد بأن أدب المغامرات العلمية الخرافية بـــدأ يلعب الدور الذي لعبه الأدب الشرقي في القرن الماضي .

وقد وجه المترجمون بالدرجـة الأولى اهتمامهم إلى كبار الكتـــاب المصريـــين أمثال : محمود تيمور وطه حسين وتوفيق الحكيم وعبد الرحمـــن الشـــرقاوي ، إذ قاموا بترجمة العديد من قصصهم ، ومـــن بينها " الأيام " في عام ١٩٦٢ . والمثـــير للاهتمام أن نجيب محفوظ الذي لم تتركز عليه الأضواء ، لم ترد أي من قصصـه في المجموعة القصصية التي نشرت في عـــام ١٩٦٠ . غير أن جرمانوس قام في عـــام ١٩٦٢ بنشر مؤلفه عن تـــاريخ الأدب العربي مَنَ البداية وحتى اليوم ، لم يقـــم فقط بالتعريف في مؤلفه بنجيب محفوظ ، بل ويقدم بعض تفاصيل مـــن روايتـــه "زقاق المدق " إلى المجرية ، وبذلك نقـــل الصورة الملموسة لعنوان الرواية والـــذي تضمن من ناحية المحتوى التعبير الأكـــثر صدقاً من ترجمـــة العنـــوان في الطبعـــة الإنجليزية .

وفي عام ١٩٦٥ ظـــهرت ترجمـــة "بداية ونهاية " في ٣٠٠٠ نسخة . وكان هذا العدد هو المعدل المتوسطي وقتذاك ، وقد جانب الناشر التقدير إذ سرعان مـــا نفذت الطبعة . وقد كـــانت الدراســـة الملحقة بالرواية تناقش إنتـــاج نجيـــب محفوظ على ضوء الإيديولوجية العقائديـة الماركسية الرسمية وقتذاك . لذا ركـــزت ثقلها بالدرجة الأولى على حياة الطبقـــة البرجوازية الصغيرة التي نقلت الروايـــة صورة صادقة وحيّة لها ، وعلى حياة أهم الطبقات الاجتماعية . وإلى جانب التعبير المبسط فإنها تعترف بأن محفوظ ليس فقط أكبر الكتاب المصريين بل ومـــن أكـــبر الكتاب العرب . وكان الخطأ الوحيـــد المنسوب إلى المؤلف هو مغالاته في ذكـــر التفاصيل النقدية التي شكلت عبئا علـــى الرواية وعلى القارئ .

وفي عام ١٩٧٤ ظهرت مجموعة قصصية لكتاب اليوم ، وقد شملت قصتين لنجيب محفوظ هما " شهر العسل " و " تحـــت المظلة " . وقد استكملت تلك المجموعـــة

ترجمة حياة نجيب محفوظ وتقديره ، إذ ألها قررت بأن نجيب محفوظ هو من أشهر الكتاب التحريبيين . وقد ضمت المجموعة إلى جانب نجيب محفوظ أسماء لامعة في الأدب العربي مثل الشرقاوي ويحيى حقي ومصطفى محمود ويوسف إدريس . وكان عدد نسخ الطبعة ٤٥٠٠ نسخة ، جانب التقدير فيها الناشر إذ تجاوز الطلب عدد النسخ المطبوعة .

وفي عام ١٩٧٦ ظهرت مجموعة قصصية أخرى ، وقد ضمت إحدى قصص نجيب محفوظ وهي قصة " جوار الله " .

وفي عام ١٩٨١ ظهرت قصة نجيب محفوظ المسماة " الزعبلاوي " ، وذلك في مجلة " العالم الكبير " وهي دورية تهدف إلى التعريف بالآداب الأجنبية . وقام المترجم بالتعريف في نفس المجلة برواية " ميرامار" على أساس ترجمة إنجليزية لها . وقد ذكر في هذا الصدد بأن ميرامار مثل " بنسيون فوترين " لبلزاك تنقل الصورة الواقعية للعصر وذلك عن طريق أشخاصها . وكان أبطال الرواية الرئيسيون هم شخصيات الطبقة المثقفة الخاسرة والمصورة لأضغاث أحلام الخمسينيات والستينيات . وحسب رأي كاتب المقال ، فإن مضمون ما تضعه ميرامار هدفا لها هو أن مثقفي البرجوازية الصغيرة قد استنفذوا دورهم ، وفي أن الخادمة زهرة قد تشكل شخصية قابلة للتجدد .

وعندما حصل نجيب محفوظ على جائزة نوبل في عام ١٩٨٨ ، قامت دورية "العالم الكبير " من جديد بذكره ، وقد نشرت في عام ١٩٨٩ ترجمة قام بها أرنويوهاز لقصة " عابرو السبيل " وهي التي قامت باستكمال الصورة الحية لنجيب محفوظ لدى القراء المجريين . وتبرز المقالة التحليلية المرافقة للترجمة بأن أبطال نجيب محفوظ هي لشخصيات تبدو ألها تخلفت عن شيء ما في ركب الحياة وذلك بشكل عفوي .

ويرجع نجاح شعبية نجيب محفوظ في المجر إلى عدة أسباب منها أننا نجد فيها الصورة الصادقة لعالم بعيد ، والذي قام نجيب محفوظ بتصويره باسمي وسائل الكتاب . وفي القصص المترجمة إلى المجرية يكتشف القارئ المجري بعض السمات التي تندمج جيدا - بالنسبة للكثيرين - فقط في الصورة الشرقية التي قد حددتها

حكايات ألف ليلة وليلة . وأعتقد أن السمات المصيرية العفوية التي تظهر في الزعبلاوي وفي " عابرو السبيل " ، تذكرنا بشكل قوي بمصير شخصيات ذات أدوار مصيرية في ألف ليلة وليلة .

وإذا بحثنا عن الإجابة عن السؤال في ماهية مؤلفات نجيب محفوظ التي نقدمها للجمهور المجري - الذي استحفظ اسمه وأحبّه-نُنَوِّه بأن دورية " العالم الكبير " لم تعرف عفويا برواية ميرامار ، التي هي في حد ذاتها رائعة أدبية والتي تكتسب بالنسبة للقارئ المجري خصائص جذابة ، وهي أن أحداثها تدور بالأسكندرية . وحيث أن الأسكندرية قد أصبحت شعبية لا يمكن لأي ناشر يرغب في الاستجابة لرغبة القراء وذوقهم تجاهل ذلك ، لذا نذكر مؤلفا صدر في سنوات الأربعينيات ولقي الرواج ،برغم أنه لم يبلغ المستوى الأدبي الرفيع وهو " ليلة في القاهرة " لكلير كينيت ، والتي وقعت حوادثها بالإسكندرية في سنوات الثلاثينيات . وقد عمّقت شعبية الإسكندرية لمدة طويلة لدى القارئ المجري. وفي سنوات السبعينيات قوى الاهتمام بالإسكندرية وذلك بنشر ترجمة أشعار كافافيس شاعر الإسكندرية الكبير، وكذلك بنشر الترجمة المجرية لرباعية دوريل عن الإسكندرية .

ومن الأكيد أن يحظى بنفس الاهتمام مؤلف آخر لنجيب محفوظ والذي تدور أحداثه بالإسكندرية وهو رواية "السمان والخريف" . وإلى جانب ذلك ، لا نتناسى بطبيعة الحال معظم مؤلفات نجيب محفوظ الأخرى التي تحمل كل منها رسالة موجهة للإنسانية العالمية .

ولا يمكننا أن نتجاهل مدى شعبية نجيب محفوظ بالمجر إذا لم نذكر أيضًا أن مؤلفات نجيب محفوظ هي جزء مهم من المادة الدراسية لطلاب قسم اللغة العربية بجامعتنا في بودابست ، وعلى سبيل المثال، فإن آخر ما يقرأ على طلابنا هو "ثرثرة فوق النيل " وهي الرواية التي لقيت استحسانهم جميعا . هذا ولا نتناسى أيضًا أن العديد من طلابنا قد اختار لموضوع أطروحته أدب نجيب محفوظ، وذلك اعتبارًا من بداية الستينيات .

شاندور فودور

عضو المجمع المراسل

من المجر

ما استعاره الفرس من العربية
وما كان منهم(*)

إبراهيم السامرائي

أقول : كثر الحديث في التعريب من لدن اللغويين العرب وغيرهم ، كما عكف على هذا أصحاب العلوم في عصرنا . وكان من كل ذلك أن وصل جملة هؤلاء إلى ضرورته وإلى الوسائل والسبل في تحقيقه . وكنت قد شاركت في هذا السعي فكان لي شيء منه ألقيته في هذا المجمع العامر ، وفي ندوات ومؤتمرات أخرى ، وقد كان لي من جملة مشاركاتي تلك كتاب آمل أن أوافق إلى طبعة ثانية لما كان لي من إضافات عليه.

لقد عرضت للمعرَّب القديم فوقفت وقفات طويلة على "المعرَّب" للجواليقي ، وعلى الألفاظ الفارسية المعربة ، لأدي شير مطران سعرد ، وعلى " المعيار " وغيرها فرأيت أن العلماء العرب الأوائل لم يكونوا أهل دراية وافيه بما هو فارسي من الألفاظ العربية ، فأنت تجد ابن دريد في " الجمهرة " يرد إلى الفارسية وإلى أهل اليمن كثيرًا مما لم يكن له بها من علم ، وقد كان هذا دافعًا للقول في "مناكيره " المعروفة . وقد يكون مثل هذا لدى الجواليقي في " المعرب " . لقد ذهب هذا إلى أن " الكنيسة " فارسية الأصل ، وهو يقول فيها : قيل إنها فارسية ثم يضيف : وقيل إنها حبشية .

ألا ترى أنه لم يعرف البعد بين ما هو فارسي وبين ما هو حبشي ؟ ثم إنه يستعمل الفعل"قيل"، وهذا شيء من ضعف ، وفي المعرب غير هذا .

وكنت أتوقع أن يكون لمحقق الكتاب الأستاذ الجليل تعقيب على هذه المسائل .

أقول : وقد رأيت بعد هذا أن أذهب إلى الفرس لأبسط القول فيما أخذوه من العربية وما كان لهم فيه(**)، فأتعقب هذا وأدرجه على نظام المعجم .

---

* ألقي هذا البحث في الجلسة التاسعة من جلسات مؤتمر الدورة الثالثة والستين يوم السبت ١٣ من ذي القعدة سنة ١٤١٧هـ الموافق ٢٢ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٧م .

(**) أقول : لقد أفاد الفرس من العربية فوائد جمة ، ومصادرهم تؤيد هذا . غير أنهم في بعض ما كان لهم أنهم تصرفوا في دلالة الكلمة العربية فذهبوا بها إلى أبعد مما هي فيه في العربية، ومن هذا مثلا أنهم صرفوا " الاهتزاز " و" النشاط " إلى "السرور" . وذهبوا في كلمة " بخار " إلى معنى " الحمى " ، وفي كلمة " تهور " إلى الشجاعة " . وكلمة " مناظرة " جعلوها تدل على " الخصومة والعراك "، وكلمة " تجسس " ذهبوا بها إلى ما هو " البحث العلمي " ، وغير هذا .

ولابد من الإشارة قبل أن أبدأ بذكر هذه الألفاظ إلى أن الكلمة العربية التي استعارها الفرس قد ألحق بها " لاحقة " فارسية ، أو أنهم أدرجوها في مركب فارسي فتكون إما الأولى وإما الثانية .

ولي أن أشير إشارة أخرى إلى أن أغلب هذه الألفاظ العربية المستعارة تدل على أسماء معنى، كالمصادر المجردة،ومواد أخرى تتصل بالفكر والعقل كألفاظ العقيدة وما يتصل بالفِرَق وما يكون من الفلسفة . وإليك أخي القارئ هده الكلمات مع تعليقات يقتضيها هذا الدرس :

(آ)

١- آب حيات :

بمعنى " ماء الحياة " .

تعليق :

أقول : إن الكلمة مركبة من " آب " وهي كلمة فارسية بمعنى " ماء " وأخرى عربية هي " حيات " بمعنى " الحياة " وقد كان للفرس في هذه الكلمة وغيرها بسط التاء ، كما سنرى .

٢- آب دَهان :

بمعنى " لعاب أو بصاق " .

تعليق :

أقول : وجاءت كلمة " آب " في هذا المركب، وكانت قد مرت بنا في الكلمة السابقة ، وأما " دهان " فهي الدهن " العربية . وكأنهم في صنعتهم هذه ذهبوا إلى ما أرادوه في " المركب " .

٣- آب وهوا :

بمعنى " جملة ما يتصل بالمعلومات الجوية" أو قل: " نشرة الأنواء " التي تستفاد مما يُبث مما يتعلق بالجو .

تعليق :

وفي هذا المركب ترد " آب " الكلمة الفارسية ، و" هوا " بمعنى " الهواء " من العربية .

٤- آتش نِثار :

كلمة مركبة يكنى بها عن " الباكي الحزين " .

تعليق : وأما " آتش " ففارسية معناها "النار " ، وقد يتوسع فيها إلى ما يشبه النار في الصفة كالحرارة فيما تكوَّن مما يُحرق . ويذهب بها إلى لوعة العشق ، وإلى جهنم وغير هذا. وأما " نثار " فهي عربية لمح فيها ما أرادوه من الدموع.

٥- آداب دان :

بمعنى " العارف بالرسوم والتشريفات" وهذا في كلمة " آداب " وهي جمع " أدب " . ولنا في استعمال

"أدب " هذا المعنى توسعا فكان يقـــال : "الآداب الملوكية أو السلطانية ". وأمـــا "دان" فكلمة فارسية وهي لاحقة تلحـق بكلمات كثيرة وتعني "المكان أو الزمان".

٦- آشفته دماغ :

بمعنى " مضطرب الحواس، مغموم".

تعليق :

والمركب فارسي أوله " آشفته " بمعـــنى "مضطرب أو مهتاج " .

أما الثاني فهو " دماغ" من العربية .

٧- آشفته راى :

بمعنى "متردد". وكلمة " راي " هي الجزء الثاني من "رأي " المصدر للفعل "رأي".

٨- آفتاب لِقا :

بمعنى " من هو غاية في الجمال ، وجهـــه كالشمس " .

تعليق :

" آفتاب " بمعنى الشمس " و" لِقا " بمعنى "لقاء" وهو المصدر من "لقي" في العربية.

٩- أَبْجَد خوان :

أقول : إن هذا المركب يفيد مـــن هـــو "مبتدئ".

تعليق :

" أَبْجَد " مركب في العربية من الألف (الهمزة) والجيم والتاء . وهـــو أحـــد المركبات الأبجد: أبجد ، هوز ، حطـي ، كلمن ، سعفص ، قرشت ، ثخـض، ثم الظاء . وهذه غير " الألف بـــاء " الـــتي نعرفها ونســـتعمل دَرْجـــها وهـــي : أ،ب،ت،ث،ج .. ثم آتي إلى الكلمـــة الفارسية التي ألحقت بها ليكـــون مـــن الكلمتين "مركب" بمعـــنى "مبتـــدئ". و"خوان" وهـــذه في الـــتركيب بمعـــنى "خواننده" وهذه بمعنى "قارئ".(١)

١٠- أبجد رَوَان ساختَن :

بمعنى " حفظ الحروف الأبجدية ".

تعليق :

أقول : تقدم القول في " أبجد " ، فأمـــا "روان" فهي : بمعنى " الذاهب أو الجاري بسرعة " فكأن هذه تشير إلى أن القارئ المبتدئ وصل في تعلمه للقراءة إلى مرحلة السرعة دون توقف أي أتم القراءة .(٢)

وأما كلمة " ساختن " فهي بمعنى الإعمار أو البناء أو الصنعة ذات الترتيب والنظام.

وأنت ترى أن الفرس قد وصلوا في هـــذا المركب بجملة فوائد ، وما أظن أن هـــذا يشير إلى إحكام اللغة .

١١- أبجد زَر :

(١) أقول : وقد يأتي في " خواسده " معنى " مغن " و " خوانند " بمعنى قراءة أو عنا، و " خوانده " بمعنى " مقروء " بناء اســـم المفعول ، و " خواننده " اسم الفاعل .

(٢) وقد كان لنا نحن العراقيين الذين بدأنا مرحلة التعلُّم الأولى في " الكتّاب " هذه الكلمة الفارسية " روان " نستعملها في "القراءة السريعة "عبر تلك التي يبتدئ بها المتعلم فيذكر كل حرف من حركته .

وهذا المركب بمعنى " شعاع الشمس".

تعليق :

أقول:و"زَر"في هذا المركب"بمعنى"الذهب الخالص "، وكأن صنعتهم هذه للوصول إلى هذا المدلول تأتي على سبيل التشبيه .

١٢- إبلاغيّة :

وهذه بمعنى " ورقة إعلام أو تبليغ صادرة عن جهة رسمية " .

تعليق :

أقول : " إبلاغيّه " من المصدر في العربية وهو إبلاغ " غير أن الزيادة وهي اليـاء المشددة فالهاء لم تكن على طريقة العرب في "المصادر الصناعية " (١) ذلك أن الهاء لازمة ولا تتحول تاء " كما في العربية كقولنا مثلا : "النظرية النسبية في المعرفة التكنولوجية " .

١٣- أَبْلَهانة :

بمعنى "البَلَه " أو "البلاهة " وهذه من خفة العقل وقد يذهب بها إلى "الجنون".

تعليق :

أقول : والكلمة عربية ، ولكن البناء الذي ينتهي بالألف والنون والهاء الساكنة كثير في الفارسية فهم يقولون مثلا : "عاقلانه" (٢) أي بهيئة فيها عقل.

وسيأتي من هذا بعض ما استعير من العربية .

١٤- إثبات كَرْدن :

بمعنى " إثبات أو تثبيت أو تصديق "

تعليق :

أقول : أما "إثبات " فمصدر أثبت " في العربية ، وأما "كردن" فكلمة فارسية ركبت مع "إثبات" وهي بمعنى "عمل" أو "صنع " . وهذه ترد إضافة مساعدة في جملة مما استعير من العربية .

١٥- أَثَر بذير :

بمعنى " متأثر ، منفعل " .

تعليق :

أقول : لقد وصل الفرس إلى هذا المعنى الذي يندرج في مصطلحات علم النفس من كلمة " أثر" العربية . وقد تعجب أن يكون لهم هذا من كلمة دلالتها عامة . إن "الأثر" في العربية قد تحول من الإدراك الحسي كأثر القدم ونحو ذلك إلى شيء آخر توسعًا حتى انتهى كلمة فنية ، استعملت في نواح عدة .

وأما كلمة " بذير " الفارسية التي ألحقت بـ " أثر " وركبت فيها لإفادة أن يكون من المركب قبول وانفعال وتأثر .

---

(١) المصادر الصناعية في العربية قديمة ، ولكنها رادت في العربية المعاصرة بإفادة أهل العلوم منها في المصطلحات والمعربات كالنسبية والدبلوماسية والديمقراطية وغيرها وفي فصيحنا القديم لجد الجاهلية والأولية والألية وغيرها .

(٢) وقد استعمل العراقيون في عاميتهم في عصرنا" عَاقلانه " وغيرها مستعارة مما لدى الفرس .

١٦- أثر بذيرفتن :

بمعنى " التأثر أو الانفعال ".

تعليق :

لقد مر بنا القول في " بذير " ، وكنا قلنا في كلمة " أثر " العربية مـــا تقتضيـــه ، فأما : فتن فما أظن إلا أنها لزيادة الفعل ، وكأني أستبعد أنها شيء مـــن " فتنـــة " العربية التي استعارها الفرس كما سنرى.

١٧- إجاره بَها : (١)

أقول : "الإجارة " بالتـــاء معروفـــة في العربية ، وهي معروفة في كتب الفقـــه وأصول الفقه وفي الكتب القانونيـــة في العربية بمعنى " تأجير " الملك واســـتيفاء الأجر ولهاد حدودها وشروطها في المظانّ التي تقدمت . وقد اســـتعارها الفـــرس فلزمتها الهاء في الآخر في الأحوال كافـــة شأنها شأن ما استعاروه من ألفاظ عربيـــة مختومة بالتاء المعقودة . وقد يبقون التـــاء ويحولونها إلى تاء مبسوطة في الرسم نحو : حيات وحُيرت وهما حياة وحيرة .

و"بَها " كلمة فارسية بمعنى" قيمة أو ثمن" فيكون المركب بمعنى " قيمة الإجارة".

١٨- إجاره دار :

بمعنى " مؤجر ، مالك يؤجر ملكه ".

تعليق :

أقول : وترد كلمة "دار" الفارســـية في ألفاظ كثيرة ليكون منها ومما قبلها ما هو قائم بالشيء أو صاحبـــه ، (٢) وهـــذه لازمة لاحقة لتركيب ما هو"اسم فاعل".

١٩- أحامِر :

بمعنى " شرذمة من الأشرار والمتشردين".

تعليق :

ذكر أصحاب المعجمات الفارســـية أن "أجامر"عربية وهي جمع و لم يثبتوا المفرد.

أقول : وليس لنا في العربيـــة في مـــادة "جمر" هذه الكلمة الـــتي بنيـــت علـــى "أفاعل" وهو من أبنية التكسير مما وصف بـــ " منتهى الجموع" . وهذا يعـــني أن الفرس كان لهم هذا السعي فبنـــوا مـــن "جمر" هذه الكلمـــة ، وصرفوهـــا إلى "جماعة من أشرار" (٣).

و " الجمير " في معجمات العربية مجتمـــع القوم ، و" الجمرة " قبيلة لا تنتمـــي إلى أصل مشهور. و" جمرات العرب" قبائل

---

(١) أقول : وقرأت في صحيفة " إمرابة " " إجابت كردن " . وهذه هي "إجابة" العربية مصدر الفعل " أجاب " . وقد مرّ الكلام على " كردن" اللاحقة الفارسية

(٢) أقول . وقد بقي في العراق اسم " دفتر دار " وهي في الفارسية تعني " رئيس ديوان الأوراق " . ومن هذه عمارة في بغداد في أول شارع المستنصر تعرف بـــ " عمارة الدفتردار " .

(٣) كأنّ الشرذمة " اكتسبت المعنى السلبي فصرفت إلى الشرّ مع أن هذه الخصوصية ليست في فصيح العربية ، دلك أنها تعني الجماعة القليلة ، قال تعالى : " إنّ هؤلاء لشرذمة قليلون " ٥٤ سورة الشعراء .

معروفة هي : بنو الحارث بن كعـــــب، وبنو عبس ، وبنو النمر .
ثم إن معنى الكثرة والتجمع يرد في كثـير. من ألفاظ هذه الأسرة .

٢٠- اجتناب كَرْدَن :

بمعنى " تجنُّب أو ابتعاد " .

تعليق :

أقول "الاجتناب " " مصدر " اجتنـــب" بمعنى " تجنُّب " ، وأما اللاحقة " كردان" فقد سبق الكلام عليها .

٢١- إجلاسيّه :

بمعنى " موعد جلسة لجمعية أو هيئة".

تعليق :

أقول : " اجلاسيّه " من الفعل " أجلس" غير أن بناءها على هـــذا لا نعرفــه في العربية. إن مصدر " أجلس " "الإجلاس" غير أن الفرس ذهبوا إلى "إفعاليـــه " ، ثم صرفوا اللفـــظ إلى هـــذه الخصوصيـــة الدلالية. انظر "إبلاغيَّه".

٢٢- احتياج داشتَن :

بمعنى " حاجة "

تعليق :

أقول : " احتيـــاج " مصـــدر للفعـــل "احتاج" في العربية ، واللاحقة " داشتَن" فارسية تأتي لمعان هي : الملكية والمواظبـة والتعهد . ولا أدري لم كان منهم هـــذا التركيب ؟ لأن "الحاجة" قريبـــة مـــن "الاحتياج، وليس لي أن أعـــرف وجـــه زيادة هذه اللاحقة "داشتن" .

٢٣- أحوال پُرْسي:

بمعنى "السؤال عن الحال والصحة".

تعليق :

أقول : "أحوال" في العربية جمع "حـــال" وهي تدخل في السؤال عن الصحة شيء مستفيض في الألسن الدارجـــة . وأمـــا الزيادة اللاحقة "برســـي" فـــهي مـــن "پُرسيدن" بمعنى "سؤال ".

٢٤- إحيا كَرْدَن:

بمعنى " إحياء ، تجديد".

تعليق :

أقول : و " إحيا" هو المصدر "إحيـــاء" والفعل " أحيا" وقد مرت بنا " كردن".

٢٥- أخبار نويس:

بمعنى " صحفيّ أو كاتب أخبار ".

تعليق :

أقول : "أخبار " جمع خبر في العربيـــة ، وأما "نويس" فهو أمر بمعنى "اكتب".

٢٦- أَخْتَر ثُريّا:

كناية عن " دموع العاشق الساخنة".

تعليق :

إن " أختر" من الفارسية ، ومن معانيها اسم ملاك موكل على الأرض ، وأحد منازل القمر ". و" ثريا" النجم وهذا معروف في العربي .

٢٧- اختيار دار :

بمعنى " مختار أي صاحب الاختيار ".

تعليق :

أقول:وقد مر الكلام على"دار" الفارسية.

٢٨- أداكَرْدَن:

بمعنى "دلال، غُنج ، تقليد ".

تعليق :

أقول : واصل " أدا " هذه هو "أداء" وهذا من العربية وأداء العمل أو الشيء، القيام به، وقد يصرف إلى ما هو حسن فيقال : حسن الأداء لدى المغني أو الممثل أو غيرهما .

٢٩- إدامه دادَن :

بمعنى "إدامة " والكلمة مصدر الفعل "أدام" ، وأما الزيادة اللاحقة "دادَن" فارسية وتعني " الصنع أو الإيجاد".

٣٠- أدب آموز :

بمعنى "أديب أو أستاذ أو متعلم " ، وأما اللاحقة " آموز " فيؤتى بها للإعراب عن اسم الفاعل.

٣١- أدب خانه :

بمعنى "مدرسة أو كتاب " أو مستراح" ، وقد أتبعت بـ " خانه" الفارسية بمعنى "منزل" .

تعليق :

أقول : و " أدب خانه" بمعنى "المستراح" أو" المرحاض" معروف في عامية العراقيين ولا سيما في بعض الحواضر.(١)

٣٢- أدب كَرْدَن:

بمعنى "تربية أو تنبيه أو سياسة "(٢)

تعليق :

أقول : وانصراف كلمة "أدب" إلى "التربية" معروف في الألسن الدارجة العربية . ومن هنا احتمل اللفظ معنى "العقاب" لأن في العقاب تأديب وتربية. وقد رأيت هذا لدى الأقدمين ، فابن خلدون في كتاباته قد استعمل الأدب بمعنى "التقويم والتربية" ويندرج في هذا كله العقوبة . وأقول أيضا إن أهل العلم في القرن الثالث الهجري وسائر القرون قد استعملوا الأدب فأرادوا به التعليم والتربية والتقويم .(٣)

٣٣- أدبيات :

بمعنى "آداب".

(١) أقول : وقد يُحتزأ بـ " ادب" بمعنى "المرحاض " ومازالت هذه الكلمة بهذه الدلالة معروفة في لغة العراقيين .

(٢) استعمل ابن خلدون وغيره من المعاربة كلمة " سياسة " بمعنى " التربية " في قولهم " سياسة الصبيان ".

(٣) وأرى أن استعمال ابن قتيبة كلمة " أدب " بمعنى " التعليم أو التقويم في كتابه " ادب الكاتب " يندرج في هذا ، وكذلك الصولي في " أدب الكتاب " .

تعليق :

أقول : وقد رأينا في العربية في مطلع هذا القرن كتبًا بعنوان "أدبيات" وهي شعر ونثر. ولعل هذه الكلمة التي استعمل فيها الفرس صنعتهم قد وصلت إلينا من الأتراك العثمانيين الذين أفادوا كثيرا من الفارسية كما أفادوا أكثر من ذلك من العربية .

٣٤- إدراك كَرْدَن:

بمعنى "إدراك ، فهم ".

٣٥- ادّعانامه:

بمعنى " حكم

تعليق :

هذا ما ذهب إليه الفرس ، وهو في العربية " ادعاء" وينصرف إلى الإعراب عن حق أو أمر . وكثيرا ما ذهب أهل العلم إلى أن"الادعاء" الكذب.وأما "نامه" بمعنى "كتاب أو رسالة أو شهادة".

أقول وقد كنت أسمع في العراق كلمة "شهادات نامه " للشهادة التي يحصل عليها المتعلم.و" لَعَنَت نامه " بمعنى "اللعنة " وكانت تقال في الدعاء على الملعون.

٣٦- أديبانه :

بمعنى " خاصّ بالأدب أو بهيئة الأدباء ".

تعليق :

انظر " أبلهانه " .

٣٧- إرادات داشتن :

بمعنى " إخلاق أو تعلق ومحبة ".

تعليق :

قلت : لقد توسع الفرس فيما استعاروه من العربية فكان لهم هذا .

٣٨- إرادة كردن :

بمعنى " عزم وتصميم " .

٣٩- إرث بَر :

بمعنى "وارث".

تعليق :

أقول : "الإرث" معروف وهو من العربية، وأما اللاحقة "بَر" فيؤتى بها لصوغ اسم الفاعل .

٤٠- إزاربا:

بمعنى " سروال " .

تعليق : أقول " الإزار" معروف ، وأما اللاحقة "با" فهي فارسية بمعنى "رِجْل ونشمل الفخذ والساق والقدم.(*)

٤١- أساسنامه:

بمعنى " ما يكتب من الشروط لتأليف حزب أو تأسيس شركة ".

تعليق : وقد أسلفنا القول في " نامه".

٤٢- أسباب كِشي:

بمعنى " حمل ونقل أثاث بيت ".

(*) أقول : وفي عامية العراقيين " بايَة " بمعنى قوائم الأدوات فيقال . " سَي بايَة " للأداة ذات الثلاث قوائم يوضع عليها القدر . و"حاربايه " للسرير لاحتواله على أربع قوائم . أقول : وهذه من " با " .

تعليق :

أقول : لقد ذهبوا بكلمة "أسباب " وهي جمع "سبب" إلى غـــير معناهـــا ، بـــل أكسبوها خصوصية . (*)

٤٣- إسهال خَوني :

بمعنى : إسهال فيه دم " .

تعليق :

أقول و " الإسهال " من العربية الحديثة ، فلا نجدها في معجماتنا القديمـــة بهـــذه الخصوصية الطبية . وأمـــا " خُـــوني " ففارسية من " خون " بمعنى " الدم " .

٤٤- إصلاح بذير :

بمعنى " قابل للإصلاح ".

٤٥- أصل دان :

بمعنى " عـــارف بـــالأصول وحقـــائق الأمور"، وأما "دان" ففارسية وقد مـــرّت بنا بكونها تزاد للزمان والمكان ، وهي هنا تفيد ما يمكن أن يكون "صاحب الأمر " أو " ذو " في العربية .

٤٦- أصلي زادَه :

بمعنى " أصيل " ، و" زاده " بمعنى " ابن". وتزاد هده في ألفاظ كثيرة كما سنرى .

٤٧- أعليحضرت :

لفظ يخاطب به الملك ، والمركّب كلّه من العربية .

٤٨- التماس آميز :

بمعنى " ملتمس أو راجٍ .

تعليق : "الالتماس " مصدر " التَمَس" في العربية ، وأمّا " آميز " اللاحقـــة فـــهي زيادة لصوغ اسم الفاعل .

٤٩- التماس كردَن :

بمعـــنى " تضـــرّع أو رجـــاء وطلـــب الشفاعة".

٥٠- الله بختي :

بمعنى " اتفاقًا أو مصادفةً ".

تعليق :

أقول : و " بَخْت " الفارسية عُرفـــت في العربية واستعملت . وهي في عصرنـــا في الألسن الدارجة أكثر منها في الفصيحـــة المعاصرة . وقد تصرف المعاصرون بهـــا فكان منها " بخيـــت " و " مبخـــوت " لصاحب " البخت " وهو الطالع الحَسَن.

٥١- أمْنية :

بمعنى أصحاب المحافظة على الأمن مـــن رجال الشرطة . والأصل فيها " الأمن".

٥٢- أوّلين :

بمعنى " الأوّل "

٥٣- إيراد :

بمعنى " ما هو خال من القيمة " من عـذر وغيره ".

(*) أقول : و " الأسباب " بهذا المعنى والتوسع في عامية بعض حواضر العراق

تعليق :

وهذا شيء مما صرفه الفرس من الألفـاظ العربية إلى غير ما هي له في الأصل ، وقد أشرنا إلى ألفاظ عدة فيما كان لنا مـن هذا الموجز .

٥٤- إين قَدْر :

بمعنى " هذا القَدْر " و " إين " هو اسم الإشارة المفرد " هذا " وجمعها " إينان".

(ب)

٥٥- با أدب :

بمعنى " مؤدّب أو مهذّب " . وهذا المركب من "با " الفارسية التي تفيد معنى " مع " أو تكون بمعنى " ذو " أي صاحب .

٥٦- با أصل :

بمعنى " أصيل " .

٥٧- بآب حمّام ضيافَت كردَن :

تعليق : في هذا التركيب كلمتان عربيتان هما " حمّام وضيافة " ، والتركيب عبارة فيها تحية وأدب من الرجل الذي يدخل الحمام ويرى صديقًا له فيه، فهو يحييه بسكب الماء الساخن بين قدميه . ويسمّي الفرس هذا و"ضيافة الحمام".

٥٨- با تجربه :

بمعنى " مجرّب ؛ خبير "

٥٩- با حاصل :

بمعنى " ذو فائدة " .

٦٠- باحرارت :

بمعنى " ذو حرارة أي فعّال " .

٦١- باخَبَر :

أي " حبير ، مطّلع " .

٦٢- بادْ دَبور "

بمعنى " ريح الدَّبور " .

٦٣- بادْ دركف :

بمعنى " مفلس ، فارغ الكفّ " .

٦٤- باد سخا :

كناية عن "الدنيا والناس وأهل السخاء".

٦٥- با ديانت :

بمعنى " ذو دين ، وَرِع " .

٦٦- باطل كردن :

بمعنى " إبطال " .

٦٧- باطن بِين :

بمعنى " العارف بباطن الأمور " .

تعليق:و"بِين"كلمة فارسية وهي الأمر من " ديدَن " وهذه بمعنى " النظر أو التطلّع".

٦٨- باغ وَحْش :

بمعنى " حديقة الحيوان " .

تعليق : في هذا المركب تأتي كلمة "باغ الفارسية بمعنى " بستان " ، ثم " وحش" بمعنى الحيوان من العربية .

أقول : وفي عامية العراق أجد " بُقجــة" بمعنى البستان الصغـــير ، وهـــذه هـــي "باغجه"، والكلمة مختومة بـــ " جَـــه " وهي أداة التصغير في الفارسية . وأجـــد أيضًا في عاميّة العراق " باغوانجي" بمعـــنى "البستاني " وهذه من " باغبان " الفارسية و " بان " فيها بمعنى " حارس أو محافظ". وقد تحوّلت الباء في نطق العراقيـــين إلى الواو ، وهذا كثير في باب البدل بين الباء والواو ، و " جي " من التركية في النسبة وهي كثيرة في أسماء أصحاب الحِرَف.

٦٩- باقي داشتن :

بمعنى " بقاء، ثبات، عدم أداء كل شيء".

تعليق : و " داشـــتن " بمعنى مواظبـــة وطول... " .

٧٠- باقي ما نْدَكَي:

بمعنى " دوام ، تأخّر " .

تعليق : و " ما ندكي " بمعنى " التحلّف والعجز " .

٧١- باقي ما نْدَكي :

بمعنى " بقاء ، ثبات ، تأخر ".

تعليق:و"ما ندَكَى"تعني البقاء،أو التخلف.

٧٢- باقي مانْدَه :

بمعنى : ثابت وبـــاق ، والبقيـــة مـــن الحساب".

تعليق : و " ما نْدَه " بمعنى " البقيـــة أو الفَضلة " .

٧٣- بانوي مشرق :

كناية عن "الشمس" .

تعليق : أقول : في الجـــزء الأول كلمـــة أصلها من " بانور " وهي كلمة احـــترام وتشريف تقال للسيّدة وجمعها " بانوان".

٧٤- بَحْث كردن :

بمعنى " البحث في الأمر " ، وقريب مـــن هذا "بحث شُدَن" بمعنى " مورد البحث".

٧٥- بُخار شُدَن :

بمعنى " التبخّر " .

٧٦- بَدعنشِ مُداب :

كناية عن " النبيذ الأحمر " .

٧٧- بَرات :

كلمة عربية الأصل وهـــي " بـــراءة " . ودخلت في استعمال الفـــرس " بَـــرات كردن" بمعنى " تحويل الحوالة" .

٧٨- بَرأثر :

بمعنى " على الأثر ، عَقِب " .

تعليق : و " بر " بمعنى على أو فوق "

٧٩- بَرسبيل :

بمعنى " على الطريق ، على المنوال " .

٨٠- بَرْق آسا :

بمعنى " كالبَرْق في السرعة ".

تعليق : أقول ؛ واللاحقة " آسا " لبنـــاء اسم الفاعل ؛ وهذه إحدى لواحق عـــدّة لهذا الغرض .

٨١- بَرْلَكَير ؛

بمعنى " ماصّة الصواعق " .

تعليق : أقول ؛ و " كَير " من " كَـــيرا" بمعنى " جاذب".

٨٢- بَرِوانى :

بمعنى " موافق ، مطابق "

٨٣- بساط آرَسْتَن :

بمعنى " فرش الأرض " .

تعليق ؛ و " آرستَن " بمعنى " تزيـــين أو ترتيب " .

٨٤- بساط جيدَن :

بمعنى " ترتيب السُّفرة ".

تعليق : و " جيدَن " من معَانيها " بسط الشيء " .

٨٥- بسَبَب :

بمعنى : " بدليل ، بجهة " .

٨٦- بَسْته رحم :

بمعنى " محكم " .

تعليق : وهذا يأتي من معاني : بَســـته " التي فيها معنى "مربوط،مسدود أو مقيّد...

٨٧- بَسْط دادَن :

بمعنى " توسيع ، شرح ".

٨٨- بِسمِل كِردَن :

بمعنى " ذبح " .

تعليق : أقول : و " بِسمِل " مُحتَزأ مِـــن "بسم الله الرحمن الرحيـــم " ؛ ولذلـــك أطلقوا " بِسْمِل " على كـــل حيـــوان مذبوح.

٨٩- بِسيارفَن :

بمعنى " كثير المعرفة ، عـــارف بـــأبواب الحِيلَ " .

تعليق : وقد ذهبوا بـــ " فَنّ " العربية مع الزيادة السابقة إلى ما ذهبوا إليه ، وأما " بِسيار " الفارسية فتفيد "الكثـــير الوافر " .

٩٠- بشارَت رَس :

بمعنى " بشير أو قاصد ... " .

وفي هـــذا نجـــد" رس " أضيفـــت إلي "بشارت" للوصول إلى اسم الفاعل ، غير أني لم أهتد إليها .

٩١- بشارت كردن :

بمعنى " تبشير " .

٩٢- بِطور كُلّي :

بمعنى " بشكل عام " .

تعليق : أقول : المركب كله من العربية . إن " بطور " هي الباء الجارّة ، والمجـــرور "طور" ثم جاء الوصف " كليّ "

٩٣- بعَلاوه :

بمعنى " بالاضافة " .

تعليق : وهذه من العربية السائرة في قول المعربين " علاوة على ذلك ".

٩٤- بَغْي كردن :

بمعنى " ظلم ، تجاوز .. ".

٩٥- بِكارَت كِرِفتن :

بمعنى " إزالة البكارة للفتاة ".

تعليق : و " كرفتن " مصدر فارسي بمعنى " أخذ وحصول ، وتسلم ... " .

٩٦- بَلاكَش :

بمعنى " متحمّل مبتلٍ " .

تعليق : أقول : "بلا" هو المصدر " بـلاء" وأما " كش" فهي لاحقة لإفادة بناء اسم الفاعل .

٩٧- بلا كَردان :

بمعنى "دافع البلاء، حارس ، حافظ ...".

تعليق : أقول : و " كَردان " بمعنى " مـا أحاط بالشيء كالطوق ".

٩٨- بلا كِرِفته :

بمعنى " مبتلى ، مشغول " .

تعليق : أقول : و " كرفته " فارسـية . . انظر رقم ٩٦ .

٩٩- بُلبل زَبان :

بمعنى " حلو اللسان ، فصيح " .

تعليق : و " زبان " بمعنى " لغة "

١٠٠- بُلبل نَوا :

بمعنى " حَسَن الصوت كالبلبل ".

تعليق: أقول: " نَوا " بمعنى" نغمة ، واسم لحن موسيقي معروف لدى العرب".

١٠١- بلحاظ :

بمعنى " بملاحظة ، بالنظر ".

تعليق : والمركب هو الجـار والمجـرور "بلحاظ" وكلّه من العربية .

١٠٢- بَلَد :

بمعنى " عارف، مطّلع، دليل في الطريق".

تعليق : أقول: إن الكلمة " بَلَد " عربيـة، ولكن الفرس حرفوها إلى دلالة أخرى.

ومن هذا " بَلَد شدَن " بمعنى " التعرف".

١٠٣- بَلْعنده :

بمعنى " بالع ".

تعليق : ويندرج في هذا : "بَلْعيدن" بمعنى "بَلْع"أي المصدر،و"بلعيده"بمعنى "مبلوع".

١٠٤- بَلْكِه:

بمعنى "على كل حال ، ربما أيضا ، علاوة على ".

تعليق : يقول الفرس إن "المركب" مـن "بل" العربية ، و"كـه" أداة للموصـول وللاستفهام والشرط والتفسير والتعليـل ، وبمعنى "حتى ".

أقول : وفي عامية العراقيين : بلكت " أو " بلكي " بمعنى " ربما " . (*)

١٠٥- بُلَنْد إراده :

بمعنى " ذو إرادة عالية ، رفيع الهمة ".

تعليق : أقول : " بلند " بمعنى " مرتفـــع، عالٍ، محترم، ولهذه الدلالة ذهب بـــه إلى العلمية.

١٠٦- بُلَنْد أركان :

بمعنى "عالٍ ، قدير ، محترم ".

١٠٧- بَليغانه :

بمعنى : بهيئة بليغة ".

تعليق : أقول : وهذا مثـــل " أديبانـــه وأبلهانه وغيرهما " وهي بناء فارســـي، وسيمر بنا شيء منه .

١٠٨- بلْيغ شَدن :

بمعنى : " بلاغة " .

١٠٩- بِنا برآن :

بمعنى : "بناء على ذلك ".

تعليق : و" بنا " في هذا التركيب هـــو "بناء" المصدر في العربية ، و"بر" بمعـــنى "على" وقد مرت بنا . وأما "آن" فـــهو إشارة للبعيد أو الغئب .

١١٠- بِنا بَرإين :

بمعنى " وبناء على هذا ...". و"إين" إشارة للقريب وقد مرّت بنا .

١١١- بِنا كرَدن :

بمعنى "بناء أو تعمير ".

تعليق : ويندرج في هذا " بنا كير " بمعنى بناء ، معمار .

١١٢- بِنسبَت :

بمعنى " بمناسبة ، على حسب ، بمقابلة".

تعليق : أقول : وقد توسّعوا في تحديـــد دلالة نسبة العربية فابتعدوا عنها .

١١٣- بنَقد :

بمعنى "فوراً ، نقدًا ".

تعليق : وهذا الجار والمجرور قد صُـــرف لدى الفرس إلى شيء آخر بعيد عنه .

١١٤- بولدان:

بمعنى " مبوَلة ".

تعليق : وقد مـــر بنـــا كلمـــة " دان " الفارسية ودلالتها على "المحل".

١١٥- بهاريّات :

بمعنى "قصائد ربيعية ".

تعليق : أقول : الكلمة مجموعة بـــالألف والتاء من العربية ، والواحدة ، "بهاريَّـة " منسوبة إلى "بهار" بمعنى الربيع . وهـــذه الكلمة معروفـــة في الأدب العباســـي ، ومازال شيء منها في الألسن الدارجة .

١١٦- بِهَرْحال:

بمعنى"على أيّ حال ، في جميع الأحوال".

(*) قد نسمع هذه الكلمة في بلدان عربية بالراء " تركى " كما يقول الأردنيون .

تعليق : و " بِهَرْ " كلمة فارسية في هـذا التركيب بمعنى " لأجل" ، من جهة".

١١٧- بي تجربه :

بمعنى " غير مجرّب ".

تعليق : أقول : "بي" للنفي ، وقد تسبق الاسم فيكون صفة .

١١٨- بي تربَيت :

بمعنى " بلا تربية ، بلا أدب "

١١٩- بي ترديد :

بمعنى " بلا شك ، بلا تردّد".

١٢٠- بي حساب :

بمعنى " من دون حساب ، بلا حد ، بلا فائدة ".

١٢١- بي حوصله :

بمعنى " من دون صبر ".

تعليق : أقول : إن دلالة " الحوصلة " معروفة في " خَلْق الطير " ، غير أننا لم نجدها معروفة في نحو هذا في التوسّع ، ولكنّنا نجد هذا في بعض الألسن الدارجة كما هي الحال في عامية أهل العراق.

١٢٢- بي خيال :

بمعنى " بلا خيال ، بلا فكر ، بلاغمّ ، فجأة ، بلا إرادة ".

١٢٣- بيرَحم:

بمعنى " قاس ، ظالم ".

١٢٤- بيرَحْمي :

بمعنى " قسوة ، ظلم ".

١٢٥- بي زَحْمَت :

بمعنى " بلا تعب ، من دون شفقة ، وقد يراد بها ما يقال في ألفاظ المجاملة نحو "لطفًا " .

تعليق : أقول : إن الفرس قد يأخذون الكلمة العربية مما هو مستعمل في الألسن الدارجة ، ومن هذا استعارتهم " زحمة " من استعمال بعض أهل البلدان العربية .

١٢٦- بي سبَب :

بمعنى " بلا سبب ، بغير دليل ".

١٢٧- بي سَر وصدا :

بمعنى " ساكت ، من غير صوت أو حركة".

١٢٨- بي سليقة :

بمعنى " بلا ذوق ، بلا لطف ".

تعليق : أقول : وهذا من ذهابهم إلى غير معنى " السليقة " في العربية .

١٢٩- بي سيرت :

بمعنى " بلا أدب ، فاسق ".

١٣٠- بي سيرتي :

بمعنى " فسق ، فجور ".

١٣١- بي شُبْهه :

بمعنى "بلا شك ".

١٣٢- بيضه بَنْد :

بمعنى " حزام الفتق ، أو " بنطال " خاص بالرياضة العنيفة " .

تعليق : أقول : يراد بـ " بيضه " في هذا المركب " الخصية " ، وهذا مستعار من الألسن الدارجة لدى العرب . و" بند" بمعنى "رباط" وقد استعاره العرب في فصيحهم وعاميائهم .

١٣٣- بَيعانه :

بمعنى " عربون البيع ".

تعليق : أقول : إن بناء " بيعانه " أي " فعلانه " مما ولده الفرس ، وقد مر بنا شيء من هذا .

١٣٤- بَيْعت كردن :

بمعنى " تعهد بالبيع ".

١٣٥- بَيعنامه :

بمعنى " وثيقة البيع ، وقد تكون للشراء أيضًا " .

١٣٦- بيمُحابا :

بمعنى " بلا أدب ، بلا تكلف "

(پ)

١٣٧- پا بركاب :

بمعنى " حاضر ، مهيأ ".

تعليق : أقول " پا " بمعنى رِجْل تشتمل على الفخذ والساق والقدم ، وقد تصرف إلى " القدم " وحدها . وكأن التركيب يوحى إلى أن "المركوب " أي المطيّة أو السيّارة حاضرة .

١٣٨- پادَرِركاب:

بمعنى"راكب أو على أهبة السفر، محتَضَر، ويقال للشراب وقد أوشك أن يفسد .

١٣٩- پادَرهوا:

بمعنى " من دون إحكام أو تفكير ، ويقال للكلام لا أساس له ".

١٤٠- پاركاب بَرداشتَن :

بمعنى " ركوب أو امتطاء ".

تعليق : أقول : و " بَرْداشتَن " مصدر بمعنى " أخذ أو اختيار أو تحمُّل أو جَني المحصول ".

١٤١- پاعَلَم خَوان :

بمعنى " الواقف تحت الراية يوم عاشوراء تيلو دعاء ".

تعليق : أقول : و " خَوان " من "خَوانَنْده " بمعنى " قارئ ".

١٤٢- پاكْراي :

بمعنى " ذو رأي نقي أو صافٍ ، عالم ".

تعليق : أقول : و " پاك" بمعنى " النقي النظيف الصافي ". (*)

١٤٣- پُختَه راي:

بمعنى " مجرب ، عاقل ".

(*) يُسَمّي عوامُّ العراقيين الصحابيّ " سلمان الفارسي " : سلمان پاك " ، أي الطاهر النقيّ !

تعليق : أقول : و " بُختَه " في الأصـــل بمعنى " مطبوخ أو نـــاضج " ، وكـــأن الفرس قد ذهبوا به توسُّعًا ومجازًا إلى هذا كأنه الرأي الناضج أو المطبوخ ".

١٤٤- يُرادّعا :

بمعنى " دعيّ ، مخاصم " .

تعليق : أقول : و " يُر" بمعـــنى مملـــوء ، مشحون، كثير ، مشبع ".

١٤٥- ير إفادكي :

بمعنى " غرور ، تكبّر ، ادّعاء ".

١٤٦- يري سِيَرت :

بمعنى"مَن سيرته مثل" يري" أي "إبليس".

١٤٧- يريشان حال :

بمعنى " مضطرب ، سيء الحال ".

تعليق : أقول : و " يريشان " بمعـــنى " حيران ، مضطرب ، مغموم ".

١٤٨- يسَر عَمو :

بمعنى " ابن العمّ ".

تعليق : و "يسَر " بمعنى " ابن أو طفل ".

١٤٩- يَنْج أركان :

بمعنى " أركان الإسلام الخمسة ".

١٥٠- يُوشيده حرف :

بمعنى " كلام مبهم ، الرمز في الكلام ".

تعليق : أقول : و " يُوشيده " بمعـــنى " المستور أو المبهم ".

١٥١- يير تعليم :

بمعنى " معلّم ، وقد يذهب به إلى معلّـــم العلوم الدينية".

تعليق : أقول : و " يير " بمعنى " مُسِنّ أو معمّر ".

١٥٢- يِيش إمام :

بمعنى " إمام الجماعة في الصلاة ".

تعليق : أقـــول " و " يِيـــش " بمعـــنى "قُدّام".(*)

١٥٣- يِيش حرف :

بمعنى " المتقدم في الحديـــث ، صـــاحب العلبة في الكلام".

١٥٤- يِيش خِدمَت :

بمعنى " خادم ".

(ت)

١٥٥- تابوت كِش :

بمعنى " حامل التابوت " .

١٥٦- تأثر أنكير :

بمعنى " مؤثر ، محزن ".

تعليق : أقول : و " أنكـــير " لاحقـــة للوصول إلى بناء اسم الفاعل .

١٥٧- تأثير كردن :

بمعنى " نفوذ ، تأثير ".

١٥٨- تَحتِ نظر كِرِفتن :

بمعنى مراقبة ".

(*) أقول : إن ما يأتي في العربية من " أم م " كله من الظرف " أمام " ، ومثل هذا ما يكون مما يعرف من الظرف " وراء " .

١٥٩- تحريك آميز "
بمعنى " كلام مثير " .
١٦٠- تحسين كردن "
بمعنى " تحسين ".
١٦١- تحصيل كردن :
بمعنى " كسب ، جمع ، جباية الضرائب...".
١٦٢- تحصيل كرده :
بمعنى " مثقف ، مطلع ".
١٦٣- ترجيح بَند :
بمعنى " ضرب من الشعر الفارسيّ ينظمه الشاعر فيأتي بأبيات من بحر واحد وقافية موحدة ، ثم يأتي بأبيات أخرى من البحر نفسه بقافية أخرى . ويفصل هذه القطع أبيات متحدة الوزن دون القافية ، وعكسه يدعىٰ " تركيب بند ".
١٦٤- ترديد كردن :
بمعنى " تردّد ".
١٦٥- تصادف كَرْدن :
بمعنى " اصطدام أو ما يكون من حوادث المرور ".
تعليق : أقول : وهذا بعض مما غيّروا فيه دلالة الأصل العربيّ توسّعًا .
١٦٦- تعبير نامه :
بمعنى " كتاب تعبير الرؤيا " أي تفسيرها.

١٦٧- تعريف كردَن :
بمعنى " تعريف أوبيان ".
١٦٨- تعزيه خَوان :
بمعنى " قارئ الشعر في أيام ما يدعونه "العزاء" وهو تأبين الإمام الحسين وغيره من الأئمة .
تعليق : وقد مرّ بنا أن " خوان " بمعنى "قارئ".
١٦٩- تفاخُر كردن :
بمعنى " تفاخر ".
١٧٠- تفاوت كردن :
بمعنى " تفريق ، اختلاف ".
١٧١- تفضيل نِهادن :
بمعنى " تفضيل ، ترجيح ".
تعليق : أقول : و " نهادن " مصدر بمعنى " وضع " .
١٧٢- تكدّي كردن :
بمعنى " استجداء ".
١٧٣- تكيه كاه :
بمعنى " متكأ ، ملجأ ، نقطة الارتكاز ".
تعليق : أقول : لم يأخذ الفرس " تكية" من فصيح العربية أي مادة " اتكأ " ، بل إنهم أخذوها من بعض الألسن الدارجة العربية التي فيها " التكية " مما يسمى في بعض البلدان"زاوية"وهي"الخانقا" القديمة.

١٧٤- تماشا :

بمعنى " نزهة ، تفرج ، تطلع ".

تعليق : أقول : بني الفرس من الفعل العربي " مشى " بناء " تماشا " ، ثم ذهبوا به توسّعًا إلى ما كان لهم .

ومن الغريب أن هذا البناء الفارسي "تماشا" بما حمل من معنى ليس في فصيح العربية قد استعاره العرب في بعض بلدانهم فقالوا : " طمش أو تطمَّش " بمعنى تجوّل بقصد التنزُّه .

١٧٥- توصيف :

بمعنى " وصف ، بيان ، شرح ".

تعليق : أقول : ليس في العربية المضعف من " وَصَفَ " ولكن الفرس ولدوه .

١٧٦- توضيح دادَن :

بمعنى " بيان وإيضاح ".

(ث)

١٧٧- ثابت ساختَن :

بمعنى " إثبات ".

تعليق : أقول : "ساختن " مصدر فارسي بمعنى بناء ، عمارة ، وضع ، تصنيع ...".

١٧٨- ثابت شُدَن :

بمعنى " تحقيق ، برهان ".

١٧٩- ثابت كردن :

بمعنى " إثبات ، تصحيح ، تصديق "

١٨٠- ثانيه شُمار :

بمعنى " عقرب الساعة الذي يشير إلى الثواني ".

تعليق : أقول : و " شمار " بمعنى " عدد أو رقم أو حساب ".

١٨١- ثَرْوَمَنْد :

بمعنى " ثريّ ، غنيّ " .

١٨٢- ثلث بَذير :

بمعنى " كل شيء يقبل القسمة على ثلاثة".

١٨٣- ثَناخَوان :

بمعنى " مدّاح أو من يقرأ الثناء ".

١٨٤- ثَناكردَن :

بمعنى " مدح ، شكر ".

١٨٥- ثَنا كويَنْده :

بمعنى " مدّاح ، شاكر ".

١٨٦- ثَوابْكار :

بمعنى فاعل الخير .

(ج)

١٨٧- جادة صاف كُن :

بمعنى " المدحلة " التي تمهد الأرض . و"صاف كن " من العربية أيضًا وصرفوها إلى "التصفية ".

١٨٨- جادّه كشيدن:

بمعنى "تسوية الطريق ".

تعليق : أقول : و " كشيدن " مصـــــدر بمعنى " مدّ أو بسط وتطويل ".

١٨٩- جادة كوبيدَن :

بمعنى " تســـــوية الأرض " أيضًـــا . و" كوبيدن " تعني في الأصل " جبل ".

١٩٠- جانب دار :

بمعنى "حام" . و"جانب داري " : حماية.

١٩١- جاه طلب :

بمعنى " الراغب في الوصـــول إلى أعلـــى المراتب " .

تعليق:أقول:إن كلمة " جاه" قد استعارها العرب و لم يغيروا في بنائها ولا في معناها.

١٩٢- جُبران كردن :

بمعنى " تلافي الخسارة وإصلاح الكسر ".

تعليق : أقول : "جبران " مصدر مثـــــل "الجَبْر" استعير من الألسن الدارجة .

١٩٣- جداوزن :

بمعنى " مختلف الوزن ".

١٩٤- جَدَل كردن :

بمعنى " منازعة ، محادثة ، خصومة ".

تعليق : أقول : وقد ذهبوا في "الجَـــدلَ " إلى الخصومة خاصة .

١٩٥- جدوَل كَش :

بمعنى " مخطّط الجدول ، أو القلم الـــــذي يخطّ به ".

١٩٦- جراحَت بَنْد :

بمعنى " ضماد الجراح ".

تعليق: لقد مرَّ بنا أن"البند" هو "الرباط".

١٩٧- جراحَت ديده :

بمعنى " مجروح " .

١٩٨- جَرْح كَرْدن :

بمعنى " رد الشهادة " .

تعليق : أقـــول : و"جَـــرْح " في هـــذا التركيب مما هو في العربية في الحديـــث الشريف في مصطلح "الجرح والتعديل ".

١٩٩- جُرعه نوش :

بمعنى " شارب الخمر ، ثمل ".

تعليق : أقـــول : و " نـــوش " تعـــني "الترياق" كما تعني " العَسَل ".

٢٠٠- جُرْم دار :

بمعنى " مجرم " . و " جُرْم شناسي " بمعنى " شنعية البحث في الإجرام " .

٢٠١- جِري :

بمعنى جراية ، راتب ".

٢٠٢- جمع آوَردن :

بمعنى " جمع ، تحصيل ".

تعليق : أقـــول : و " آوَردن " مصـــدر يعني"إحضار " ، إظهار ، توليد ، إتيان".

٢٠٣- جُمْلَكي :

بمعنى "جميعًا ، تمامًا ".

٢٠٤- جواب دادَن :

بمعنى " إجابة ، إعطاء الجواب ".

٢٠٥- جوابْكو :

بمعنى " مجيب ".

٢٠٦- جواهر خانه :

بمعنى " مخزن الجواهر ".

٢٠٧- جَور كردن :

بمعنى " جور ، ظلم ".

(چ)

٢٠٨- چار تكبير :

بمعنى " أربع تكبيرات ".

تعليق : أقول : هذا في الصـــلاة علـــى الميت.

٢٠٩- چار رئيس :

بمعنى " العناصر الأربعة ".

٢١٠- چهار نفْس :

بمعنى : " الأربع " من النفـــس وهـــي "الأمارة واللوامة والمهلمة والمطمئنة ".

(ح)

٢١١- حاجبانه :

بمعنى " ما هو من الحجاب ".

تعليق : أقول : وهذا مما ولده الفـــرس على بناء " فاعلانه ".

٢١٢- حاحي لَتقلَق :

بمعنى " من صفته طول القد والهيئة ".

٢١٣- حادثه جو :

بمعنى " الجريء والمغامر ، والباحث عـــن الجديد ".

٢١٤- حاشا كردن :

بمعنىَ " محاشاة ، إنكار ".

تعليق : أقول : وقولي : " محاشاة " مـــن العبارة الشهيرة " حاشا لله ".

٢١٥- حاشيه نشين :

بمعنى " الجالس في طَـــرَف المجلـــس . و"نشين " من " ينشسته " وتدل علـــى "المقعد".

٢١٦- حاصِلّخير :

بمعنى : مثمر ، يقال للأرض المنتجة ".

٢١٧- حاصل كردن :

بمعنى " تحصيل ، جمع ".

٢١٨- حاكم نشِين :

بمعنى " مقر الحاكم ، أي المدينة ".

٢١٩- حاكي :

بمعنى " الحاكي ، المخبر ".

٢٢٠- حال :

بمعنى " الآن ، وهيئة الشيء وطريقتـــه ، وحال الإنسان " .

ومنها " حالا " بمعنى " في هذا الوقت".

٢٢١- حال آمَدَن :

بمعنى " سمنة،ضخامة ". و"آمَدَن " مصدر

يعـــني القُـــدوم والمجـــيء، والحضـــور، والظهور، والولادة.

٢٢٢- حال آوَرْدَن :

بمعنى إدخال السرور، و " آوردن " بمعنى " إحضـــار، والوضـــع في الشـــــيء ، وتوليد...".

٢٢٣- كرَدان :

بمعنى " مغيّر الأحوال ، الله تعالى " . وقد مرّت بنا " كردانة ".

٢٢٤- حالي كردن :

بمعنى " إفهام ".

٢٢٥- حايل شُدَن :

بمعنى " حائل ، فاصل ".

٢٢٦- حباب دار :

بمعنى " كالحباب ".

تعليق : أقول : وكلمـــة " دار " بمعـــنى "شِبْه ".

٢٢٧- حبسكاه :

بمعنى " سجن " ، و" كاه " لاحقة تـــدل على الزمان والمكان والمحل .

٢٢٨- حراج :

بمعنى " مزايدة ، أو رخصة ".

تعليق : أقول : و"حراج" هذه مســتعارة من بعض الألسن الدارجة العربية للبيـــع الإشهاري الذي تكون فيه "مزايدة"

٢٢٩- حرامْ خَوار :

بمعنى " آكل الحرام ، المرتكـــب بقبـــول الرشوة ".

تعليق : أقول : و " خَـــوار " بمعـــنى " مأكول أو حقير ".

٢٣٠- حرامْزاده :

بمعنى " ابن حرام ، لقيط ، وقد يكنى بـــه عن الماهر في الحيلة ".

٢٣١- حرامْ كردن :

بمعنى " تحريم ".

٢٣٢- حرف زَدَن :

بمعنى " تكلم أو تحدث ".

تعليق:أقول:و"زدن"من معانيها"الضرب".

٢٣٣- حرفْكير :

بمعنى " منتقد ، عائب ".

٢٣٤- حَرَكت كردن :

بمعنى " تحريك ".

٢٣٥- حُرمْت داشْتن :

بمعنى " احترام ".

٢٣٦- حَرَمْخانه :

بمعنى " قسم " الحـــريم " في المنـــزل" ومثله حَرَمسراي ".

٢٣٧- حروفْجين :

بمعنى " عـــامل لصـــف الحـــروف " . و"جين" بمعنى " طيَّة أو ثنية ".

٢٣٨- حُزن آلود :

بمعنى " مخزون " . و" آلود " من اللواحق لصوغ اسم الفاعل .

٢٣٩- حُزن آوَر :

بمعنى " صاحب الحـــزن أو جالبـــه " . و"آوَر " بمعنى " صاحب أو مالك ".

٢٤٠- حسا بُدار :

بمعنى " محاسب " . ومثله " حسا بُدان ". وحسا بُداري " بمعنى دائرة المحاسبات .

٢٤١- حسا بُكَر :

بمعنى " دقيق في جوانـــب الأمـــور " . و"كَر" من اللواحق لصوغ اسم الفاعل.

٢٤٢- حسدْناك :

بمعنى "حسود". و"ناك " لاحقة للوصف.

٢٤٣- حَسْرَتْ خوردن :

بمعنى " أسف ، غم ".

تعليق : أقول : والأصل في " خـــوردن " أنها " طعام ".

٢٤٤- حِس كردن :

بمعنى " إحساس " .

٢٤٥- حَشَرَه شِناس :

بمعنى " عالم بالحشرات " . و " شِـناس " بمعنى " عالم أو خبير " .

٢٤٦- حشره كَش :

بمعنى " الآلة للرش تقتل الحشرات "

٢٤٧- حشيشْ كشيدن :

بمعنى " تدخين الحشيش ".

٢٤٨- حصار دادَن :

بمعنى " حصار ، محاصرة ".

٢٤٩- حصَّة بَخَش :

بمعنى " مقسم الحصص " . و " بَخَـــش" بمعنى " حصة " أيضًا .

٢٥٠- حصّه دار :

بمعنى " شريك ، ذو حصة ".

٢٥١- حق بَزُوه :

بمعنى " الباحث عن الحق ".

٢٥٢- حقْ دار :

بمعنى " صاحب حق ".

٢٥٣- حق شِناس :

بمعنى " المعتقد بالحق ، العارف بـــالله ، المؤدي للحق ".

٢٥٤- حَقكزُار :

بمعنى " عـــادل " . و " كـــزار " مـــن "كزارا" بمعنى " مؤدي الحديث ".

٢٥٥- حقْكوى :

بمعنى " القائل للحق ، طير الحق ".

٢٥٦- حُقّه باز :

بمعنى مشعوذ صاحب مكر ، عيار "

٢٥٧- حُقّه زَدَن :

بمعنى "مخادعة ".

٢٥٨- حقيقت بِين :

بمعنى "الناظر لحقائق الأمور،العارف بها".

و" بين " بمعنى " الأمر من ديدَن".

٢٥٩- حكايتْ كردن :

بمعنى " رواية ، حكاية " .

٢٦٠- حِكمتْ آميز :

بمعنى كلام فيه حكمة ".

٢٦١- حُكمْران :

بمعنى " حاكم ، والٍ ".

٢٦٢- حُكم نِويس :

بمعنى " كاتب بلاغات الدولة ".

٢٦٣- حكيمانه :

بمعنى " كلام بحكمة ".

٢٦٤- حكيم باشي :

بمعنى " رئيس الأطباء " . و " باشـــي " لقب تركي عثمـــاني عســـكري بمعـــنى "رئيس ".

٢٦٥- حَلال زاده :

بمعنى " ابن حلال ".

٢٦٦- حلال كردن :

بمعنى " تحليل ، إجازة " .

٢٦٧- حَلَب :

بمعنى " صفيحة " تَنْك " .

٢٦٨- حَلَبي ساز :

بمعنى " صانع الآلات (تنكجي) ".

٢٦٩- حماسه سراي :

بمعنى " شاعر الحماسة ".

٢٧٠- حمّام كِرِفْتَن :

بمعنى " استحمام " .

٢٧١- حله آورَدن :

بمعنى " حملة ، هجوم " .

٢٧٢- حمله وَر :

بمعنى " مهاجم ، مغير " .

٢٧٣- حوْر سِرَشْت :

بمعنى " حورية أي جميلة كالحور ". .

٢٧٤- حوصله داشتن :

بمعنى " تحمّل فرصة انتهاء العمل ".

تعليق : وقد مـــرَّت بنـــا " حوصلـــة " وإشارتها إلى " الحرج والضيق ".

٢٧٥- حَويج :

بمعنى " لوازم المطبخ " . وهـــذا بعـــض تصرفهم بالأبنية والدلالة .

٢٧٦- حويج دار :

بمعنى " طباخ ".

٢٧٧- حَيات بَخْش :

بمعنى " واهب الحياة ".

٢٧٨- حيا دار :

بمعنى " حَيِيّ ، خجول ".

٢٧٩- حَيْرَت آورَ :

بمعنى " محير " . .

٢٨٠- حيَرتْ أنكيز :
بمعنى " محير متعجب ".

٢٨١- حيرت زده :
بمعنى " حائر " .

٢٨٢- حيله باز :
بمعنى " صاحب مكر وحيلة ".

٢٨٣- حيله كار :
بمعنى " مكار محتال ".

٢٨٤- حيله ناك :
بمعنى " محتال ، مكار ".

(ح)

٢٨٥- خاتم بَستَن :
بمعنى " تنزيل الحاج وغيره في سطح شيء... ". و " بَستَن " بمعنى " ربط ، أو شد ... " .

٢٨٦- حائم ساز :
بمعنى " صانع الأختام والنقوش " .
و"ساز " من معانيها " صُنع " .

٢٨٧- خاتمه دادَن :
بمعنى " خاتمه ، إنهاء ".

٢٨٨- خادم باشي :
بمعنى " رئيس الخدم ".

٢٨٩- خارج آهَنْك :
بمعنى"مخالف العزف الموسيقي،غير موافق" و" آهنك "بمعنى" غناء صوت مورون ".

٢٩٠- خاصّكي :
بمعنى " نديم الملك ، مقرَّب " . و " كي" لاحقة للوصول إلى المصدر .

٢٩١- خاطر آزار :
بمعنى " مزعج ، أمر مزعج " .وأما "آزار" فهي لاحقة لصوغ اسم الفاعل .

٢٩٢- خاطر آزرَده :
بمعنى " ملول ، متأثر " . و"آزرده " لاحقة لصوغ اسم المفعول .

٢٩٣- خاطر آسوده :
بمعنى " مرتاح الفكر ".

٢٩٤- خاطر آشُفته :
بمعنى " مضطرب الفكر ".

٢٩٥- خاطر بَريش :
بمعنى " حمل ، أمر غير ملائم ".

٢٩٦- خاطر بَسَند :
بمعنى " جدّاب ، مقبول " .

٢٩٧- خاطر جَمع :
بمعنى " مطمئن " .
تعليق : والكلمتان كلاهما من العربية .
و"خاطر جمعي " بمعنى " اطمئنان ".

٢٩٨- خاطرخَواه :
بمعنى " عاشق ، محب ...". و "خواه" من "خواهنده " بمعنى " آمل أو راغب " .
و "خاطر خواهي بمعنى " عشق ، محبة".

٢٩٩- خالْكوب :

بمعنى " ضارب الوشم ". و"خـــالكوبدَ" بمعنى " ضرب الوشم " .

٣٠٠- خامْ راي :

بمعنى " ناقص العقل . و" خام " بمعـــنى " غير مطبوع ، غير مجرّب ".

تعليق : وكلمة : خام " ممـــا اســتعاره العرب كما هو " فج ، وغير ناضج ...".

٣٠١- خاينانه :

بمعنى " بخيانة ".

٣٠٢- خَبَر آوَر :

بمعنى " حامل الخير " .

٣٠٣- خَبَر جين :

بمعنى " جاســوس " . و " خَــبَرجيني " بمعنى " جاسوسية " .

٣٠٤- خبر دادَن :

بمعنى " اطلاع ، إعلان " .

٣٠٥- خبر دار :

بمعنى " مطّلع ".

٣٠٦- خبر تِكار :

بمعنى " مراسل صحفي ".

٣٠٧- خَتْنه سوران :

بمعنى " احتفال بمناسبة ختان الأولاد ".

تعليق : أقول : قول الفرس " ختنه " جاء وابه من " ختان " وهذا على طريقتهم في التصرف بالأبنية العربية .

٣٠٨- خَجالت زده :

بمعنى " خجول " .

تعليق : أقول : وهذا مما ولّدوه في مـــادة "خجل " وليس لنا في العربية " خجاله".

٣٠٩- خجالت كشيدن :

بمعنى " خجل ".

٣١٠- خجته طالع :

بمعنى " حسن الطالع " . و " حجتـــه " بمعنى " حسن أو مبارك ".

٣١١- خَجْلَتْ آوَر :

بمعنى " مخجل ".

٣١٢- خَجلت زَده :

بمعنى " خجل ".

٣١٣- خذا حافظ :

بمعنى " حفظك الله " جملة دعاء تُقـــال في التوديع ".

٣١٤- خِدْمتانه :

بمعنى " هدية أو هدية الحاكم ".

٣١٥- خِدْمتكار :

بمعنى"خادم".و"كار"بمعنى"حرفة أو عمل" ومثل هذا " خِدْمَتكَر " و "خِدْمَتكزار ".

٣١٦- خرابات :

جمع " خرابة " والجمع مع الأصل مـــن العربية بمعنى "الخراب " وقد يكنى بها عن

الحمانات أو بيوت الدعارة .

٣١٧- خَراب كردن :

بمعنى " تخريب ".

٣١٨- خَراجگُزار :

بمعنى " دافع الضريبة ".

٣١٩- خَرجْي دادَن :

بمعنى " إعطاء المال للمعيشة ، نفقة لأهل البيت ".

٣٢٠- خَرجمّالي :

بمعنى " سخرة " ، و " خر " بمعنى "حمار".

٣٢١- خُرْد نفس :

بمعنى " حقير النفس ".

٣٢٢- خَرْطبع "

بمعنى " أحمق ".

٣٢٣- خِرِفْت :

بمعنى " أبله ، جاهل " .

تعليق : أقول : إنه من أبنية الفرس الخاصة أفادوه من المصدر " خَرَف ".

٣٢٤- خَرْفَهم :

بمعنى " إفهام الأبله ".

٣٢٥- خِرْقة بوش :

بمعنى " درويش أو صوفيّ ".

٣٢٦- خرقه تُهي كردن :

كناية " عن الموت " .

٣٢٧- خرقة كردن :

بمعنى " تقطيع ، تمزيق ".

٣٢٨- خروج كردن :

بمعنى " عصيان " .

٣٢٩- خِزانه دار :

بمعنى " مدير الصندوق " . و" خزانه داري " بمعنى " رئاسة الصندوق ".

٣٣٠- خُشْك دِماغ :

بمعنى " مغموم ، حزين " .

٣٣١- خَطَرناك :

بمعنى " مُهلك ".

٣٣٢- خَطْ زَدَن :

بمعنى " رسم خط ، حذف ".

٣٣٣- خَط كَش :

بمعنى " مسطرة " .

٣٣٤- خط كشيدَن :

بمعنى " رسم خط ، محو ".

٣٣٥- خِلافكار :

بمعنى " من يرتكب المخالفات ".

٣٣٦- خَلْوتْكاه :

بمعنى" مكان الاستراحة ، غرفة المرأة...".

٣٣٧- خلَوْت نشين :

بمعنى " منزوٍ ".

٣٣٨- خُمار آلود :

بمعنى " مخمور ".

٣٣٩- خمير كير :

بمعنى " صانع الخمير ، خباز ".

٣٤٠- خمير مايه :

بمعنى " خميرة للخبز أو اللبن ".

٣٤١- خِنجر أوزن :

بمعنى"الضارب بالخنجر".ومثله"خنجر كِش".

٣٤٢- خوُش بَيان :

بمعنى " حلو الحديث ".

٣٤٣- خوش حال :

بمعنى " مسرور ، سعيد " .

٣٤٤- خوش خدمت :

بمعنى " حسن الخدمة " .

٣٤٥- خوش خط :

بمعنى " حسن الخط ، أو كتابة واضحة ".

٣٤٦- خيال أنديش :

بمعنى " كثير الخيال " . و " خيال باف "

بمعنى " ناسج الخيال ".

٣٤٧- خيال بَستن :

بمعنى " تخيّل ، توهُّم ".

٣٤٨- خيال بَرَست :

بمعنى " متخيِّيل ، شاعر ، عاشق ".

٣٤٩- خير خَواه :

بمعنى " صاحب خير ".

٣٥٠- خيلباش :

بمعنى " رئيس الخيالة ، الفرسان ".

٣٥١- خيمه زدن :

بمعنى " نصب الخيام أي نزول ".

٣٥٢- خيمه شب بازو :

بمعنى " خيال الظل ".

(د)

٣٥٣- داد كاحنائي :

بمعنى " محكمة الجنايات ".

تعليق:أقول:"داد"من معانيها"قانون وعدل".

٣٥٤- دارشان :

بمعنى " صاحب شأن ".

٣٥٥- داو طلب :

بمعنى " مقدِّم طلب لعمل أو وظيفة ".

٣٥٦- دايره زدن :

بمعنى " الوقوف بشكل دائري ".

٣٥٧- دخيل بستن :

عبارة تقال لمن يتوسل في ضريح إمـام ،

وينذر المال إذا حلت عقدته حيث يقصد

عقدة في قطعة قماش ويتركها .

٣٥٨- درجة دار :

بمعنى " مدرّج " . و " دَرَجـه حـال "

بمعنى في الحال أو حالاً ".

٣٥٩- "خيال آمدن "؛

بمعنى " تصوّر ، تذكّره ".

٣٦٠- دَرزمَان :

بمعنى " في الحال ، فوراً ".

٣٦١- درس خَوان :

بمعنى " تلميـــذ ، صـــاحب درس ". و "درسكاه " بمعنى "مدرسة ".

٣٦٢- درَوقت :

بمعنى " في الحال ، حـــالاً ". و"درهـــر حال" بمعنى " على أيّ حال ".

٣٦٣- دَعْوَت كردن :

بمعنى " دعاء ، نداء " . و "دُعاي باران" بمعنى " صلاة الاستسقاء " . و"دعوتكر" بمعنى "داع ، مناد " . و " دعوت نامـــه" بمعنى " بطاقة الدعوة ".

٣٦٤- دعوى دار :

بمعنى " مدَّعٍ ، متظلّم ".

٣٦٥- دغد :

بمعنى " محتال ، مكـــار " . و " دَغَـــد داري" بمعنى "نفاق " . و " دَغَـــدزَن " بمعنى "محتال ".

٣٦٦- دقيقة كير :

بمعنى " منتقد " و " دق كردن " بمعـــنى "اعتراض ، مؤاخذة " . و " دق كرفتن" بمعنى " لوم ، عيب " .

٣٦٧- دكانكار :

بمعنى " صاحب الدكان ".

٣٦٨- دِماغ تَرور :

بمعنى " مفرح ، معطرّ " .

٣٦٩- دنيا خوْرَدن :

بمعنى " الإفادة من نعم الدنيا ".

٣٧٠- دَواساز :

بمعنى " صانع الدواء ، صيدلاني ".

٣٧١- دو حُجره خَواب :

كناية عن " العينين ".

٣٧٢- دو حورْ لقا :

كناية عن " العقل والنفس ".

٣٧٣- دولَتخانه :

بمعنى " قصر السلطنة " . و " دولتخواه" بمعنى " مريد الخير " . و " دولتســـراي " بمعنى "قصر" .

٣٧٤- دولتمند :

بمعنى "غني ، ثري " . و " دولتمنـــدي " بمعنى " غِنَى ، ثراء " . و " دولتيـــــار " بمعنى " سعيد ، غنيّ ".

٣٧٥- دِهِشْت أنكيز :

بمعنى " مخيف ، مدهـــــش " ، ومثلـــها "دهشتناك ".

(د)

٣٧٦- ذخيره نَهادن :

بمعنى " ادّخار ".

٣٧٧- ذَرّه بين :

بمعنى " مكبّرة " . و " ذرّه بيني " بمعـــنى "مجهريّ".و"ذرّه برور"بمعنى"مربيّ الذرة".

٣٧٨- ذوب كردن :

بمعنى " إذابة ".

٣٧٩- دوق كردن :

بمعنى " إظهار الشاشة " . و " ذو قناك "

بمعنى " لذيذ ".

٣٨٠- ذيجاه :

بمعنى " ذو مقام ".

٣٨١- ذيحق :

بمعنى " صاحب حق " . و " ذي روح "

بمعنى " ذو روح ، حيّ ".

(ر)

٣٨٢- رَاتِبه خَوار :

بمعنى " الذي يقبض مرتّبه ".

٣٨٣- راحَت طلب :

بمعنى " طالب الرحمة ، محبّ الكسل ".

٣٨٤- راح روح :

بمعنى " لحن من ألحان الفرس القديمة ".

٣٨٥- راستِ اعتقاد :

بمعنى " نفي الاعتقاد ".

٣٨٦- رِبا خَوار :

بمعنى " آكل الرِّبا ".

٣٨٧- ربا خوردن :

بمعنى " الاستفادة من الربا ".

٣٨٨- رِحلَت :

بمعنى " موت ، وفاة ".

٣٨٩- رَد شُدَن :

بمعنى " عبور ، مرور ، رفض ، عدم القبول ، رسوب في الامتحان ".

٣٩٠- رد كردن :

بمعنى " الإعطاء ثانية ، عبور ، رفض ".

٣٩١- رَسْمانه :

بمعنى " بشكل رسمي ".

٣٩٢- رسولْدار :

بمعنى" رئيس التشريفات الخارجية ".

٣٩٣- رَشْوَه خَواء :

بمعنى " مرتشٍ " .

٣٩٤- رشوة خور :

بمعنى " مرتش ".

٣٩٥- رَصَد بند :

بمعنى " راصد " ، و " رَصَدكاه" بمعنى "مرصد ".

٣٩٦- رض جويي :

بمعنى " السعي لكسب الرضا ".

٣٩٧- رضايت آميز :

بمعنى " مقرون بالرضا ".

٣٩٨- رضايت بخش :

بمعنى " واجب الرضا ".

٣٩٩- رضوان جايكاه :

بمعنى " مقام الجنان " تقال في الكلام على الأموات ".

٤٠٠- رضوان كَدَه :

بمعنى " مكان كالجنة ".

٤٠١- رطوبت سَنْج :

بمعنى " ميزان الرطوبة ".

٤٠٢- رَعْد آسا :

بمعنى " كالرعد " .

٤٠٣- رَعْشه ناك :

بمعنى " مرتعش ، مسبب الارتعاش ".

٤٠٤- رفيق باز :

بمعنى " المحب لصحبه ".

٤٠٥- رَقصان :

بمعنى " في حالة الرقص ".

٤٠٦- رَقص كردن :

بمعنى " رقص ".

٤٠٧- رقصيدن :

بمعنى " رقص ".

٤٠٨- رُقعه نِويس :

بمعنى " كاتب الرقاع أي الرسائل ".

٤٠٩- رقم آموزْد :

بمعنى " معلم الكتابة ، معلم الحساب ، معلم الرسم ".

٤١٠- رقم زدن :

بمعنى " تحرير ، كتابة ، رسم " .

٤١١- رقمْزَده :

بمعنى " محرر ، مكتوب ، منقوش ".

٤١٢- رقمْزَن :

بمعنى " كاتب ، محرر ، رسام " ، و"رقمزني " بمعنى " كتابة ، رسم " .

٤١٣- رقم كار :

بمعنى " المشير إلى الحروف والعلامات ، كاتب ، محاسب ".

٤١٤- رقم نِويس :

بمعنى " كاتب ، محاسب ".

٤١٥- روز مَره :

بمعنى " كل يوم ، يومي ".

٤١٦- روشن فِكر :

بمعنى " أفكار جديدة وواضحة ، الناظر في الأمور بمنظار متجدد ".

٤١٧- روشَن قياس :

بمعنى " صاحب فراسة ".

٤١٨- روضة خَوان :

بمعنى"ذاكر مصيبة الأمام الحسين في كربلاء". تعليق : وهذه في عامية العراقيين "روضخون".

٤١٩- روضه كاه :

بمعنى " بستان ، جنة ".

٤٢٠- رياسَت طلب :

بمعنى " طالب الرئاسة ".

٤٢١- رياكار :

بمعنى " منافق ، مراءٍ ".

(ز)

٤٢٢- زَبان حال :

بمعنى " لسان حال المتكلم ".

تعليق : و " زبان " بمعنى " لغة ، لسان".

٤٢٣- زَحمت أفزا :

بمعنى " مُتْعَب ".

٤٢٤- زَحمت دادن :

بمعنى " إزعاج ، إيلام ".

٤٢٥- زحمتكِش :

بمعنى " كادح ".

٤٢٦- زحمت كشيدن :

بمعنى " تحمّل المشقة ، تعب ".

٤٢٧- زِمامدار :

بمعنى " صاحب الزمام ، رئيس القوم ".

٤٢٨- زِناكار :

بمعنى " زانية ".

٤٢٩- زَن جَلَب :

بمعنى " امرأة سيئة الخلق ".

٤٣٠- زَوال بذير :

بمعنى " زائل ، فانٍ " ، و " زوال بذيرفتن" بمعنى " فناء ، زوال ".

٤٣١- زود شعري :

بمعنى " ارتجال الشعر بديهةً ".

٤٣٢- زودفَهم :

بمعنى " سريع الفهم ".

٤٣٣- زيادَت كرَديدَن :

بمعنى " ازدياد ، كثرة ، و " زياده روي" بمعنى " إفراط ، تجاوز ".

٤٣٤- زيارت كردن :

بمعنى " زيارة لقبرٍ للتبرك ".

(س)

٤٣٥- سابقة دار :

بمعنى " ذو سابقة للخير أو الشر ".

٤٣٦- سابقة سالار :

بمعنى " دليل القافلة أو قائد الجيش ، بني الإسلام ".

٤٣٧- ساحِل كاه :

بمعنى " ساحل ، شاطئ ".

٤٣٨- ساحِل نشِين :

بمعنى " الساكن على الشاطئ ".

٤٣٩- ساده لوح :

بمعنى " سليم القلب ، أحمق ، أبله " ، أقول : قد يكون الوصف بالحمق أو البله لأنه صافي الضمير .

٤٤٠- ساده وضع :

بمعنى " شخص غير متكلف ".

٤٤١- ساعَت ساز :

بمعنى "صانع الساعات أو مصلحها "؛ و"ساعت شمار " بمعنى " عقرب الساعة"، و " ساعت شِناس " بمعنى " العارف

بالساعة والوقت " ، و " ساعت قروش" بمعنى " بائع الساعات " ، و " ساعَتَك" بمعنى " ساعة صغيرة أو فترة قليلة ".

٤٤٢- ساكن كردن :

بمعنى " إسكان ، إسكان الحركة ".

٤٤٣- سَبَق دادَن :

بمعنى " تعليم ، تدريس ".

٤٤٤- سَبُك أسلحة :

بمعنى " خفيف السلاح ".

٤٤٥- سَبَكروح :

بمعنى " مسرور ، ضاحك ، بلا تكلّف".

٤٤٦- سَبَك عنان :

بمعنى " فارس سريع ، سريع السير .

٤٤٧- سَبَك لِقا :

بمعنى " بشوش ، سهل اللقاء ، مطيع ".

٤٤٨- ستون فَقرات :

بمعنى " العمود الفقري ".

تعليق : أقول : كأن المركب الفارس نُظِر فيه إلى " العمود الفقري ".

٤٤٩- سجده كاه :

بمعنى " محل العبادة ، مكان للسجود".

٤٥٠- سجده كزار :

بمعن " ساجد " . و" سجده كـــزازي " بمعنى " سجود ".

٤٥١- سحر آميز :

بمعنى " جذاب ، ذو سحر ".

٤٥٢- سَحَر كاه :

بمعنى " وقت السَّحَر ".

٤٥٣- سُخره :

بمعنى"مقهور، مطيع، ضحكة، سخرية ".

تعليق : لقد خلط الفرس في " ســخره " بين معناها في العربية وبين الســخرية " بمعنى " الاستهتار ".

٤٥٤- سُخره كير :

بمعنى " من يُسخِّر الناس للعمل سخرة".

٤٥٥- سُحَن فَهم :

بمعنى " أديب ، مفوّه ، سريع الفهم ".

٤٥٦- سِدْره نشين :

بمعنى " الملاك المقرّب ".

تعليق : كأن هذا مستوحى مــن قولــه تعالى " سِدرة المنتهى ".

٤٥٧- سَدْ كُشادَن :

بمعنى " فتح السد وإطلاق المياه ".

٤٥٨- سَرايَت كردن :

بمعنى " سريان المرض ".

٤٥٩- سَرْبَر خط :

بمعنى " مطيع ".

٤٦٠- سِرْبوش :

بمعنى " كاتم السِّرّ ".

٤٦١- سَر بشخِدْمت :

بمعنى " رئيس الخدم ".

٤٦٢- سَر جُمله :

بمعنى " رأس ، عمدة ، ويكنى به عما هو خلاصة أو منتخب شيء أحس ".

٤٦٣- سَرحال :

بمعنى " مسرور ، نشيط ".

٤٦٤- سَرْحد :

بمعنى " حدّ ، طَرَف ". و " سَـرْحدْدار" بمعنى " حامي الحدود والثغور ".

٤٦٥- سُرخط :

بمعنى " نموذج للخط ".

٤٦٦- سَرْد بيان :

بمعنى " غير مرضي كلامه ".

٤٦٧- سَرْ غزل :

بمعنى " مقدمة النسيب في الشعر ".

٤٦٨- شركحلي :

بمعنى " ما هو أسود ".

٤٦٩- سر مَشْق :

بمعنى " مـا يكتبـه الخطـاط نموذجًـا للمتعلّمين ".

٤٧٠- سَفَر جُسْتن :

بمعنى " سفر ".

٤٧١- سفر دوست :

بمعنى " المحبّ للسفر "

٤٧٢- سِفْلكان :

بمعنى " سفلة ، حقيرون " . و "سِفلكي" بمعنى " حقارة ".

٤٧٣- سَقَرَكه :

بمعنى " جهنم ، سَقَر ".

٤٧٤- سقوط كردن :

بمعنى " سقوط ، انحطاط أخلاقي ، وقوع المرأة في الفاحشة ".

٤٧٥- سَكْرت :

بمعنى " سكرة الموت ".

٤٧٦- سِكّه زَدن :

بمعنى " شرب النقود ، سك العملـة " . و"سكه شناس " بمعنى العارف بالنقود ".

٤٧٧- سلاح خانه :

بمعنى"دار السلاح".و"سلاحدار"أو سلحدار " بمعنى"صانع السلاح ومسلح، جندي ".

٤٧٨- سلامانه :

بمعنى " ما يدفع من المال للبشـرى ". و "سلامت جُوي " بمعنى " السائر في طريق السلامة أو الساعي للصلح و " سلامتكاه " بمعنى " مأمن " . و " سلام وساندن " بمعنى " إبـلاغ التحيـة " و " سـلام فرستادن " بمعنى " تسليم ".

٤٧٩- سلسلة جُنبان :

بمعنى " محرك السلسلة " ويكنى بها عن

المحرك " أو السبب والوسيلة ".

٤٨٠- سلطان زاده :

بمعنى " ابن الملك ". و" سلطنت ران " بمعنى " سلطان " . و" سلطنت طلب : بمعنى " الميال إلى النظام الملكي ".

٤٨١- سَمْياش :

بمعنى " رشاشة السموم والأدوية " . و "سم دار " بمعنى " ذو سم " . و " سم شنا " بمعنى " العارف بالسموم ".

٤٨٢- سمَك :

بمعنى " سماعة الصُم ".

٤٨٣- سواد نظام :

بمعنى " الجنواد الفرسان ".

٤٨٤- سَوْدا بَرَسْت :

بمعنى " مطيع هواه ، ذو خيالات باطلة". وسودا بيمودن " بمعنى " تخيل خاطئ". و "سودا جاي " بمعنى "مكان منفعة أو محل تجاري " . و " سودازده " بمعنى "مجنون".

٤٨٥- سَهْل أنكاز :

بمعنى " مهمل ، غير مقيّد ".

٤٨٦- سياسَتمدار :

بمعنى " سياسي ".

٤٨٧- سياه لون :

بمعنى " أسود اللون ".

٤٨٨- سِيَلاب :

بمعنى " انحدار الماء ، سيل ".و"سيلابكند" بمعنى " ما يحدث بسبب السيل من شقوق و سيلابكير " بمعنى "أرض منخفضة يجتمع فيها الماء ". و "سِيَل خِيز " بمعنى " حركة السيل السريعة".

(ش)

٤٨٩- شاهد :

بمعنى " محبوب ، معشوق ". و"شاهدوش" بمعنى " حَسَن المحيّا ".

٤٩٠- شايع كردن :

بمعنى " انتشار ".

٤٩١- شَجَره نامه :

بمعنى " شجرة النسب ".

٤٩٢- شراب انداختن :

بمعنى " سلب الخمرة " . و " شرابخانه " بمعنى " خمّارة " . و " شرابْخوَار " بمعنى "شارب الخمرة " .

تعليق : " يدخل الشراب " في كلمات أخرى مركبة وجملتها ذات صلة بالخمر.

٤٩٣- شرافتَمَند :

بمعنى " شريف ، أصيل ".

٤٩٤- شَرْ أنكيز :

بمعنى " مثير للشر " . و" شر أنكيزه " بمعنى " فتنة أو فساد ".

٤٩٥- شرح دادَن :

بمعنى " شرح ، بيان " .

٤٩٦- شَرَفياب :

بمعنى " الحاصل على الشَرَف ".

٤٩٧- شرق شِناس :

بمعنى " مستشرق " . و " شرق شناسي" بمعنى " استشراق ".

٤٩٨- شِرْكَت كُنَنده :

بمعنى " شريك ، مرافق ".

٤٩٩- شش جهت :

بمعنى " الجهات الست ".

٥٠٠- شَعْبَده باز :

بمعنى " مشعوذ ".

٥٠١- شِعر سراي :

بمعنى " شاعر ".

٥٠٢- شُعله خِيز :

بمعنى " ملتهب أو لامع " و " شُعْله زدن" بمعنى " اشتعال " و" شعلة ناك بمعنى " ذو شعلة ". و " شعلة ور "بمعنى " مشتعل".

٥٠٣- شَفابَخْش :

بمعنى " الطبيب أو الدواء الشافي" . و "شفاخانه " بمعنى "دار الشفاء".

٥٠٤- شفا عَتكر "

بمعنى " الشفيع ".

٥٠٥- شفاهي :

بمعنى " شفوي ".

٥٠٦- شِكايَت نامه :

بمعنى " ورقة الشكوى ".

٥٠٧- شَكَر حرف :

بمعنى " عذوبة الشفاه .

٥٠٨- شِكِسته خاطر ".

بمعنى " مغموم ، مضطرب ".

٥٠٩- شكسته مزاج :

بمعنى " ذو مزاج عليل ".

٥١٠- شَمْعدان :

بمعنى " مكان الشمعة ".

٥١١- شوخ طبع :

بمعنى " مَرِح من يمزح ".

٥١٢- شوريد خاطر :

بمعنى " مجنون ، عاشق ، محزون ".

٥١٣- شَوق أنكيز :

بمعنى " مُشوِّق ".

٥١٤- شُهْرت بَرَس :

بمعنى " محبّ الشهرة ".

٥١٥- شَهِنْشاه فَلَك :

بمعنى " الشمس ".

٥١٦- شَهْوَت أنكيز :

بمعنى " ذو رغبة أو شهوة ".

٥١٧- شِير فَهم كردن :

بمعنى " الإفهام بصعوبة ".

٥١٨- شيوع يافتن :

بمعنى " شيوع ، اشتهار ".

(ص)

٥١٩- صابر شُدَن :

بمعنى " صَبْر ".

٥٢٠- صاحب خِرَد :

بمعنى " عاقل ".

٥٢١- صاحب دَرد :

بمعنى " مريض ، مصاب ، مجذوب ".

٥٢٢- صاحبدِل :

بمعنى " جريء ، شجاع ".

٥٢٣- صاحب سُخَن :

بمعنى " متكلّم ، ناطق ".

٥٢٤- صاحِبْقران :

بمعنى : صفة لأي مولود يولد في ليلة اقتران زحل والمشتري .

٥٢٥- صاحبي :

بمعنى " نوع من نسيج حريري ، أو ضرب من العنب الأحمر كبير الحبّات".

٥٢٦- صادر شُدَن :

بمعنى " صدور ، إرسال ".

٥٢٧- صافكار :

بمعنى : " مصلح صفائح السيارات ".

٥٢٨- صاف كردن :

بمعنى : " تصفية ، تنقية ، حلاقة الذقن".

٥٢٩- صباح كُنان :

بمعنى " ملقي تحية الصباح ".

٥٣٠- صُبحانه :

بمعنى " طعام الإفطار ".

٥٣١- صُبح جهرة :

بمعنى " أبيض اللون ".

٥٣٢- صبح خَنْد :

بمعنى " بشوش ، ذو الضحكة الشبيهة بالصبح ".

٥٣٣- صبح خَوان :

بمعنى " بلبل ، أو الطير يغرّد صباحًا ".

٥٣٤- صبح دِل :

بمعنى " صافي القلب ، نقي ".

تعليق : اجتزئ بهذا القدر من الكلمات المركبة التي يؤلف " الصبح " جزءًا منها. ومثل هذا ما من " صبوح ".

٥٣٥- صبر آمدَن :

كلمة تقال عندما يعطس أحدهم فيستدعي ذلك التوقف قليلا عما هو فيه من عمل . ومن هذا " صبر داشتن " بمعنى " اصطبار أو احتمال ".

٥٣٦- صُحبت آراستن :

بمعنى " مجالسة ، مصاحبة " ، وكذلك " صُحبت داشتن ".

٥٣٧- صِحّت خانة :

بمعنى " مستشفى " . و " صِحّت منـد " بمعنى " صحيح الجسم " . و" صِحّـت يافتن " : شفا سلامة ".

٥٣٨- صَحرائبر :

بمعنى " طاوي الصحراء ، سريع السير ".

تعليق : أقول : وتدحل " الصحراء " في مركبات عدة .

٥٣٩- صَحْنه ساز :

بمعنى " ممثل " .

٥٤٠- صَخره كدار :

بمعنى"ثاقب الصخر ، المتجوّل في البادية".

٥٤١- صَدا دار :

بمعنى " ذو صـدى أو ذو صـوت " . وكلمة "صـدى " العربيـة تدخـل في "مركّبات " عدّة .

٥٤٢- صدارت جوي :

بمعنى " طالب المراتب العالية ".

٥٤٣- صَدْر نِشين :

بمعنى " المتصدر في المجلس ، أو وزيـر أو زعيم ".

٥٤٤- صَدَف دَهان :

بمعنى " ذو فم كـالصدف ، ذو كـلام مفيد وجذاب " . وتدخل صَـدَف " في جملة " مركبات " أخرى .

٥٤٥- صِدق آميز :

بمعنى " مقرون بـالصدق " . وتدخـل "صدق " في " مركبات " أخرى .

٥٤٦- صَدْمه كشيدن :

بمعنى " تحمّل المشقة ".

٥٤٧- صُراحي كشيدن :

بمعنى " شرب الخمرة الصراح" . وتدخل " صراحي " في "مركبات " أخرى.

٥٤٨- صَرْع دار :

بمعنى " مصروع " . وتدخل " صـرع " في غير هذا .

٥٤٩- صرف شام :

بمعنى "حفلة العشاء " . وتدحل "صرف" في " مركبات " أخرى . وكذا تدخـل " ص وهي " الصفاء " بمركبات عدّة.

٥٥٠- صف آرا :

بمعنى " اصطفاف " وتدخل " صف " في غير هدا .

٥٥١- صَفرا بَرْسَرِش زدة :

بمعنى " التحول من الفرح إلى الحزن " . وتدخل " صفرا " في غير هذا .

٥٥٢- صفر كردن :

بمعنى " التخلية والتفريغ ".

٥٥٣- صَفير خوَاند :

بمعنى " صافر ، مغن " ، وتدخل "صفير"

في غير هذا .

٥٥٤- صلاح أنديش :

بمعنى " ذو مصلحة ، صاحب خـــير " وتدخل " صلاح " و " صلح " في غـــير هذا .

وأختم حرف الصاد فأقول :

وجدت في هذا الحرف " صميم ،وصفة، وصنم ، وصواب وصورة ، وصـــوفي ، وصيد وصيغة " [بمعـــنى زواج المتعسة] وصيقل ، وغير هذا .

(ض)

أقول : وجدت في هذا الحرف : ضمامن وضايع وضبط ، وضحم ، وضـــرّاب ، وضرب ، وضعيف، وضياء ، وكلـــها في مركبات لتدل على دلالات فيها شـــيء من معاني هذه الألفاظ في العربية .

(ط)

وقد وجدت في " الطاء ".

" طاعة ، وطاقة ، وطـــاق ، وطـــالع ، وطبع ،وطبق، وطبل ، و" طرّاح " بمعنى " بمعمار،ونقّاش " وطراد وطراز وطربـــه وطرح،وطرف،وطعام ، وطعنة ، وطفل، وطفيلي،وطلاق وطلاء،وطلب ، وطلوع وطمع،وطهارة ، وطـــيّ ، وكلـــها في مركبات مع ألفاظ فارسية .

(ظ)

وقد وجدت في هذا الحرف :

ظالم ، وظل ، وظاهر ، وظرف ، وظفر، وظلمة ، وظُلْم .

(ع)

وقد وجدت في حرف العين !

عابد [وفيه عابدانه من أبنيتـــهم بمعـــنى كالعابد] ، عاجز ، [عاجلانه] ، عادة، عارض ، عارف، عارية ، عازم ، عاشق، عاصي ، عاطف ، عافية ، عاقبة، عالَم ، عالِم، عالٍ ، عايق ، عباد، عبارة ، عبرة، عبور ، عبير ، عجب ، عجم ، عجول ، عدالة ، عدل ، عذاب، عذر ، عرّابـــة ، عربدة ، عرش ، عرض ، عرضة ، عرق، عروس ، عزاء ، عزب ، عزّة ، عزلـــة ، عزيمة ، عسكر ، عشق ، عش،عشـــوة ، عصار ، عصب ، عضو، عطاء ، عطـــر ، عطسة ، عطش ، عقب ، عقد ، عقـــل ، عقيق ، عقم ، عكس ، علاج ، علاقة ، علامة ، علة ، علق، علـــف ، علـــم ، عمد، عمر ، عمل ، عنن، عناية، عنبر ، عود، عورة ، عهد، عيال ، عيب ، عين.

أقول : دخلت هذه الأصول العربية مـــع لواحق وسوابق فارسية للوصول إلى مـــا يريد الفرس في خصوصيات دلالية .

(غ)

ووجدت في حرف الغين :

غارب ، غارة ، غار ، غاشية ، غاصب، غافل ، غال ، غالب ، غالية ، غسايب ، غبار ، غبن ، غدر ، غسداء ، غسراب، غرامة ، غرس ، غرض ، غرق ، غُسرم ، غرور، غريب، غسل، غصص ، غضب، غفران، غفلة، غلاف،غلام، غلط ، غلّ، غُلّة ، غَلّة ، غليان ،غمم، غنيمة، غَسور، غوطة ، غول ، غيب ، غيرة .

أقول : وهذه تدخل مع لواحق وسوابق فيكون منها مركبات مفيدة .

(ف)

ووجدت في هذا الحرف :

فاجر ، فارغ ، فاسد ، فاسق ، فاشٍ ، فاصل ، فاضل ، فال [بمعنى فأل] ، فايدة، فتق، فتنة ، فتيلة ، فحص ، فخر، فداء،فراسة، فراش، فراغ ، فراق ، فرح، فضل ، فطير، فقع ، فلان ، فلك، فهم .

(ق)

ووجدت من هذا :

قاب ، قادر ، قبول ، قدّ ، قدح ، قدر ، قدم ، قرار ، قربان ، قصب ، قصص ، قطب ، قطر ، قلم ، قوت ، قول ، قوة، قهر ، قيء.

(ك)

ووجدت في هذا الحرف :

كتاب ، كتف ، كحل ، الكليم .

(ل)

ووجدت في هذا الحرف :

لا أبالي ، لعاب ، لعبة .

(م)

مأتم ، المال ، مجلس ، مخلف ، مرجان.

(ن)

أقول : وفي هذا الحرف ترد كلمات عربية سبقت بسوابق فارسية ، وقد وردت الكلمات العربية في الأحرف المتقدمة مع لواحق فارسية .

نشأة ، نصيحة ، نطاق ، نظم ، نظير ، نعل ، نفس ، نقر ، نكتة .

(و)

وجود ، وجه ، وحشه ، ورق ، وزير ، وعد ، وفاء ، وقائع ، وقت ، وقوف ، وكيل ، ولاية ، ولي .

(هـ)

هواء .

(ي)

ياقوت ، يتيم .

إبراهيم السامرائي

عضو المجمع من العراق

الإسلام واللغة العربية والعلم

للأستاذ الدكتور عبد الحافظ حلمي محمد

ليس من اليسير أن يقدم متحـــدث شيئًا جديدا لهذه الصفوة من العلمـــاء . وهذا الشعور كاد يدفعني إلى الإحجـــام عن المثول بين أيديكم متحدثًا ، ولكنـــني رأيت ألا بأس بأن نتذاكر بعض الأمور ، والذكرى تنفع المؤمنين . ثم إني أزعـم أن عندي فكرةً أحببت أن أعرضها عليكـم، وهي وحود ترابط عضوي وثيـق بـين عناصر هذا الثالوث الذي جعلته عنوانًـا لحديثي : الإسلام ، واللغـــة العربيـــة ، والعلم . والعطف هنا مقصود أن يكـون مع الترتيب ، فسوف أحاول أن أقيـــم الدليل على أن العلم الحديث في الحضارة الغربية المعاصرة ، يستمد أصولـــه مـــن الإسلام واللغة العربيـــة معًـا ، وأنـــه صيغتهما.

ولعل الجديد، أو الغريب،هو وضعي اللغة العربية في هذا المضمـــار ، أي في تأصيل العلم الغربي الحديث ، ولكن هـذا هو ما سوف أحاول أن أجلوه بعد قليل. وهو طبعًا ، غير الحديث عمـــا ســـجله التاريخ من كفاءة اللغة العربية كفاءة تامة للوفاء بمتطلبـــات العلـــم والحضـــارة . وأكتفي الآن بشاهدين ، غاية ما يرتجـــى منهما الحياد ، ولا ينتظر منهما الانحيـــاز للغة العربية ، فهما إذن شاهدا عـــدل . أولهما الدكتـــور G.A. Russell (1981) ، الأستاذ بمعهد ولكوم لتاريخ الطـــب في لندن ، في معجم حديث لتاريخ العلـــوم باللغة الإنجليزية . فبعـــد أن اســـتعرض الأستاذ المعالم الجوهرية للعلم الإسلامي ، قال ما ترجمته : " ... وكانت العربية هي أداة هذا النشاط العلمي كلـــه . فلمـــا كانت اللغة العربية لغة القرآن ، أصبح لها أهمية خاصة في الإسلام . بيد أن طبيعـــة اللغة العربية نفسها هي التي قامت بالدور الحاسم ، فمرونتها الرائعة قـــد مكنـــت المترجمين من دمغ مفردات محكمة دقيقـــة للمصطلحات العلمية والتكنولوجيـــة أو ابتكارها . وهكذا اتخذت لغـــةٌ للشـــعر اللغةَ العالمية للعلم والحضارة " (p. 215).

أما الشهادة الثانية فجـــاءتني منـــذ بضعة أسابيع ، حين حمل إلى البريد آخر عدد من دورية " Metascience " ، وفيـــه

* ألقيت هذه المحاضرة في الجلسة العاشرة من جلسات مؤتمر المجمع في دورته الثالثة والستين ظهر يوم السبت ١٣ من ذي القعـــدة سنة ١٤١٧هـ الموافق ٢٢ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٧م.

يعرض Srephen Gaukroger ، الأستاذ بكلية الفلسفة بجامعة سيدني ، موسوعة عن العلم العربي صدرت في لندن عام ١٩٩٦. ويصدِّر الأستاذ عرضه بما ترجمته : " كانت اللغة العربية لغة العلم من القرن التاسع حتى نهاية القرن الحادي عشر ، بمعنى أنها كانت اللغة العالمية لعلماء المسلمين من سمرقند إلى غرناطة، أيًّا كانت لغاتهم الأصلية ؛ وبمعنى أن الحضارة العربية كانت مستودع العلم الكلاسيكي والمبتكرات العلمية المعاصرة في ذلك الزمان " . ولي تحفظ على مدى الزمن الذي أشار إليه الأستاذ ، فكثير من مؤرخي العلم يبدأونه من القرن الثامن ، ويمدونه حتى نهاية القرن الخامس عشر ، الذي ظهر فيه ابن خلدون .

وأعود لموضوعي الذي أعتقد أن العلاقة الوثيقة بين أركانه الثلاثة ، تُرَدُّ إلى أربعة عناصر :

١- نظرة الإسلام للعلم ، وتقديره للعلم والعلماء .

٢- سماحة الإسلام ، ونظرته إلى القيمة الإنسانية العامة ، ومساواته بين المسلمين على اختلاف ألوانهم وأعراقهم .

٣- دور اللغة العربية ، لغة للقرآن الكريم ، وللدولة الآخذة في الاتساع ، دون تعسف أو إجبار.

٤- نظرة الإسلام المتكاملة إلى الحياة.

وسأعرض لهذه العناصر الأربعة المتداخلة، بشيء يسير من التفصيل الذي يسمح به الوقت المتاح .

أما عن العنصر الأول ، فاحتفال القرآن الكريم بالعلم والعلماء معروف مشهور ؛ ويكفي للدلالة عليه التكريم العظيم للعلماء في قوله تعالى من سورة آل عمران:"شهد الله أنه لا إله إلا هو، والملائكةُ وأولوا العلم قائمًا بالقسط"(١٨) . فقد شُرِّف العلماء بالاعتداد بشهادتهم مع شهادة الله ، عزّ وجلّ ، وملائكته الأبرار . والمؤمنون كلهم يشهدون أنه لا إله إلا الله ، ولكن هذه التشريف للعلماء يدلنا على أن شهادتهم لها وزن خاص لأنها تقوم على أساس مختلف ، وهو إدراكهم لمعنى العدل والقسط في أفعال الله . فكل شيء عنده - سبحانه وتعالى - لحكمة ، وبمقدار ، وهم أقدر الناس على فهم ذلك . " فهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون " (الزمر:٩).

ويتجاوب هذا المعنى في نفسي مع ذكر خشية العلماء لله في موضع آخر : "ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفًا ألوانها ، ومن الجبال جُدَدٌ بيضٌ وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك ؛ إنما يخشى الله من عباده العلماء ؛ إن الله عزيز غفور"(فاطر : ٢٧ ، ٢٨) .

فخشية الله الحقّة قد وقرت في نفوس العلماء بعد تنبههم إلى هذا التنوّع الرائع في مخلوقات الله . والتنوّع مع الوحدة إعجاز في الخلق ما بعده إعجاز . وفي هذا إشارة إلى أن معرفة أولئك العلماء بأصول هذا التنوع وبعض أسراره المذهلة في صميم جينات الأحياء وتاريخ تكوين الصخور ، والتي مازال العلماء يكشفون منها كل يوم جديدًا ، هي التي تبعث في نفوسهم الخشية اللائقة بجلال بديع السموات والأرض وعظيم قدرته . والعلم الذي يشير إليه القرآن الكريم هو كل العلم على إطلاقه واتساعه ، والعلماء هم كلّ العلماء ، وليسوا علماء الدين وحدهم كما زعم بعض المتزمتين .

وشيء يسير من استقراء لفظ العلم في القرآن الكريم يزيد لنا الأمر بيانا وتأكيدا . فعندما يخاطب الحق ، جل شأنه ، رسوله صلوات الله عليه ، في سورة البقرة :" ... قل إن هدى الله هو الهدى ، ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير " (١٢٠) ، وفي سورة طه : "ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه ، وقل رب زدني علمًا " (١١٤) ، يكون العلم هنا هو ولا شك العلم الإلهي اللدني بمعناه الشامل . أما في موضع آخر من سورة البقرة:" وعلّم آدم الأسماء كلها ، ثم عرضهم على الملائكة ، فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم " (٣١، ٣٢) ، فكتب التفسير تقول – من بين ما تقول – إن الله علم آدم " أسماء الأجناس وعرفه منافعها " .. وهذه هي علوم الدنيا اللازمة لخليفة الله في أرضه. وكذلك عندما يلفت الخالق المبدع أنظارنا إلى بعض أوجه حكمته في خلق القمر:" وقدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب"(يونس: ٥) ، فالعلم هنا بمعنى

ما يحصله الإنسان في حياته ، أي بمعنى كل ما يدركه عن طريق حواسه وفكره. وإننا لو تتبعنا الفعل " علم " في القرآن الكريم لوجدناه منسوبًا إلى الله تعالى وإلى الناس فرادى وجماعات وبالتعميم والتخصيص وفي أزمنة مختلفة ، وإلى الجنة وإلى النفس ... إلخ . وليس هذا على سبيل الحصر ، وإنما للدلالة على اتساع معنى اللفظ ، في اللغة وفي الاستعمال القرآني حتى يشمل العلم المنسوب إلى كل هؤلاء الفاعلين المختلفين والمتفاوتين في نوع علمهم ومقداره وقدره .

والقرآن الكريم حافل بذكر آيات الله في خلقه متخذا من التفكُّر فيها مدخلا رحيبا إلى الإيمان بالله ، عن طريق استشعار وحدانيته سبحانه ، وإدراك قدرته وبديع صنعه . ويتخذ القرآن الكريم أساليب بلاغيةً متنوعة في الدعوة إلى النظر في هذه الآيات ، فهي تأتي تارة أمرًا صريحًا :" قل انظروا ماذا في السموات والأرض ... "(يونس:١٠١) وتارة في أسلوب حضٍّ جميل :" أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رفعت . وإلى الجبال كيف نصبت . وإلى الأرض كيف سطحت " (الغاشية : ١٧-٢٠) ، في حين تأتي في مواضع أخرى بصيغة تقرير قاطع :"أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء... " (الأعراف:١٨٥). بل إن الأمر بالنظر يقترن في مواضع أخرى بضرورة السعي والحركة وديناميَّة البحث :" قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ..." (العنكبوت : ٢٠) .

وجاءت السنة النبوية الشريفة مؤازرة ومفسرة لهذه التوجيهات القرآنية الربانية ، ومرشدة إلى كيفية اتباعها ، فيبشرنا الرسول الكريم ، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، بأن مجلسنا هذا للحديث عن العلم ، مجلس مبارك إن شاء الله ، تحفه الملائكة ، وتنزل عليه السكينة ، وتغشاه الرحمة ، ويذكره الله في الملأ الأعلى . بل إنه ، صلى الله عليه وسلم ، يزيدنا سعادة بقوله :" إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض ، حتى الحيتان في الماء . وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ..." ومثل هذا في السنة الشريفة كثير .

وتعلم المسلمون هذا الدرس وفقهوه. فيقول الإمام الشافعي ، رضي الله عنه :" طلب العلم أفضل من صلاة النافلة ". ويقول أبو الدرداء :" مذاكرة العلم ساعة خير من قيام الليل " . ويقول الحسن البصري :" يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء فيرجح مداد العلماء " . وليس بالمستغرب بعد هذا أن يكون ثاني كتاب في صحيح البخاري ، بعد كتاب "الإيمان" مباشرة ، هو "كتاب العلم" . أما أبو حامد الغزالي فجعل " كتاب العلم" أول الكتب الأربعين التي قسم إليها " إحياء علوم الدين " . ونشط المؤلفون إلى تصنيف كتب كثيرة في العلم وآدابه ، لعل من أوفاها " جامع بيان العلم وفضله " ، لابن عبد البر القرطبي في القرن الخامس الهجري . ولا مراء أن معظم هؤلاء المؤلفين ينصرف لفظ "العلم" عندهم إلى علم الحديث بالذات في المحل الأول ، ولكنني أسارع بالتنويه بأمرين : أولهما ما قدمته من عموم لفظ "العلم" في اللغة والاستعمال القرآني. وثانيهما أن منهاجية توثيق العلم – أي علم – قد أسسها وأقامها على أحكم وجه علماء رواية الحديث الشريف .

وأول ما يفتح الباب أمام العلم الصحيح هو إزالة حُجُب الأوهام والخرافات . كُسفت الشمس يوم مات إبراهيم ، الابن الحبيب للنبي عليه الصلاة والسلام ، فقال النّاس : انكسفت لموت إبراهيم . وهنا ينبري النبي ، المعلم الهادي، فيقول للناس :" إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ". فيتأكد للمسلمين أن الشمس والقمر يجريان على سنن أقامهما الله عليها . وفي ضوء هذا الإرشاد وأمثاله من القرآن الكريم والسنة المشرفة ، والتفتح العقلي على علوم الأسبقين ، برع المسلمون في دراسة الفلك واكتشاف نواميسه . ولكن هناك خط فاصل بين علم الفلك وخرافات التنجيم ، يحدده الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، فيقول :" من أتى عرافًا فسأله عن شيء فصدقه ، لم تقبل له صلاةٌ أربعين يومًا" .

ثم ينبغي أن يكون هناك مسهاج علمي، وأول أسسه تلمس البرهان الصحيح والدليل المقنع . وفي هذا يعلمنا القرآن الكريم :" قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين" : (النمل : ٦٤). ويحدرنا

معلمنا الهادي ، صلى الله عليه وسلم ، في ضوء الأحكام القرآنية القاطعة : " إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث". وتتآزر آيات القرآن الكريم والأحاديث الصحاح في حث المسلمين على تحكيم العقل والتحذير من اتباع الهوى والانقياد الأعمى لأقوال السابقين. ومن منهاج العلم أيضًا ، الدقة والأمانة ، وهما ، فيما أرى ، شعبتان من القاعدة العامة التي يسميها الإسلام " التقوى" ، أي مراقبة الله في كل ما نفعل أو نقول. وفي هذا يقول الرسول ، صلى الله عليه وسلم :"تناصحوا في العلم ، فإن خيانة أحدكم في علمه أشد من خيانته في ماله، وإن الله سائلكم يوم القيامة".ومن الأمانة أن يقول الإنسان :"لا أعلم " إذا سئل عما لا يعرفه .سئل الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، أمام الملأ من الناس عن الساعة (أي يوم القيامة) فقال بقطع ووضوح :" ما المسؤول عنها بأعلم من السائل " . وهكذا نجد ابن عبد البر يقول إن حد العلم – أي تعريفه – هو " ما تيقنتَه وتبينتَه "و"على هذا فمن لم يستيقن الشيء وقال به تقليدًا فلم يعلمه" . وكل هذا نجده في المناهج العلمية الرائعة التي كتبها النظّام وابن الهيثم والبيروني والرازي وابن سينا ، وغيرهم من أعلام علماء المسلمين . وقد كانت قضية المنهج عند علماء المسلمين موضع عناية خاصة من الباحثين المحدثين (انظر ، مثلا ، فرانتز روزنتال ، ١٩٨٠) .

ثم كان على المسلمين أن يفقهوا في تبين ووضوح الحد الفاصل بين ما هو من الدين والوحي وما هو من علوم الدنيا التي يجب عليهم أن يكتسبوها بالدراسة والملاحظة والتجربة العملية . وكان أسلوب النبي ، صلوات الله وسلامه عليه. في تعليم صحابته ، رضوان الله عليهم ، هو الأسلوب العملي والأسوة الحسنة . ففي مناسبة تأبير النخل في المدينة المنورة، أرسى النبي صلى الله عليه وسلم ، القاعدة العظيمة التي أراد أن يسير عليها المسلمون في جميع عهودهم :" أنتم أعلم بأمور دنياكم " . وقال لهم :" إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به ، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي ، فإنما أنا بشر ". ما أعظمك يا رسول الله ، ففي هذا توجيه للناس إلى ضرورة اعتمادهم على تجاربهم الشخصية والاستنباط الصحيح من نتائجها . ومن أبلغ ما قاله

الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، لحث الناس على التفكير وإطلاق عقولهم من كل قيد ، أنه أخبرهم أن للمجتهد أجرًا إذا أخطأ وأجرين إذا أصاب . فلماذا إذن يحجم المسلمون عن التفكير ومحاولة الإبداع ، وهم مأجورون على كل حال، ما داموا يجتهدون بعد أن تتوافر لهم شروط الاجتهاد وأدواته ؟ ليت أقوامًا من مسلمي هذا الزمان يفقهون هذا القول.

عند الاستعداد لمعركة بدر الكبرى، اختار النبي منزلا ، أي موقعًا ، قريبًا من الماء كي يرابط عنده المسلمون استعدادًا للقاء المشركين . وهنا تقدم إليه الحباب بن المنذر الأنصاري ، يسأل : يا رسول الله ، أرأيت هذا المنزل ، أمنزل أنزلكه الله ، ليس لنا أن نتقدمه ولا أن نتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم :" بل هو الرأي والحرب والمكيدة". فأشار الحباب بمنزل استراتيجي آخر أفضل وأحصن من سابقه . فوافق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقال له : " لقد أشرت بالرأي". والدروس هنا كثيرة وعظيمة : الاحتهاد المفتوح في أمور الدنيا ، حتى في حضرة النبي نفسه وعلى خلاف رأيه ، وهناك الشورى ، وهناك سعة صدر القائد وتواضعه وسعيه إلى الحقيقة والمصلحة العليا . وهناك أيضًا الشجاعة الأدبية عند الجندي ووضوح فلسفته بين التزام الطاعة وحرية الرأي ، ودقته في أن يستبين الحد الفاصل بين ما هو من أمر الوحي الإلهي ، وما هو من واجبات الاجتهاد البشري . ومرة أخرى ، ليت قومي يفقهون .

وهكذا نطمئن إلى انتفاء أية وصاية على طلب العلم والاجتهاد بالرأي ،وإلى أن المسلمين أمروا أمرًا بطلب العلم والتوصل إليه بمداحله الطبيعية بالملاحظة والتجربة والتفكير السليم .

وأما عن العنصر الثاني ، وهو سماحة الإسلام ، فأدلته معروفة مشهورة أيضًا . " لا إكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي .. " (البقرة : ٢) . ويحترم المسلمون الأديان السماوية السابقة ولا يفرقون بين أحد من رسل الله ، وهذا جزء أساسي من إيمانهم وعقيدتهم . ولما كان الإسلام هو الدين الخاتم فهو دين الناس جميعًا ، يُدْعَوْن إلى الدخول فيه

اختيارًا واقتناعا ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما أن النبي ، عليه الصلاة والسلام ، هو خاتم النبيين والمرسلين ، الذي أرسل إلى جميع الناس :" وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرًا ونذيرًا " (سبأ : ٢٨) .

وأعلن النبي ، صلى الله عليه وسلم، أنه لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى . ولذلك كان من صحابته الأجلاء سلمان الفارسي، وصهيب الرومي ، وبلال الحبشي . وكان يستشيرهم ويأخذ برأيهم . فمن ذلك ما حدث في غزوة الأحزاب ، حين أشار سلمان الفارسي ، رضي الله عنه ، على الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، بحفر خندق يعترض طريق الجيش الزاحف إلى المدينة ، وهي فكرة غير عربية أربكت جيش المشركين . ثم إن الرسول الكريم ، صلى الله عليه وسلم، علّم المسلمين أن الحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها ، وأن العلم يؤخذ (في غير أمور الدين) ولو من عند المشركين . فأمر النبي سعد بن أبي وقاص بالتداوي عند الحارث بن كَلَدَة ، غير المسلم الذي تعلم الطب في فارس ، واستعان النبي صلى الله عليه وسلم ، بدليل خِرِّيت ، أي حاذق، غير مسلم ، وهو عبد الله بن أريقط ، في رحلة هجرته الخطيرة إلى يثرب .

وهذان العنصران معًا ، أي تقدير الإسلام للعلم وسماحته ، جعلا من العقلية الإسلامية عقلية متفتحة متعطشة للعلم ، تسعى لكل علم نافع ، ولو في الصين ، وتتقبله دون عائق من جنس أو لون أو دين . وهكذا لما انتشر الإسلام ، واختلط العرب بغيرهم من الأمم ، هبوا ليقوموا بأكبر عملية نقل وحفظ للتراث العلمي للإنسانية جمعاء في التاريخ ، فقد ترجمت العلوم من الإغريقية والسريانية ، وبدرجة أقل من السنسكريتية والبهلوية ، إلى اللغة العربية ، كما هو معروف .

والجو المرحب بالعلم والحاني على العلماء في دولة الإسلام الفتية حفظ تراث الإنسانية العلمي من الاندثار، وجعل جداول العلم التي كادت تنضب ينابيعها في مصر القديمة وبابل وبلاد اليونان والإسكندرية وفارس وجنديسابور والهند والصين،جعلها تصب في بحر صاف جديد . ومضت حركة النقل العظيمة قدما، واستمرت نحو ١٥٠ عامًا ، انتقلت بعدها كنوز الحضارات

السابقة وعلومها إلى اللغـــة العربيـــة ، وأصبحت ميسورة للمتعلمين والبـــاحثين في كل علم، يتناولونه بالفهم والتمحيص والتحليل الدقيق والنقد الثاقب ، في أمانة بالغة وأدب جم ، ثم يتكرون علومـــهم ويضيفون آراءهم ونتـــائج بحوثـــهم ، ويصوغون العلم صياغة لها أهداف وقيـم جديدة ، فيخرج علما جديدا قويا عمليا عالميًا . وهذا هو الشيء العظيم الذي قـد لا ينتبه إليه الدارسون ، وهـــو تحويـــل العلوم- لأول مـــرة في التـــاريخ - إلى مسألة عالمية وإلى تراث إنساني يثور على القوميات والتعصبات الضيقة. وهكـــدا انصهرت الحضارات السابقة في بوتقـــة الحضارة الإسلامية المتفتحـــة الســـمحة الفتية . ولعل هذا هو أعظـــم أفضـــال الإسلام على العلم ، الدي تلقفته أوربـــا - على تردد وصد - علمًـــا موحـــدًا ناضجًا ، هُضم ومثل وأعيد صوغـــه في صورة جديدة . فكان هذا مـــن أقـــوى دعائم ازدهار العلم منذ عصور النهضـــة الأوربية فيما بعد ، والذي نعيشـــه الآن، ونسميه العلم العربي . وهكدا يتضح لنـــا أن عالمية العلم هي ثمرة وانعكاس لعالميـــة الإسلام ، التي حدثنا عـــــها أســـتاذي الدكتور شوقي ضيف العام الماضي ، من هذا المنبر ، ثم نشر عنها كتابًا قيما منـــذ بصعة أشهر .

وأما العنصر الثالث ، وهو العربيـــةُ لغةً للعلم ، فيتصل بهده النقطة التي انتهينا إليها ويكملها . فقد أصبح لهدا العلـــم الدي جاء من أقطار الأرض لغة واحدة ، هي لغة القرآن الكريم التي يعتز بها كـــل مسلم ، بل إنها قد أصبحت - طواعيـــة واحتيارا - لغة الحياة في معظم أرجـــاء العالم الإسلامي ، فحلت تمامًـــا محـــل القبطية المصرية ، والآرامية ، واليونانية ، واللاتينية ، وأصبح معظم العالم المتحضر وقتذاك يتحدث اللغة العربية ، وألّف أبو بكر الرازي ، المولود في فارس ، كتبـــه العظيمة في الكيميـــاء والطـــب باللغـــة العربية، وكذلك فعل البيروني ، الـــذي عشق العربية وقال إنه لأحـــب إليـــه أن يهجى بها من أن يمـــدح بالفارســـية ا وعيرهما كثير . وسرعان ما أصبحـــت العربية لغة العلم العالمي عدة قرون ، كما قدمت، حتى إن إتقانها كان شرطا للتعلم والاشتغال بالعلم خارج نطاق الدولـــة الإسلامية . وقد كتب روجر بيكـــون ، في القرن الثالث عشر الميلادي ، يقـــول:

إني لأعجب لمن يريـــد أن يتضلـــع في الفلسفة والعلم وهو لا يعرف العربية !

وتوحيد لغة العلم والحضارة والحياة، كان له أثر آخر بعيد المدى . فإنه قـــد أزال الحواجز بين لغـــة العلمـــاء ولغـــة الشعب، فجعل مفاهيم العلم ونتائجـــه ومبتكراته متاحة لجماهير الشعب، للثقافة والتطبيق . (وهذا هو أحـــد أســـباب دعوتنا لتعريب لغة العلم في بلادنا الآن). وهكذا لم يصبح العلم عالميًا فحســـب ، وإنما أصبح جماهيريًا شعبيًا أيضًا . وهـــذه نقلة حضارية بعيدة المدى ، ولم يسبق لها مثيل . فلنتأمل ، ولنوازن بين هذا الموقف وقيام العلم في أوربا في عصر النهضـــة ، فقد كان تداوله والاشتغال به هنـــاك - إلى عهد غير بعيد- مقصوراً على الذيـــن يتقنون اللاتينية الميتة البعيدة عن الحيـــاة والناس .

وأبلغ مثال عندي على شعبية الثقافة العلمية في دولة الإسلام، هو قيام جماعـــة "إخوان الصفا" في البصرة في النصـــف الثاني من القرن الرابـــع الهجـــري (أو العاشر الميلادي) . فإننا إذا نحينا الجوانب السياسية والمذهبية ، اتضح لنا أن هـــذه الجماعة هي جمعية علمية تعليمية تثقيفيـــة في المحل الأول . ويقول مـــؤرخ العلـــم الحجة هولميار E.J.Holmyard في افتتاحيـــة عدد/أبريل من الدورية اللندنية العالميـــة Endeavour إنها واحدة من أقدم الجمعيات العلمية التي تحققنا من وجودهـــا ، وإن اهتمامـــات أعضائـــها لتتفـــق كثـــيرًا واهتمامات الذين أقاموا الجمعية الملكيـــة في لندن بعد قرون . وقد ألف الإخـــوان رسائلهم الاثنتين والخمسين في مختلـــف أبواب الفلسفة والعلم ، لتذيع بين طلاب الثقافة العلمية في عصرهم .

وتوحيد لغة الحياة ولغة العلم له أثر آخر بعيد المدى ، وهو تيســـير التعلُّـــم والتعليم . والرســـول صلـــى الله عليـــه وسلم، جعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وأعلى منـــزلة التعليم . خرج ذات يوم فرأى مجلسين ، أحدهمـــا يدعون الله عز وجل ويرغبـــون إليـــه ، والثاني يعلّمون الناس ، فقال :"أما هؤلاء فيسألون الله تعالى فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم ، وأما هؤلاء فيعلّمون الناس وإنما بعثت معلمًا "، ثم عدل - أى اتجهَ- إليهم وجلس معهم .

وقد رسم الرسول ، عليـــه أفضـــل الصلاة وأزكى التسليم ، تفـــاصيل آداب

التعليم والتعلّم ، من توقير وإجلال للمعلّم ، وعطف على المتعلّم ، وتشجيع للمصيب ، ورفق بالمخطئ ، وتكرار للشرح ، وضرب للأمثال ، واستعمال لوسائل الإيضاح ، وأسلوب الحوار . وفي هذا كله حديث يطول (انظر ، مثلا يوسف القرضاوي ، ١٩٨٥) . وأكتفي بقوله ، عليه الصلاة والسلام :" علّموا، ويَسِّروا ولا تُعَسِّروا ، وبشروا ولا تنفروا .." ، وقوله :" العالم والمتعلّم شريكان في الأحر ، ولا خير في الناس بعد " . وقد أوصى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بالترحيب بالمتعلم والبشاشة له ، وإكرامه . ولذلك كان العلماء من التابعين يرحبون بمن يقصدهم للعلم قائلين : مرحبًا بوصية رسول الله ، صلى الله عليه وسلم !

ثم نأتي ، أيها الجمع الكريم ، إلى العنصر الرابع ، وهو نظرة الإسلام المتكاملة للحياة ، وما نسميه الآن :"العلم والقيم " و " سوشيولوجية العلم " . فالعلم الغربي عندما بدأ في أوربا في عصر نهضتها على أكتاف العلم الإسلامي ، تجرد من كثير من مُثُلِه الإسلامية الأصيلة وقِيَمِه الرفيعة . فقد بُهر الناس بالكتوف العلمية ، بعد طول جهل في عصورهم المظلمة ، وافتتنوا بها غاية الافتتان ، وتصور بعضهم أن العلم وحده هو الحقيقة وأن الدين حديث خرافة ، وقالوا إن العلم يقيس ويحسب ويضع القوانين الصادقة ويعالج موضوعات تدركها حواسنا وفيها أسباب معاشنا ورفاهتنا ، فمالنا حاجة بعد بما وراء ذلك . واتخذ العلم عمومًا موقفا صَلِفًا متعاليا مغرورا ، متجردا من أي قيم دينية أو أخلاقية أو إنسانية ، أو يكاد . بل إن القوم قالوا إن العلم الجيد الحق هو الذي يبرأ من هذه الأمور جميعا . وقوَّى من هذا الموقف أن رجال الدين في أوربا ناصبوا العلم منذ ظلام العصور الوسطى عداء سافرًا ، واضطهدوا العلماء اضطهادا مريرًا . وكان لذلك أسبابه السياسية والتاريخية.

وهذه المشكلة لم تكن قائمة أبدا في العلم الإسلامي . ويرجع الفضل في هذا بساطة إلى صميم مبادئ الإسلام الأساسية ، كما قدمنا . فالإسلام دستور متكامل للحياة كلها ، بجميع مناشطها ، ومشبع للنفس في كل نزعاتها ، والعلم والإسلام متعانقان . ويكفي للتدليل على هدا تأملنا في قوله تعالى ، من سورة آل

عمران :" إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا ، سبحانك ، فقنا عذاب النار " (١٩٠، ١٩١) . فهنا الإيمان ، متمثلا في ذكر الله في جميع أحوال الذّاكر ، محصور بين الالتفات إلى آيات الله الكبرى في خلق الكون ونظامه ، والتفكير في روائع ذلك وأسراره - وهذا هو العلم كله - ثم ينتهي الأمر بالمؤمن الباحث المتفكر إلى الإيمان بالحساب واليوم الآخر وإلى دعاء الله ؛ والدعاء مخ العبادة . ولهذا كان معظم علماء المسلمين الأوائل فقهاء متمكنين أيضا من علومّ الدين .

وفي العقدين الأخيرين من هذا القرن اتجه فلاسفة العلم في الغرب اتجاها قويا نحو أمرين : أولهما "العلم والقيم" Science and Value و " سوشيولوجية العلم" Sociology of Science ، وأصبحت تؤلف فيهما مجلدات وتُعقد ندوات ومؤتمرات دولية ، وتُنشأ لهما جمعيات علمية جديدة ودوريات متخصصة . وكان من أبرز الذين رفعوا صوتهم ، في عقد الثمانينات ، بالنذير والتحذير من آثار العلم الغربي المدمر بيكولاس ماكسويل الذي تتلخص دعوته في عنوان كتابه المثير : " من المعرفة إلى الحكمة - ثورة في أهداف العلم وطرائقه " (Maxwell,1988) . ومن هنا أخذ فلاسفة العلم المحدثون يطامنون من استعلاء العلم ويكفكفون من غلواء العلماء (عبد الحافظ حلمي ، ١٩٧٩) ، وأصبحوا ينادون باجتماعية العلم ، وأن العلم نشاط إنساني يرتبط بقيم المجتمع ، فيتأثر بها كما يؤثر فيها (O'Hear,1989).

وهذه المصالحة التي يحاول الغرب أن يصل إليها ، بعد طول فرقة وعداء ، كانت عنصرا أساسيا في العلم الإسلامي منذ فجر بزوغه ، كما قدمنا ، فقد أقام الإسلام العلم وثيق الوشائج بالمجتمع الإسلامي وقيمه . فالعلم يُطلب ويُعْطَى في ضوء ما قدمنا من قيم رفيعة وضوابط رشيدة ، ثم إنه يجب أن يكون موجها إلى الخير . فمن ذلك ما تعلمه المسلمون من نبيهم ، صلى الله عليه وسلم ، من أن يستعيذوا بالله من علم لا ينفع . والمنفعة هنا كلمة شاملة لكل ما يحقق أسباب الخير المادية والمعنوية للبشرية جمعاء ، بل

لبيئة الأرض التي استخلف الإنسان لعمارتها ورعايتها .

لا يستطيع أحد إنكار دور الإغريق في تقدُّم العلوم ، ولكن من الخطأ الفادح أو الجهل الفاضح اعتباره الدور الوحيد - كما يفعل بعض مؤلفي الغرب وأتباعهم من أنصاف العلماء . وقد تميز العلم الإسلامي على العلم الإغريقي الفلسفي النظري في أساسه ، باهتمامه بالنواحي التطبيقية ، ومن ثم كانت مع النهضة العلمية نهضة ثقافية أو تكنولوجية واسعة : في أجهزة الرصد الدقيقة والساعات ، وأجهزة البحث الكيميائي ، وأدوات الجراحة ، ومعدات الزراعة والري ورفع الماء ، ومختلف أنواع الصناعات ، والأساطيل وعدة الدفاع ، وفنون البناء والنسيج ، بل والتزيين ووسائل الترف والرفاهية (انظر ، على الأخص : AL-Hassan and Hill, 1986) .

ولا ينتهي إعجابي بابن عبد البر الذي كان ، في القرن الخامس الهجري، يَعُدُّ السباحة و " الفروسة " والزى (أي صناعة " الموضات") والتزويق (أو "الديكور") علوما ! وينتقد الجزري (في القرن الثاني عشر الميلادي) أولئك الذين لا يتحققون من الجدوى العملية للأجهزة التي يصممونها ، ويقول إن كل " علم صناعة " لم يُختبر عمليا مشكوك فيه (المصدر السابق - وتأمل تعبيره : "علم صناعة ") .

وعن القيم في العلم ، أحكي لحضراتكم الواقعة الآتية . دعيت سنة ١٩٨١ ، للاشتراك في حلقة بحث مغلقة عقدت في ستوكهولم ، تحت عنوان "المعرفة والقيم في العلم والتكنولوجيا ، في الإسلام والغرب . وقد دعي إلى تلك الحلقة ، التي نظمتها مؤسسة "الإسلام والغرب" مع "الاتحاد الدولي لمعاهد الدراسات المتقدمة " ، نحو من عشرين عالما من الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وإنجلترا وفرنسا والسويد وإيطاليا من جانب ، ومن مصر وباكستان والسعودية والأردن من جانب آخر . وكان علماء الغرب يسألوننا : هل عندكم في الإسلام ما ينقذ الحضارة الغربية التي كاد يدمرها العلم ؟ وفي إحدى الجلسات ذكرت للمجتمعين معنى الحديث الشريف :" هلاك أمتي عابد جاهل وعالم فاجر " ، وعلقت قائلا : كلا الجانبين في عصرنا الحاضر ناقص ،

فلو أننا ضممنا ما عندنا من إيمان وهدى الأنبياء والرسل والقيم الدينية السامية إلى ما عندكم من علم وقوة لانصلح حال الدنيا ونجت من الهلاك . وقال مظم الحلقة السويدي : لو أننا سمعنا بهذا الحديث النبوي من أول الأمر لجعلناه شعارا لحلقتنا هذه !

ويدعو ضياء الدين سردار في كتابه المنشور عام ١٩٨٩ عن " استكشاف العلم الإسلامي" إلى الاهتمام بقضية القيم في العلم . ويقول إنه جاب العالم الإسلامي ، من شواطئ السنغال والمغرب إلى المحيط الهادي وجزر إندونيسيا ، بتكليف من المجلة العلمية العالمية الذائعة Nature ، فوجد المسلمين المشتغلين بالعلوم الحديثة شديدي الاهتمام بعلاقة أعمالهم بمعتقداتهم الدينية وقيمهم الأخلاقية ، وأن بعضهم شديدو القلق.أيضا من ارتباط دراساتهم وأعمالهم بقيم المجتمع العلمي الغربي الذي لا ينتمون إليه (Sardar, 1989) . وأرى ، كما قدمت ، أن تراثنا العلمي قائم على دعائم من القيم والمثل الإسلامية القويمة التي ينبغي علينا تعرفها وتحديدها ونشرها بين علماء المسلمين المعاصرين،حتى يتبعوها قدر استطاعتهم لترتاح نفوسهم وضمائرهم . (و"سرداد"كان أحد المسلمين الذين دعوا إلى حلقة ستوكهولم التي أشرت إليها) .

أيها الجمع الكريم

هاأنذا قد انتهيت من رسم الخطوط العريضة للعناصر الأربعة التي أحكمت الرباط بين ثالوث الإسلام واللغة العربية والعلم ، وأقامت دعائم العلم الإسلامي. أما ثمرته وعطاؤه فكانا شيئا عجيبا حقا، أذهل كل المنصفين من الباحثين الذين عُنوا بدراسة التراث الإسلامي العلمي دراسةً موضوعية دقيقة . فقد قفزت الحضارة الإنسانية قفزة هائلة لا أستطيع الآن حتى مجرد الإشارة إلى بعض ملامحها. ويقرر بعض الباحثين أن عدد مخطوطات التراث العلمي الإسلامي المسجلة في مكتبات العالم ، والتي بقيت بعد الفقد أو البلى وعدوان التتار والمغول وغيرهما ، بنحو ربع مليون مخطوطة . وأما المخطوطات غير المسجلة فلا يعلم عددها إلا الله . وكل هذا الذي نقوله عن العلم الإسلامي لا يعدو جزءا من الحقيقة الكاملة ، التي مازالت في حاجة ماسة إلى جهود عالمية مكثفة تستغرق الأعوام الطوال . هذا على الرغم من

الدراسات الكثيرة التي قام بها المستشرقون والعلماء العرب في القرنين الماضيين على الأخص . والحق يقال : يرجع معظم الفضل في توجيه الأنظار إلى التراث العلمي العربي وجلاء بعض نواحيه إلى جهود المستشرقين الذين قاموا بترجمة عيونه، في تبتل وعشق ، إلى لغات الغرب وتناولوها بكثير من الدراسة والتحليل .

أما عن تأثير حضارة الإسلام في حضارة الغرب المعاصرة ، فالشواهد عليه، والشهادات له كثيرة ، ولكن لعلي أكتفي بما قاله " وكنز" ، الأستاذ في جامعة تورونتو في كتاب له بعنوان "مقدمة في الحضارة الإسلامية " ، فهو خلاصة بليغة معبرة ، حيث يقول ما ترجمته:" على وجه العموم،استعار الغرب من الشرق الأوسط عمليا كل النسيج الأساسي للحضارة ". (Wickens, 1976).

ولكن هذا كله أساسه جوهر العلم الذي قدمته الحضارة الإسلامية إلى الغرب ، إذ قدمته علما عالميا ، عمليا تطبيقيا ، جماهيريا ، يتضمن في صميم بنيانه أسس منهاجه المتحرر من كل وصاية وقيد إلا من معايير قيمه الأخلاقية الرفيعة .

وأعود فأذكّر بالدور الذي قامت به اللغة العربية في هذا الإنجاز العظيم ، ولكنني أقول إنها إنما قامت بهذا الدور . بفضل تفتح عقلية قادة المسلمين وعلمائهم ، الذين سادوا زمانهم ، وفقهوا دينهم ، وملكوا ناصية لغتهم ، فتصرفوا تصرف السادة الأحرار . لم تملكهم اللغة التي عشقوها وأجلوها ، ولو أن ذلك قد حدث لجمدوا وجمّدوها ، ولكنهم أحسنوا توظيفها في الحضارة الجديدة المتفتحة أمامهم ، فطوعوها وأغنوها ، وجعلوها - كما رأينا - عنصرًا أساسيًا في قيام هذه الحضارة ، بل في صياغة علم عالمي مازالت الإنسانية تجني ثماره المتجددة .

وهذا هو الدرس الذي يجب علينا أن نعيه ونترسمه في هذا الزمان .

اللهم أنر بصائرنا ، وسدد خطانا ، وهيئ لنا من أمرنا رشدا ، وأنت - سبحانك - ولي التوفيق .

وأشكر لحضراتكم جميل صبركم ، وكريم إنصاتكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عبد الحافظ حلمي محمد

عضو المجمع

بعض المراجع

ابن عبد البر القرطبي ، ١٩٧٨ . " جامع بيان العلم وفضله" – جزآن .
دار الكتب العلمية ، بيروت .

أبو حامد الغزالي ، ؟ . " إحياء علوم الدين " – أربعة مجلدات .
دار الشعب ، القاهرة .

شوقي ضيف ، ١٩٩٦ . " عالمية الإسلام" . دار المعارف ، القاهرة .

عبد الحافظ حلمي محمد ، ١٩٨٠ . " الفجوة المتوهمة بين الدين والعلم" . كتاب المؤتمر السنوي التاسع والأربعين للمجمع المصري للثقافة العلمية (١٩٧٩)، القاهرة:١٧-٣٧.

ـــــــ ، ١٩٩٢ . " المعارف البيولوجية في رسائل إخوان الصفا " .مجلة مجمع اللغة العربية ، ٧١ : ٦٧ – ٩٨ .

ـــــــ ، . " حضارة سداها الإسلام ولحمتها العلم " .
مجلة مجمع اللغة العربية (تحت الطبع) .

فرانتز روزنتال ، ١٩٨٠ . " مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ". (ترجمة :أنيس فريحة) – الطبعة الثالثة . دار الثقافة ، بيروت .

يوسف القرضاوي ، ١٩٨٥ . " الرسول والعلم " – الطبعة الثالثة . مؤسسة الرسالة ، بيروت .

Al - Hassan , A.T. and Donald R.Hill. 1986. " Islamic Technology" . Cambridge Univ. Press and UNESCO.

Gaukroger, S. 1996. Arabic Science . Metascience 10 : 180 - 181 .

Holmyard, E.J. 1947. The role of the scientific society. Endeavour, 6 (22): 49-50.

Maxwell, N. 1988."From Knowledge to Wisdom - A Revolution in the Aims and Methods of Science". Blackwell , New York

Nasr. S H. 1976 "Islamic Science - An Illustrated Guide ". World of Islam Festival Publishing Company , London.

O'Hear, A. 1989. " Introduction to the Philosophy of Science ". Clarendon Press, Oxford.

Rosenthal F. 1975. " The Classical Heritage of Islam". (Translated from the German). Univ. of California Press, Los Angeles.

Russell G.A. 1981. " Islamic Science " In : Dictionary of the History of Science (eds. W. F. Bynum, E J. Brown , Ray Porter). The Macmillan Press, London

Sardar, Ziauddin. 1989. " Explorations in Islamic Science " Mansell , London.

Sarton, G. 1927 - 1947 . " Introduction to the History of Science " - 3 vols Williams and Wilkins Comp , Baltimore.

Taton , René (ed.) . 1967 . " Ancient and Medieval Science".
(Translated from the French). Thomas and Hudson , London

Wickens , G.M. 1979 " What the West Borrowed from the Middle East ". Chapt . 11 (PP. 120 - 126). In · Savory, R.M (ed), Introduction to Islamic Civilization". Cambridge Univ. Press.

محاولة لتصنيف أنواع اقتراض معانـــي الألفاظ والتراكيب الأجنبية بالترجمة (Calque)*

للأستاذ الدكتور نيقولا دوبريشان

لا شك أن تناول قضيـــة اقـــتراض المعاني " Calque " قضية أكثر تعقيدًا مـــن بحث اللفظ المقتبس مـــن لغـــة أخـــرى والمعرَّب، بل حتى ملاحظته أو اكتشـــافه أصعب من اكتشاف اللفـــظ المعـــرَّب وذلك لأنه لا يؤثر في النظام المعجمي إلا سطحيا، ولعل القارئ غير الملـــم بهـــذه الأمور يتصور بأن التغير في المعنى تطـــور طبيعي للدلالة . (١)

ومما يلفت النظر أيضًا عدم وجـــود مصطلح خاص لتسمية جميع أنواع هـــذه الظاهرة اللغوية مقابل للفـــظ " Calque " من اللغة الفرنسية واللغـــة الإنجليزيـــة . ووجدنا المستشرق الفرتسي " فســـان موبتي " يقترح لتسمية هـــذه الظـــاهرة اللغوية مصطلـــح " قولبـــة " (٢) وفي قاموس المصطلحات اللغويـــة الحديثـــة وجدنا مصطلح "الاقتراض بالترجمة"(٣).

ويمثل الاقتراض بالترجمة وسيلة مهمة لتطويـــر دلالات الألفـــاظ وتعريـــب التراكيب الأجنبية وحتى تطوير النحـــو ذاته في بعض القطاعات منه . لكنَّ دور هذه الظاهرة اللغوية يختلف من لغـــة إلى أخرى بحكم عوامل لغوية واجتماعيـــة تاريخية مختلفة ، مثـــل أنـــواع اللغـــات المتماسة المحتكة والعائلات اللغوية الـــتي تنتمي إليها،ووزن ثنائية اللغة في مجتمع أو آخر، ومدى الانفتاح الروحي للشـــعوب الخ .

وبرغم أن العديد من البـــاحثين في مختلف البلدان اهتموا بقضية الاقـــتراض بالترجمة (Calque) إلا أنه يصعب القـــول بأنه توجد نظرية كاملة موحدة حـــول هذه الظاهرة اللغوية . وقـــد طُرحـــت تعريفات وتصنيفات مختلفة لها ، انطلاقـــا من الحالة القائمة في لغة أو أخرى ، لكن أنواعها الأساســـية نجدهـــا في جميـــع التصنيفات المقترحة تقريبا ألا وهـــي : اقتراض المعنى والبنية الداخليـــة للكلمـــة وتعريب الأساليب، أو التراكيب الأجنبية والاقتراض النحوي . أما الاختلافات من تصنيف إلى آخر فتتعلق ببعض الأنـــواع الفرعية وغير ذلـــك مـــن التفـــاصيل . ويختلف بعض الباحثين فيما يخص العلاقة

---

* ألقى هذا البحث في الجلسة الحادية عشرة من جلسات مؤتمر المجمع في دورته الثالثة والستين يوم الأحد ١٤ من ذي القعدة سنة ١٤١٧هـ الموافق ٢٣ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٧م .

القائمة بين الاقتراض بالترجمة والترجمة واللفظ المقتبس، ويعتبرون الاقتراض بالترجمة نوعا من الاقتباس اللغوي . صحيح أن اقتراض المعنى نوع من الاقتباس لكنه اقتباس غير مادي على خلاف اللفظ المقتبس والمعرب . ويجري الحديث هذه المرة عن اقتراض المعنى أو البنية الداخلية للفظ، أو كيفية تركيب مكونات العبارة .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن جميع أنواع الاقتراض بالترجمة تفترض وجود ثنائية اللغة أو تعددية اللغات . ويمكن أن تكون اللغة الثانية لغة أُمٍّ أو لغة متعلمة تم استيعابها لاحقا.وسواء أكانت في المناطق الحدودية لمختلف البلدان أم في مناطق داخلية حيث تتعايش أقليات قومية تتكلم لغات تختلف عن اللغة الرسمية، وفي حالات أخرى يمكن أن تكون اللغتان لغتي الأم. لكن في نفس الوقت يمكن أن تكون اللغة الثانية لغة متعلّمة مستوعَبة لاحِقًا من قِبَل فرد أو من قِبَل فئة اجتماعية معينة . وإذ نتحدث عن اللغة العربية يجب أن نميز هنا بين اللغة الفصحى وبين اللهجات العامية. هناك في المناطق الحدودية في مختلف البلدان العربية أو في " جيوب " أو مجموعات مختلفة أفراد يتكلمون اللغتين، وهم يعتبرون وسطاء لنقل معاني الألفاظ من لغة إلى أخرى .أما في اللغة الفصحى فإن عدد أمثلة نقل المعاني أقل وفي العصر الحديث ليست نتيجة لاحتكاك مباشر بين اللغة العربية واللغات الأخرى ، وبخاصة اللغتان الفرنسية والإنجليزية ، نظرًا لوسائل الإعلام الحديثة من صحف وإذاعة وتلفزيون وبالأخص في السنوات الأخيرة . لكن على مستوى الفصحى نجد - بفضل الاتصال عن طريق هذه الوسائل - عددا أكبر من حالات تعريب الأساليب،بحسب العبارة التي استخدمها عبد القادر المغربي في عام ١٩٣٤ (٥) واقتراض البنية الداخلية للألفاظ . وربما ليس من باب الصُّدفة أن تعريب الأساليب كان أول نوع من الاقتراض بالترجمة لفت أنظار الباحثين العرب ابتداء من أوائل القرن العشرين.

وبعد بحث عميق لظاهرة الاقتراض بالترجمة قمنا بتصنيف أنواع الاقتراض بالترجمة على النحو التالي :

١- الاقتراض بالترجمة الخاص بالألفاظ

١-١ - اقتراض المعنى .

٢-١- اقتراض البنية الداخلية للألفاظ .

٢- اقتراض التراكيب أو الأساليب الأجنبية .

٣- الاقتراض الخاص بالنحو (Syntax)

١- إن الاقتراض بالترجمة الخاص بالألفاظ يكمن في اقتراض معنى لفظ أو في محاكاة البنية الداخلية للفظ الموجود في لغة أخرى .

١-١- ويكمن اقتراض المعنى في إضافة معنى جديد إلى معنى لفظ موجود في اللغة، محاكاة للفظ المقابل له في لغة أخرى، والذي يعبر دائما عن أكثر من معنى واحد . والشرط الإجباري لنقل المعنى الجديد هو وجود معنى مشترك واحد على الأقل في اللفظين الموجودين في اللغتين ، ويجري نقل المعنى الجديد بواسطة هذا المعنى المشترك . وقد لفت "فنسان مونتي" النظر إلى أن الفرنسية والإنجليزية أثّرتا في المعجم العربي في العصر الحديث على الأخص بفضل الترجمة بشكل اقتراض المعنى عن وعي أو عن غير وعي . (٦) وذكر على سبيل المثال كلمة " نواة" العربية التي اقترضت معنى " نواة الذرّة" من اللفظ الفرنسي "noyau" الذي كان يعبر عن المعنيين . من المحتمل أن يكون التشابه اللفظي بين الكلمتين قد لعب دورا في نقل المعنى الجديد ، لكن ذلك مجرد صدفة حيث تتوافر العديد من الألفاظ العربية التي اغتنت بدلالات جديدة اقترضتها من الألفاظ المقابلة في اللغة الفرنسية دون وجود أي تشابه لفظي . ونذكر على سبيل المثال :

- لفظ " الصحيفة " بمعنى " ورقة " الذي اقترض معنى " الجريدة " من الكلمة الفرنسية " feuille " .
- لفظ " الطبقة " الذي اقترض معنى "الفئة" (الاجتماعية) ، على الأقل جزئيا من اللفظ الفرنسي "Couche"
- لفظ "الحقل" الذي اقترض معانيها في الميادين الفيزيائية والنفطية والسياسية من اللفظ الفرنسي "domaine " ومن اللفظ الإنجليزي "field" .
- لفظ " الحركة " الذي افترض معنى "التيار" أو " الاتجاه الفكرى أو السياسي" من لفظ " mouvemant" الفرنسية .
- لفظ " الجبهة " الذي اقترض معنى " المنظمة السياسية " من لفظ " front" الفرنسية .

- لفظ " الإطار " الذي اقترض معنى "الكادر " - وخاصة بصيغة الجمع ("إطارات " أو " أُطر") من كلمة "cadre" الفرنسية .
- وخلال العقود الأخيرة اغتنت وتنوعت دلالات بعض الكلمات العربية بفضل تأثير مثيلاتها في اللغة الإنجليزية . ونذكر منها على سبيل المثال أيضًا :
- لفظ " الإدارة " العربي الذي اقترض من مقابله الإنجليزي "administration" معنى "الحكومة" وبخاصة عندما يجري الحديث عن الحكومة الأمريكية .
- لفظ "المشروع" الذي اقترض من لفظ " project " الإنجليزي معنى الهدف الصناعي أو الوحدة الصناعية إلخ .
- ويلاحظ أن معظم الألفاظ العربية التي اقترضت دلالات جديدة بتأثير مثيلتها من اللغات الأجنبية أسماء ، لكن هناك عددًا من الصفات والأفعال أيضا التي اغتنت وتنوعت معانيها تحت تأثير الكلمات المقابلة لها من الفرنسية والإنجليزية ، ونذكر على سبيل المثال :
- الفعل " شلّ " الذي اقترض معنى "أحبط" من مقابله الفرنسي "Paralyser" .
- النسبة " يساري " التي اقترضت المعنى السياسي من اللفظ الفرنسي "gauchisant" .
- اسم المفعول " مسؤول " الذي اقترض معنى " المسؤول السياسي " من اللفظ الفرنسي " responsable " .

ولا شك أن عدد الألفاظ التي تغتني دلالاتها يزداد يوما بعد يوم وبسرعة مطردة بفضل وسائل الإعلام الحديثة. ونذكر منها " الأوساط " (fr. Milieu) و"السلّم" (fr. escalier, échelle) و "القمة" (engl.summit, fr. semmet) إلخ .

١-٢- إن اقتراض البنية الداخلية للفظ - بوصفه صنفا من أصناف الاقتراض بالترجمة الخاص بالألفاظ - يكمن في محاكاة البنية الداخلية للفظ من لغة أخرى أو بكلمة أصح يكمن في اقتراض " التركيب الداخلي " (٧) أو محاكاة طرق تكوين الألفاظ . ومُعظم النماذج الأجنبية التي تتكون نتيجة لمحاكاتها ألفاظا مقابلة من لغة أخرى هي ألفاظ مشتقة أو منحوتة ذات بنية داخلية

واضحة ويتم نقل دلالتها من لغة إلى أخرى في نفس الوقت مع نقل بنيتها الداخلية .

إن نظام السوابق واللواحق في اللغة العربية محدود إلى حد ما . أما النحت الناتج عن تلاصق لفظين كاملين أو مختصرين فإنه قليل الاستعمال في اللغة العربية القائمة أساسا على الاشتقاق . ولهذا السبب لا نجد في اللغة العربية ألفاظًا منحوتة ناتجة من تركيب لفظين محاكاة لنماذج من لغات أخرى إلا بشكل استثنائي . لكن رغم دلك يمكننا تقسيم الألفاظ التي تحاكي بنية النماذج من لغات أخرى على ضوء المقاييس الخاصة باعتبار هذا النوع من الاقتراض بالترجمة كليًّا أو جزئيًّا .

١-٢-١ - ونعتبر أن الأنواع التالية من الألفاظ تحاكي كليا بنية الألفاظ الأجنبية التي كانت بمثابة نماذج لها :

(أ) الألفاظ المنحوتة من معاجم مصطلحات مختلف التخصصات العلمية المركبة من لفظين عربيين - أحيانًا باختصارات - وإضافة لاحقة النسبة (ـِـ يّ) أو لاحقة المصدر الصناعي (ـِـ يَّة) أو التاء المربوطة من صيغة مصدر الفعل الرباعي الأحرف ، مثل الألفاظ المنحوتة التالية :

- " كهرطيسي " منحوت من كلمة كهرباء، والنسبة طيسي المختصرة من مغنيطيس " .
- " كهرحراري " منحوت من كلمة "كهرباء"، مختصرة في " كهر " والنسبة " حراري " اقتداء باللفظ الفرنسي " électrothermique " .
- "أنمركزية " منحوتة من الضمير " أنا" والمصدر الصناعي " مركزية" اقتداء باللفظ الفرنسي " égecentrisme ".
- " قُروسطي " منحوت من الاسم "القرون" المختصر في "قُر" والنسبة "وسطى" اقتداء بالكلمة الفرنسية "médiéval" .
- "فَحمائيات" مكونة من كلمة "فحم" مختصرة في " فح" وجمع المصدر الصناعي "مائيات" اقتداء بالكلمة الفرنسية "hydrecarbures" .

(ب) المصادر الصناعية بلاحقة" ـِـ يّة" التي تحاكي أسماء مجردة فرنسية تنتهي

بلواحق مثل " isme ـــ " أو " ité ـــ" أو "été ـــ" ، أمثال :

- "يسارية" مركّبة من الاسم "يســـار" واللاحقة " ـــ ية" اقتداء بالكلمـــــة الفرنسية " gauchisme" .

- "انتهازية" cf.fr. opportunisme

- "سطحية cf Fr. superficialité إلخ..

(جـــ) الأسماء العربية المركبة عن طريـــق النحت التي تحاكي أسماء بسوابق من اللغة الفرنسية ، مثل حرف النفي " لا " الذي أصبح سابقة للنفي بتأثير اللغة الإغريقيـــة في عصر القيام بترجمة مختلف المؤلفـــات الفلسفية من هذه اللغة إلى العربية . وقـــد أصبح هذا الحرف منذ ذلك العصر سابقة حقيقية حيث التصقت عن طريق النحت بأول اسم أو نسبة أو مصدر صنـــاعي . لكن في العصـــر الحديـــث ازداد عـــدد الألفاظ المنحوتة عن هذه الطريقـــــة ولا شك أن الكثير من هذه الألفاظ مركبـــة عن طريق النحت انطلاقا من نماذج مماثلة من اللغات الأوربية وبالأخص الفرنسـية، أمثال :

- " لا معقول " cf. Fr. Irraisonable

- " لا أخلاقية " cf.fr. immoralité

لكن القواميس وقوائـــم المصطلحـــات وبخاصة "المـــورد" (٩) والمنـــهل (١٠) تسجل العديد من الألفاظ المركبة عـــن طريق النحت من اســـم عـــربي ومـــن الاختصار المحتمل لاسم أو حرف لترجمة مختلف السوابق من اللغات الأوربيـــة ، مثل:

- " فَرصوتي " (فـــرط + صـــوتي) cf.engl hypersonic

- "شِـــبطُفَيْلي " (شـــبه + طفيلـــي) sf.engl.Semiparasitic

- "شِبْمَائي" (شبه +مـــائي) cf. Engl. Subaqueous

- "فوبنفسجي" (فوق + بنفســـجي) cf.fr.,engl Ultraviolet

- "فَوبشـــري" (فـــوق + بشـــري) cf.fr.surhumain

- "تحجلـــدي (تحـــت + جلـــدي) cf.fr. sous-cutané

- "تحبحـــري " (تحـــت + بحـــري) cf.fr. sous-marin,engl. undersea

- " دُوذَرّي " (دون + ذرى) cf.engl. subatomic

- "دُوسَـــمعي" (دون + سمعـــي) cf.engl. infrasonic

- قبتـــاريخي " (قبـــل + تـــاريخي) cf.fr.préhistorique

- " قبمدرسي" (قبل + مدرســـي) cf.engl. preschool

- "ضِمعَضَلي" (ضمـــن + عضلـــي) cf.engl. intramuscular

- "ضِمْوَريدي" (ضمن + وريـــدي) cf.fr. intraveineux

- " بيضلعـــي " (بـــين + صلعـــي)
cf.engl. intercostal
- " بيْقبلـــي " (بـــين + قبلـــــي)
cf engl. Intertribal
- "بعديتخرُّجي" (بعـــد + تخرجـــي)
cf.engl postgraduate
- "خلفيمحوري" (حلف + محـــوري)
cf.engl. postaxial

١-٢-٢ - يمكن اعتبار الأنواع التاليـــة من الألفاظ مركبة عن طريق محاكاة البنية جزئيًا :

(أ) الأسماء المنحوتة المقتبسة التي دخلـــت العربية بلاحقة النسبة (ـــ ىّ) أو لاحقة المصدر الصناعي (ـــــ يّة) ، باحتمـــال ترجمة أحد العناصر المكونة لها ، مثل :

- جيوفيزيالي cf.fr. géophysique
- بتروكيماوي cf fr. pétrochimique
- دينامينفسي cf.fr. psychodynamique

(ب) الألفاظ المعربة في العصر الحديـــث حيث يتم فيها استبدال اللواحق الاسميـــة من اللغة الفرنســـية بـــاللواحق العربيـــة "ـــِـــ ى" و "ـــِـــ يّة " ، مثل :

- امبريالي cf.fr. imperialiste
- امبريالية cf fr. imperialisme
- تروسكية cf.fr. trotskisme
- برغسونية cf. Fr. Bergsonisme

(جـ) الألفاظ المعربة المحوتـــة بـــلام النفي:

- لا ديمقراطي cf. Fr. Antidemocratique

(د) الصفات المنحوتة (وأكثرها مشـــتقة من أسماء البلدان أو الشعوب) المنتهية في الإنجليزية والفرنسية بالصـــائت " -o " . وقد دخلت مثل هذه الصفات المنحوتـــة اللغة العربية بالاحتفاظ على شكل الصفة الأولى بالصائت "-ـــُـــ"(ـــُـــ و) وإضافة لاحقة "ـــِـــ ىّ" الخاصة بالنســـــبة إلى الصفة الثانية :

أفرو - أسيوي cf.fr. afro-asiatique
أنجلو - سكسوني cf.engl. Anglo - Saxon
أنجلو - أمريكي cf.fr. anglo - americain
أنجلو - فرنسي cf.fr. anglo - français

لكنَّ مثل هذه الصفات تـــترجم عـــادة وتظهر إما معطوفتـــين أو موصولتـــين بوصلة التمدد ، مثل :

الإفريقي الأسيوي أو إفريقي - أســـيوي
cf.fr. afro - asiatique
ألماني غربي cf.fr. ouest-allemand
أميركي لاتيني cf.fr. latino-americain

والصفة المكررة أصبحت معتادة في اللغة العربية وتستخدم دون حاجة إلى وجـــود نماذج مماثلة في لغات أخرى عندما يجري الحديث عن العلاقات الثنائية ، مثل :

- الوحدة المصرية السورية
- البيان المصري الروماني

وأحيانًا توصل الصفتان بينـــهما بـــواو العطف، مثل :

"الوســائل الســمعية – البصريـــة "أو "الوســائل الســمعية والبصريـــــة "

cf fr. audio-visual

٢- اقــتراض العبــارات ومعانيـــها أو الأساليب المعربة يكمن في الترجمة الحرفية عادة لبعض العبارات الموجودة في لغــات أخرى . وتختلف هذه العبارات سواء عن التركيبات الحرة من الألفـــاظ أو عــن التعبــيرات الاصطلاحيــة . وخلافـــا للتراكيب الحرة من الألفاظ هي تراكيــب ثابتة من الألفاظ تعبر عادة عـــن معــنى واحد . وهي تقترب من هذه الناحية من الألفاظ وكأنها بدائل كامنة لهـــا . أمـــا خلافا للتعبيرات الاصطلاحية فإن الألفاظ المكونة لها تحتفظ بدلالتـــها الخاصـــة، ويمكن استنباط أو استخلاص معانيـــها من معاني الألفاظ التي تتكون منـــها في أغلب الأحوال.

كما يختلف هذا النوع من الاقتراض عن اقتراض البنية الداخلية للفظ حيث إن الثاني يحاكي البنية الداخلية لكلمة واحدة فيما يحاكي اقتراض العبارات بنية ومعــنى كلمتين اثنتين أو مجموعة من الكلمات . وفي غالبية الأحوال تتم ترجمة الكلمـــات الأجنبية ويُستبدل بها كلمات عربيــة وفي بعض الأحوال يتم اقتبـــاس وتعريــب كلمات أجنبية في نفس الوقت مع عملية محاكاة العبارات أو التركيبات الأجنبية أو لا تترجم لأنها اقتبست وعربت ســابقًا . ونذكر على سبيل المثـــال أن الكلمتـــين الواردتين في عبارة " voie ferrée" الفرنسية استبدل بهما الكلمتان العربيتان المقابلتـــلن في تركيب " سكة حديدية " وفي هـــذه الحالة يجري الحديث عن الترجمة الحرفيــة للعبارة الفرنسية ، لكن في حالة عبـــارة "بنك الإصدار " التي تحـــاكي العبــارة الفرنسية" banque d'émission " الكلمـــة الأولى كلمة معربة سابقًا .

وتجدر الإشارة إلى أن هذا النوع من الاقتراض بالترجمة كان أول نوع مـــن الاقتراض (calque) لفت انتباه البـاحثين اللغويين العرب حيث يتحدث جرجـــي زيدان في كتابه " اللغة العربية كائن حيّ" الصادر في أوائل هذا القرن عما يســميه بـــ"التراكيب الأعجمية" (١١) بينمـــا يتحدث عبد القادر المغربي في مقال صدر خلال الثلاثينيات في أول عدد من مجلـــة مجمع اللغة العربية بي القاهرة عما يســميه بـــ " تعريب الأساليب" . ويقصد بـــه

إدخال العرب بعض العبارات الأجنبية في أسلوبهم . (١٢) وقد استخدم باحثون آخرون في عصور أقرب منا زمنا هذه المصطلحات إشارة إلى ترجمة العبارات الأجنبية . ونذكر من بينهم على عبد الواحد وافي الذي لفت النظر إلى أن الاحتكاك بين اللغات لم يقتصر على اقتباس الألفاظ وتعريبها فقط بل أدى إلى نقل الأساليب من هذه اللغات أيضًا (١٣) وكمال محمد بشر الذي أشار هو الآخر إلى أن هذا الاحتكاك أو الاتصال بين اللغات أثر كذلك في "التراكيب" وعلى الأساليب في اللغة العربية . (١٤) كما أبرز الباحثون العرب أن أغلب هذه "التراكيب" أو "الأساليب" وردت إلى اللغة العربية من اللغة الفرنسية التي أثرت في المعجم العربي أقوى تأثير في العصر الحديث .(١٥) وقد حاول الباحثون المذكورون التمييز بين التراكيب المعربة وبين التراكيب المتقاربة من ناحية المعنى في اللغتين العربية والفرنسية والناتجة عن النفسية والتفكير المشتركين.والعادات المتشابهة التي لا تعود إلى أي تأثير.(١٦) وقد ذكر عبد القادر المغربي وعلي عبد الواحد وافي عددا من التراكيب المعربة والمنتشرة في حينهما ، مثل :

يلعب بالنار (fr. Jouer avec le feu)

لا جديد تحت الشمس

(fr. Rien de nouveau sous le soleil)

لعب دورا (fr. Jouer un role)

يصيد في الماء العكر

(fr. Pecher en eau trouble) .

قتل الوقت (fr. Tuer le temps)

حجر عثرة (fr. Pierre d'achoppements)

الخ. (١٧) .

وإذا قُورن بين تعريب التراكيب وتعريب الألفاظ الأجنبية يُفَضِّلُ الباحثون المذكورون تعريب التراكيب على تعريب الألفاظ . (١٨)

والجدير بالذكر أن وسائل الإعلام من صحف وإذاعة مسموعة وإذاعة مرئية لعبت ولا تزال تلعب دورا مهما في العصر الحديث في نشر وفرض التراكيب المعربة اقتداء بتراكيب مماثلة من الفرنسية والإنجليزية .

٢-١ - وعلى العموم يمكن تصنيف العبارات المعربة أخذا بعين الاعتبار عدد الألفاظ التي تدخلها في تركيبها وأنواع هذه الألفاظ :

(أ) منعوت ونعت (إما صفة أو نسبة أو اسم مفعول أو عدد ترتيبي) :

السوق الحرة cf. Engl. Free shop

الصناعة الثـــقيلة cf. Fr. Industrie lourde; engl. Heavy indusry

السوق السوداء cf. Engl. The black market

هرم اجتماعي cf. Fr. Pyramide sociale

تعايش سلمي cf. Fr. Coexistence pacifique

وزن نوعي cf.fr. poids spécifique

قاعدة عسكرية cf.fr. base militaire

حرب باردة cf.fr. guerre froide

رأي عام cf.fr. opinion publique

أغلبية مطلقة cf.fr. majorité absolue

سوق مشتركة cf.fr. marchécommun

العا لم الثالث cf.fr. le tiers monde

الطابور الخامس cf Fr. Cinquiéme colonne

درجة أولى cf. Engl. First class

(ب) المضاف والمضاف إليه :

وجهة النظر cf.fr. point de vue

شـــهر العســـل cf.fr. lune de miel; engl. Honey moon

حُســن النيـــــة cf.fr. bonne intention; engl. Good intention

(جـــ) اسم متبوع بجار ومجرور

قائم بالأعمال cf.fr. chargé chargé d'affaires

فريد من نوعه cf.fr. unique en soi

عضو مدى الحياة cf.fr. membre a vie

(د) عبارات مؤلفة من أكثر من لفظين:

مؤتمر المائدة المستديرة cf.engl. round table conference

علاقات حُسن الجوار cf.fr. relations de bon voisinage

الناتج القومي الإجمـــالي cf.fr. la produit national brute

شركة محدودة المســؤولية cf.engl limited company

اتفاق طويل الأمد (الأجل) cf.fr. accord a long term, cf. Engl. Long term agreement

(هـــ) تراكيب فعلية :

اتخذ قراراً cf.fr. prendre une décision

أخذ الكلمة cf.fr. prendre la parol

وضع في التطبيق cf.fr. mettre en application

كسب الوقت cf.fr. gagner du temps

رفع الجلسة cf.fr. lever la séance

(و) تعابير ظرفية وغيرها من العبارات :

... من جـــانب ... من جـــانب آخـــر cf.fr. ... d'un côté ... de l'autre côté

في نفس الوقت cf.fr. en meme temps

على الأقل cf. Fr. Au moins

مائة بالمائة cf. Fr. cent pour cent

حرفا بحرف cf. Fr. mot-a -mot

مع الأسف cf. Fr. Avec regret

على قدم المساواة cf.fr. sur pied d'egalité

(ز) تراكيب مبنية للمجهول مؤلفة مـــن اسم (اسم مفعول أو اسم فاعل أو صفـة أو نسبة أو مصدر أو اســـم جنـــس)

مسبوق بحرف الجر " مِـــنْ " ومتبـــوع بالحرف " أنْ " أو الحرف " أنَّ " :

من الواجب أنْ cf.fr. il est nécessaire que

من الممكن أنْ cf.fr. it est possible que

من المعلوم أنْ cf.fr. on sait que

من الصعب أن cf.fr. il est difficile de

من الضروري أنْ cf.fr. il est nécessaire de

من الخطأ أن cf. Engl. It is wrong to

ويظهر الاسم أحيانًا غير مسبوق بالحرف "مِنْ" :

الظاهر أن cf.fr. il parait que

المعروف أن cf.fr.on sait que

صحيح أنْ cf.fr. il est vrai que

ونظرا للألفاظ التي تدخل في تركيبـــها يمكن تقسيم الاقتراض بالترجمة للأساليب أو التراكيب الأجنبية إلى جزئي وكلي ونقصد بالاقتراضي الجزئي العبارات الـــتي تشتمل على لفظ معرب غـــير مـــترجم بمناسبة اقتراض التركيب ، إما أن يكـــون هذا اللفظ مقتبسًا سابقا وإما أن يدخـــل اللغة العربية بمناسبة التركيب المقـــترض. ففي عبارة " المركزية الديمقراطية " الـــتي تحاكي العبارة الفرنســـية " le centralisme démocratique " نجـــد اللفـــظ المعـــرب "ديمقراطي" الذي دخل اللغة العربية قبـــل محاكاة هذه العبارة لكن كلمة "الفيتـــو" دخلت اللغة العربية مع العبارة المعربـــة "حق الفيتو" (le dreit de veto) .

لكن أكثر التراكيب المعربة تدخـــل ضمن إطار الاقتراض الكلي حيـــث إن جميع الألفاظ التي تدخل فيها مترجمة كما تبين من الأمثال السابقة .

وإضافة إلى التراكيب المعربة نجـــد في اللغة العربية كذلك عددا من العبـــارات الناتجة عن ترجمة ألفاظ منحوتـــة مـــن اللغات الأجنبية ، مثل :

حرب خاطفة cf. Germ. Blitzkrieg

رجل الدولة cf. Engl. Statesman

جبل الجليد cf. Engl. Iceberg

ناطحة السحاب cf. Engl. Skyscraper

٣- الاقتراض النحوي يكمن في محاكـــاة أساليب نحوية من لغات أخرى . وفيمـــا يلي بعض أنواع هذا الاقتراض :

١-٣ - نلاحظ في اللغة العربية الحديثـــة استخدام العديد من الأسماء المشتقة مـــن الأفعال (مثل المصدر والفاعل والمفعول) والنسبة منصوبة بوظيفة ظـــرف . (١٩) ومن المحتمل أن تعود هذه الظاهرة اللغوية إلى تأثير اللغة الفرنسية على الأقل جزئيًا، ومنها :

مباشرة cf Fr. Directement

سابقًا cf fr. antérieurement

كاملا و كاملة cf Fr. Complètement

مجانا cf.fr. gratuitement

رسميًا cf. Fr. Officiellement

علنيًا cf.fr. publiquement

٢-٣- نجد أن بعض الأفعال غيرت لحرف الذي تستخدم به عادة تحت تأثير الحرف الذي تستخدم به الأفعال المقابلة في لغات أخرى . وأصبح الفعل " أثّر " يستخدم الحرف " على " في العصر الحديث بدلا من الحرف "في" تحت تأثير المقابل الفرنسي " influer sur" . وكذلك أصبح الفعل " استند " يستخدم الحرف "على" بدلا من الحرف " إلى " تحت تأثير المقابل الفرنسي " s'appuyer sur " ، لكن تأثير الفعل المرادف " اعتمد على " ليس مستبعدا في هذه الحالة .

٣-٣ - تحت تأثير اللغتين الفرنسية والإنجليزية أصبحت جملة من الأفعال على وزن " تَفَاعَلَ" التي لها عادة فاعل متعدد تستخدم في اللغة المعاصرة بفاعل واحد ويُسبَق الفاعل الثاني بالحرف "مع"، مثل :

تعاون مع cf.fr. collaborer avec

تباحث مع cf.fr. étudier avec

تحالف مع cf.fr. s'allier avec; engl Ally with

٣-٤ - أصبحت بعض الأفعال التي كان لها مفعول به اسم ذات تستخدم في اللغة المعاصرة بمفعول به اسم مجرد بتأثير الأفعال المقابلة من اللغات الأوربية . ونذكر على سبيل المثال الفعل "تبادل" الذي يستخدم بمفعول به اسم مجرد تحت تأثير مقابله الفرنسي " échanger " ؛ في عبارات مثل : تبادلا الكلمات cf.fr. échanger qualques paroles " أو " تبادلا الآراء"(cf.fr. échanger des opinions) ونذكر أيضًا الفعل " واجه " الذي كان له مفعول به من أسماء الكائنات الحية ويستخدم حاليا بمفعول به من الأسماء المجردة تحت تأثير مقابله الفرنسي " se confronter" ، مثل " واجه قضية" أو"واجه صعوبة " إلخ .

٣-٥ - وأصبحت بعض الأفعال اللازمة متعدية تحت تأثير الأفعال المقابلة من لغات أخرى . ونذكر على سبيل المثال أن الفعل "عاش" والفعل "حَيِيَ" كانا في العربية القديمة فعلين لازمين ، لكن في العصر الحديث أصبحا متعديين أيضا. وربما حدث هذا التطور بتأثير الفعل

الفرنسي " vivre " ، والمقابل الإنجليزي "live" . وبالنتيجة نجد الفعلين المذكورين في اللغة المعاصرة مستخدمين كفعلين متعديين في تعبيرات مثل "القضايا التي عاشها ويعيشها العالم " أو "ممارسة نحياها" وغير ذلك كثير .

كما نجد بعض الأفعال على وزن "افتعل" التي كانت لازمة تستخدم الآن كأفعال متعدية ، ومنها " ارتدى " و"اكتسى" و"التقى" وذلك تحت تأثير الأفعال المقابلة من اللغتين الفرنسية والإنجليزية على الأخص حيث هي أفعال متعدية أصلا،مثل:"هذا الاجتماع يكتسب أهمية بالغة " أو " التقينا صاحب الكتابين وكان لنا معه هذا الحوار " إلخ.

٣-٦ - نميل إلى الاعتقاد بأن توسيع استخدام الفعل المبني للمجهول واسم المفعول المتبوعين بالفاعل المنطقي بمساعدة التعبير " من قبل " أو الحرف "من" يعود - على الأقل إلى حد ما - إلى تأثير الحالة القائمة في اللغة الفرنسية حيث يتم التعبير عن هذا الفاعل المنطقي على هذه الطريقة . ونذكر على سبيل المثال التعبيرات التالية المختارة من الصحف العربية الصادرة في السنوات الأخيرة : " أسبوع الكتاب اللبناني الذي أقيم في تونس من قبل ..." و" الإدارة العراقية المحكومة آنذاك من قبل الولاة العثمانيين " و" إلا أن التسويق بقي محتكرًا من الشركات الأجنبية " إلخ .

٤- وفي ختام هذا الحديث البسيط عن أنواع الاقتراض بالترجمة ومحاولة تصنفيها يمكن الاستخلاص أن اقتراض التراكيب الأجنبية يمثل نوع الاقتراض بالترجمة الأكثر انتشارًا، ويتم قبوله بأكبر سهولة، ويليه كثرة وأهمية اقتراض المعنى، ثم البنية الداخلية للفظ .

وتلعب الصحف وسائر وسائل الإعلام - إلى جانب التراجم - دورا متميزا في اقتراض المعاني والتراكيب التي نجدها في النصوص السياسية وفي ميادين المصطلحات الاقتصادية والمالية المصرفية وغيرها من المصطلحات . وبفضل وسائل الإعلام ينتقل العديد من التراكيب المعربة إلى المعجم العادي وتصبح مستخدمة من قِبَل جميع فئات الناطقين باللغة العربية .

وقد أكدنا أن اللغة الفرنسية ثم اللغة الإنجليزية لعبتا الدور الأساسي في اقتراض المعاني والتراكيب ، لكن في

الوقت نفسه لا يستبعد احتمال ظـــهور معان جديـــدة في الألفـــاظ وتراكيـــب وتعبيرات جديدة في اللغة العربية، بفضل التطورات الداخلية الخاصة بها ، أي دون تأثير من لغات أخرى .

نيقولا دوبريشان

عضو المجمع المراسل

من رومانيا

هوامش

(١) L. Deroy, L'emprunt linguistique, Paris, 1956, p. 215

(٢) Vincent Monteil. L'arabe moderne Paris, 1960, P.170

(٣) Arab League Edcational Cultural and Scientific Organization, Unified Dictionary of Linguistic Terms, (English - French - Arabic) , 1989, P.22; A Dictionary of Modern Linguistic Terms, Librale du Liban, 1983. P.9

(٤) L.Deroy, Op.cit ,P 216

(٥) عبد القادر المغربي ، تعريب الأساليب ، في مجلة مجمع اللغة العربية في القـــاهرة ، العدد ١ ، ١٩٣٤ ، ص ٣٣٢ .

(٦) Vincent Monteil, op.cit., P. 172

(٧) L.Deroy, op.cit , P. 216

(٨) Jozef Bielawski, Deux périodes dans la formation de la terminologie scientifique arabe, Rocznik Orientalistyczny, 20, 1956, P 283

(٩) منير البعلبكي ، المورد ، قاموس انجليزي-عربي ، بيروت ١٩٧٨ .

(١٠) جبور عبد النور وسهيل إدريس ، المنهل الوسيط ، بيروت ، ١٩٧٧ .

(١١) جرجي زيدان ، اللغة العربية كائن حيّ ، دار الهلال ، ص ٨٦ .

(١٢) عبد القادر المغربي ، تعريب الأساليب ، في مجلة مجمع اللغة العربية في القـــاهرة ، العدد ١ ، ١٩٣٤ ، ص ٣٣٢ .

(١٣) علي عبد الواحد وافي ، فقه اللغة ، ص ٢٣٢ .

(١٤) كمال محمد بشر ، دراسات في علم اللغة ، ط ٢ ، ١٩٦٩ ، ص ١٣٩ .

(١٥) راجع كمال محمد بشر المصدر السابق ، ص ٢٣٦ وعبد القادر المغربي ، المقال المذكور ، ص ٣٣٤ .

(١٦) علي عبد الواحد وافي ، المرجع المذكور ، ص ٣٣٠ ، عبد القـــادر المغـــربي ، المقال المذكور ، ص ٣٣٥ .

(١٧) عبد القادر المغربي ، المرجع المذكور ص ٣٣٥ ، علي عبد الواحد وافي ، المرجع المذكور ، ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .

(١٨) جرجي زيدان ، المرجع المذكور ، ص ١١٦ ، عبد القادر المغـــربي ، المرجـــع المذكور ، ص ٣٣٢ ، كمال محمد بشر ، المرجع المذكور ، ص ١٤٤.

(١٩) Bielawski, op. Cit., P. 292 .

القبائل العربية بالمغرب بحسب مخطوطة ابن العياشي وزير السلطان مولاي إسماعيل *

(1139 هـ = 1727م)

للأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي

على نحو ما قام به العالم المصري تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت845هـ-1442م) في كتابه (البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب) قام العالم المغربي أبو عبد الله محمد ابن العياشي بالكتابة حول القبائل العربية في المغرب (1)، وكما استمد الأول معلوماته من شيخه العلامة ابن خلدون فقد وجدنا أن الثاني بدوره يعتمد بالأساس على كتاب العِبَر لابن خلدون .

وقد ألف بلعياشي كتابه هذا على شرف الأميرة لالة حليمة زوجة السلطان مولاي إسماعيل ووالدة نجله الأمير زيدان الصغير، باعتبارها سيدة تنتسب لقبيلة سفيان التي هي بطن من بطون أثبج بن ربيعة بن نميك بن هلال بن عامر بن صعصعه بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . وقد سمى بلعياشي كتابه "البستان في نسب أخوال سيدنا ومولانا زيدان " .

ويبدو أن الأمير زيدان كان مكلفًا من لدن والده السلطان مولاي إسماعيل بمباشرة الشؤون الخارجية ، الأمر الذي يفسرم وجود بعض الخطابات منه إلى حاكم جنوة حول إرسال بعثة مغربية ، تطلب إلى الحاكم أن يعتني بها ويقضي الغرض الذي من أجله راحت البعثة ، وكانت الرسالة تحمل تاريخ أول محرم 1112هـ = 18 يونية 1700م (2).

أما عن الأميرة لالة حليمه فقد ورد اسمها ضمن اللائحة الطويلة للذين أو اللاتي حملت إليهم الهدايا السنية من لدن السفير البريطاني شارلس ستيوارت عام 1719م بمكناس .

* ألقى هذا البحث في الجلسة الحادية عشرة من مؤتمر الدورة الثالثة والستين يوم الأحد 14 من ذي القعدة سنة 1417هـ الموافق 23 من مارس (آذار) سنة 1997م .

(1) توجد من هذا المخطوط عدة نسخ سواء بالخزانة الملكية أو الخزانة العامة ونحن نعتمد على النسخة المصورة عن الخزانة الملكية وهي تحمل رقم 12119 وتحتوي على 345 ورقة من الحجم الكبير .

(2) د. التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب 9،265 - 266 - رقم الإيداع القانوني 1986/25 - مطابع فضالة - المحمدية.

لقد كان اسمها إلى جانب السلطان مولاي إسماعيل وزوجته أم العز وبلقيس وخناتة ، وقد اختصر اسمها هكذا لالة (هيمة) ونعتت بالأميرة الأولى ... ومن الطريف أن نجد اسم محمد ابن العياشي ضمن هذه اللائحة التي تنعته بأنه كاتب الملك (1) .

ومن حسن حظ بلعياشي أن يقوم بتأليف هذا الكتاب الذي كان الأثر الوحيد الذي حفظ له الذكر بعد المصير الذي كان ينتظره - هو وآخرون - بعد وفاة السلطان العظيم مولاي إسماعيل !!

لقد كان بلعياشي كاتبا وفقيها ومدرسا وعالمًا بل كان رجل دولة له دوره في حل القضايا الكبرى التي شغلت الرأي العام في المغرب ردحا من الزمان.

وعندما يذكر الباحث اسم بلعياشي صاحب "البستان" لابد وأن يخطر بباله السؤال عما إذا كانت له صلة بالمجاهد بلعياشي المتوفى عام 1051 هـ / 1641م والذي ينتسب لأصله العربي من بني مالك وبني سفيان والذي كان له دور مهم في تحرير بعض الثغور المغربية (2). أما عما إذا كانت له صلة بالرحالة أبي سالم العياشي المتوفى سنة 1090هـ/1679م والذي ينتسب على ما يذكر لآيت عياش(3).

وأعتقد - حسبما تعطيه القراءة الأولى للتأليف - أن صاحبنا بلعياشي له صلة بالمجاهد العياشي فهو عربي من سفيان - ومن ثمة نجده - من خلال المخطوطة - إلى جانب العرب فيما حل بهم من ويلات . ونجده من جهة أخرى يميل دائمًا إلى تجنب كل ما يحدث تصدعا بين العرب والبربر، فهو يروي الحديث الذي أورده الشطيبي في كتابه الجُمان ، عن النبي صلى الله عليه وسلم: إن لي أنصارا ولذريتي أنصارا فأنصاري الذين آووا ونصروا ، وأنصار ذريتي البربر الذين يؤون ذريتي ويكرمونهم (4).

لقد قلنا : إن لابن العياشي موضوع حديثنا دورا في حل القضايا الكبرى ، وأقصد في صدر ما أقصده القضية التي عرفت في التاريخ تحت اسم " قضية

S.I.H.M. France TVII Fax 1 et 2 p.D de cassé Bnissac et ch. de la Veronne 1970.

(2) عبد اللطيف الشادلي : الحركة العياشية منشورات كلية الآداب بالرباط 1982م .

(3) الناصري : الاستقصا ج 6 ص 24-73 ، 74- بروفنصال : مؤرخو الشرفاء تعريب عبد القادر الحلادي 1397=1977ص84-85.

(4)عن مخطوطة لاختصار الجمان في أخبار ملوك الزمان لسيدي الحاج محمد الشطيبي من أرشيف فيينا . بعث لنا بها مشكورًا د. السيد عبد الرحيم بن موسى سفير المغرب لدى النمسا .

العبيد" والتي حُـررت فيـها عشـرات المراسلات ودُونـت حولهـا التـآليف والفتاوى التي كان منها مـا وجـه إلى علماء الأزهر الشريف بمصر .

وتتلخص في رغبة السلطان مـولى إسماعيل (1671هـ / 1727م) لتكويـن جيش قوي يكون قـادراً علـى طـرد الأجنبي من سائر الثغور المغربية المحتلـة ويكون قادرا كذلك على توحيد البـلاد تحت قيادة واحدة .

لقد كان بلعياشي في صـدر مـن استُخرج رأيهم حول الجواب عن سؤال: أي قبيلة يتخذ المغرب منها جنده ؟ فقال ابن العياشي : " إن المنصور السـعدي (ت1012 = 1603) كان يتوفر على جيـش ما لبث أن تفرق في القبائل فعليكـم الآن جمعه، واتخذوه جيشا للخدمة لأنه مملـوك لبيت المال ".

وهنا عهد الملك إلى بلعياشي بالنيابة عنه في هذه المهمة الدقيقة وسماه قـاضي القضاة ، و لم يخف ابن العياشي من المسؤولية العظيمة الملقاة عليه ، حيـث وجدناه يستعين بوكيل الملـك الباشـا عليلش الذي أخذ في شراء العبيد الموزعين في القبائل المغربية،التي كانت تتنافس حول امتلاك عدد أكثر من العبيد!!

ويبدو لي أن قاضي القضاة بلعياشـي كان يعرف جيدًا بأن له خصوما سياسيين يتربصون به الدوائر، لكنه كان شـجاعا مؤمنا بأفكاره،ولذلك فما كان يهمه شيء أكثر من أن يكون هو مقتنعا بأفكاره ..

ولم تمر شهور حتى ألتأم هذا الجيـش وشاهد الناس آلاف الجنود يقفـون إلى جانب السلطان المولى إسماعيل وأمامـهم جميعا صحيح الإمام البخـاري يـؤدون القسم عليه بأنهم يعملون للصالح العـام، فسمى الجيش منذئذٍ بجيش البخاري(1).

فماذا عن جديد هذه المخطوطة فيما يتصل بالقبائل العربية ومنازلها (2)؟

يعتمد بلعياشي على ما قدمه ابـن خلدون (3) ، وعلى ما كتبه ابن حزم في كتابه "جمهورة العرب" (4) ولكنه يقوم

(1) ابن زيدان : إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس تقديم د. التازي ج 4 ص 100-105 مطبعة ايديال – البيضاء – 1985 . د.التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب 2,186 رقم الإيداع القانوني 1986/25. ابن زيدان : المرع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل الشريف ، تقديم وتحقيق د. عبد الهادي التازي مطبعة ايديال .

(2) نقول فيما يتصل بالقبائل العربية إن بلعياشي تناول عدة موضوعات استطرد بذكرها إيمانا منه بأنها تثري الموضوع. مثلا ما يتصل بعلاقات المغرب مع المشرق ، ما يتصل بفترات انتقال الحكم من دولة إلى دولة وما ينشأ عنه من تحولات واضطرابات ، ما يتصـل بتحرير الثغور المغربية وهو موضوع مهم جدا. ما يتعلق بمصير بعض الموريسكوس : الوغاي مثلا . ما يتصل ببعـض المنشـآت ... الاستقصا 74,6.

(3) طبعة دار الكتاب اللبناني 1983 مجلد 25,2 وما بعدها .

(4) نشر ليفي بروفنصال دار المعارف ، مصر 1948 ، ص 7-8 .

بمجهود مشكور عندما يحسن بجمع أطراف الموضوع في اختصار وتركيز وتوضيح كذلك مضيفا إلى المعلومات التي استقاها من المصادر السابقة ما يجعلنا نشعر بأن الرجل ليس مجرد ناقل يردد ما قاله الأولون، ولكنه يثري الموضوع بما استجد عنده من إفادات ، وخاصة فيما يتعلق بالمواقع التي اتخذها العرب لمُقامهم في عصره مما قد يساعد على رسم خريطة جغرافية لمعرفة خطوط تحركهم من الجزيرة العربية ، من الطائف إلى شاطئ النيل ، إلى إفريقية ومرورهم ببرقة... ثم استيلائهم على ما كان بيد صنهاجة بإفريقية من المدن والقرى والضواحي واستقرارهم بها إلى المبادرة التي قامت بها دولة الموحدين .

بعد هذا يقوم بتقديم طبقات العرب بمن فيهم:

الطبقة الأولى : العرب العاربة الذين أخذوا وصفهم من أنهم أول من تكلم بالعربية ومن هؤلاء قوم باليمن والحجاز والشحر الذي يجلب منه العنبر المضروب به المثل في الجودة كما يلاحظ بلعياشي .

ثم تأتي الطبقة الثانية : وهم العرب المستعربة ، وقد سُموا هكذا لأنهم أخذوا اللسان العربي ممن قبلهم من العرب .

وأما عن الثالثة : فهي الطبقة التي نعتت بالتابعة للعرب وهم شعوب نزار ابن معد بن عدنان .

وأخيرًا تأتي الطبقة الرابعة وهم المستعجمة أي العرب الذين خالطوا العجم بسبب ما كان لهم من الظهور في الدولة الإسلامية،ولما استعجمت ألسنتهم وتحولت عن اللسان المضري سماهم علماء التاريخ عربًا مستعجمة .

وبظهور الإسلام الذي أصبحت سائر البلاد المفتتحة وطنه وجدنا أن طائفة من العرب تزحف نحو بلاد المغرب ناشرة عقيدة الإسلام ولغة القرآن مما عرفناه في كل كتاب تحدث عن تاريخ الغرب الإسلامي .

وهكذا فإلى جانب الفاتح العظيم عقبة بن نافع الذي " وصل سنة 62=682 البحر المحيط ببلاد أسفي فأدخل قوائم فرسه في البحر ثم قال : اللهم إني لم أخرج بطرًا ولا أشرًا وإنك لتعلم أنا نطلب أن نُعبد ولا شريك لك في الأرض" (1) .

إلى جانب عقبة ... وما تبعه من أقوام ... قام آخرون بهجرات فردية من أمثال الإمام إدريس بن عبد الله، الذي

(1) الشطيبي : الحمان مخطوطة المكتبة الوطنية ، فيينا ، سالفة الذكر ...

وضل المغرب بعد نحوٍ من قرن من وصول عقبة بن نافع فأسس الدولة الأولى في المغرب الأقصى (1).

إلى جانب ذلك تمت هجراتٌ أخرى غيرت معالم الخريطة البشرية للمغرب الكبير ... وقد ابتدأت عندما كان يحكم الفاطميون مصر،وشعروا بأن الصنهاجيين المتآمرين باسمهم في إفريقية أخذوا يتمردون عليهم ويستبدلون بهم الخلافة في بغداد !!

فهنا خطرت فكرة للوزير الحسن بن علي اليازوري (441هـ / 1049م) الذي وجدناه يستنفر القبائل العربية المقيمة بصعيد مصر ليرسل بهم إلى إفريقية ..

و لم يلبث الصنهاجيون أن اصطدموا بأولئك العرب الذين كانوا يطمحون فعلا إلى السلطة ووجدناهم : بني سُليم وبني هلال يتوزعون أطراف المغرب الأدنى (2)

ولابد ، ونحن لذكر وقوف الناصر ابن علناس إلى جانب عرب الأثبج ضد بني عمهم عرب زُغبة ، أن نشير إلى وقوف البابا غريغوار السابع إلى جانب الناصر بحسب ما تكشف عنه رسالة تاريخية نقلنا صورتها عن وثائق حاضرة الفاتيكان، كما نقلنا نصوص رسالة صارخة من يوسف بن تاشفين إلى الناصر المذكور (3) ،

وفي أعقاب هذه الأحداث صفا الجو في المغرب الأقصى لعبد المؤمن بن علي 1147=541 فنهض لفتح ما بقي من المغرب الأوسط والمغرب الأدنى، وهنا كان اصطدامه بالزعماء العرب وكان له لقاء فاصل معهم ...

وقد احتفظ لنا التاريخ ببلاغ حرر بتلمسان بتاريخ أول ربيع الثاني عام548هـ ووجه من الخليفة عبد المؤمن إلى أهل مراكش يخبر بحركة الموحدين في البلاد الشرقية، وظفرهم على الأعراب بناحية سطيف ،

فمن خلال هذا البلاغ نعرف عن اتجاه الموحدين إلى فتح قلعة بني حماد وقسنطينة ، ونعرف عما كان يدور بين الموحدين وبين الأعراب من تبادل رسائل ورسل ... وعما كيان يصل للقيادة الموحدية من أخبار عن استنفار"الأشقياء"

(1) د. الناري : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 4 ص 7 وما بعدها .

(2) يذكر ابن خلدون عن أسباب وتحول الهلاليين الى إفريقية حكاية لها صلة بالجارية أخت شكر ابن أبي الفتوح. ابن خلدون ج6، 38 طبعة بيروت 1983 .

(3) د. الغازي التاريخ الدبلوماسي للمغرب 5 ، 189-200 ، رقم الإيداع القانوني 1986/25 ، مطابع فضالة – المحمدية .

لجميع مَن ببلاد إفريقية وما يتصل بها إلى جهات الإسكندرية ..

وأتت قبائل هلال بن عامر من عـــرب اليمن .. ولم تزل جيوشهم على جـهات قسنطينة تتوارد ... بـــوادي الأقـــواس ، بجهات سطيف إلى أن خاطبونا بعزمـــهم على الغـــزو ونحـــن إذ ذاك بمتيِّجـــة ... وعندما أشرقت شمس الضحى ، كـــانوا قطب الرحى ... واستمر القتـــل فيـــهم مسيرة أربعين أو خمسين من الأميـــال ... فذل المأمور منهم والآمر، وحاق الويـــل بهلال بن عامر . !!

ثم انقســمت جيـــوش الموحديـــن صبيحة اليوم الثاني إلى أقسام أخذ كـــل منها سبيلاً غير سبيل غيره حتى انتهوا إلى أوائل بلاد إفريقية (1)

وفي رسالة لاحقة من فحص متيجـة بتاريخ الاثنـــين 24 مـــن ربيـــع الثـــاني عام 555هـــ، من الخليفة عبد المؤمـــن إلى طلبة فاس أكد فيها خبر هزيمـــة عـــرب إفريقية ودخولهم تحت طاعة الموحديـــن (2) ... وهي مـــن إنشـــاء إبي القاســـم القالُمي.

" ... وكان من هذا القبيل الرياحي، فَخِذٌ منهم يعرف ببني محمد لاحظتـــهم السعادة بطرف غير خفي ... وهي وافـرة العدد . زعيم أمرها أبو يعقوب.يوسـف ابن مالك وفقه الله ...

وأما جُشَم فذهبت بأميرها أيضـــا مذهب الانتقال . . وكل من هذين الحيين الجشمي والفخذ الرياحي عزم علـــى أن يختط بالمغرب ...

وأما قبائل الأثْبَج وزُغْبـــة فوصـــل أعيانهم يمدون يد الاستتابة ...

وقد تحدث تـــاريخ ابـــن صـــاحب الصلاة، وهو معاصر للأحـــداث عـــن استياق قبائل بني رياح وبني جُشَم وبـــني عدي من بني هلال نحو المغرب بـــأعداد يضيق بها الفضاء (3).

وقد رأى الخليفة عبد المؤمن بعـد أن نجحت خطته أن يجعل من تلك القبـــائل العربية جيشًا يستعين به على مواجهـــة العدوان المتوالي في الأندلس على المسلمين على ما نقرأه من خـــلال السـفارات والوفادات التي تتردد على الخليفة عبـــد المؤمن (4).

(1) مجموع رسائل موحدية من إنشاء الدولة المؤمنية ، إصدار ليفي بروفنصال ، الرباط 1941 ص 26 وما بعدها .

(2) مجموع رسائل موحدية ص 113 .

(3) تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين ، تحقيق د. التازي ، طبعة ثالثة ، بيروت 1987 ص 90 .

(4) د. التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 6 ص 29 ومن بعدها ، رقم الإيداع القانوني 1986/25 ، مطابع فضالة – المحمدية .

ولما توفي عبد المؤمن (10 جمـــادى الآخرة 558=17 مايه 1163) ســـار ابنـــه وخلفه أبو يعقوب يوسفKعلى نهجـه في جلب العرب واستئناسهم وتسـخيرهم في مصالح الدولة ...

ومن هنا سجلنا عددًا كبـــيرًا مـــن القصائد التي غيرت اللهجة في الحديـــث عن بني هلال على ما نقرأه في رائيـــة أبي العباس الجراوي التي يقول في مطلعها :

أحاطت بغايات العلا والمفاخر
على قدم الدنيا هلال بن عامر

وقد كان من القصائد الرائعة البائية الـــتي يقول ابن طفيل في مطلعها :

أقيموا صدورَ الخيل نحو المغارب
لغزو الأعادي واقتناء الرغائب

وكذلك القصيدة اللامية التي يقول فيـــها ابن عياش من جملة ما يقول :

بنى العم من عليا هلال بن عامر

وما جمعت من باسل وابن باسل

ونتيجة لكل هذه الخطابات وجدنـــا أن الأرض المغربية ترجُّ بآلاف من البيوتـــلت العربية ...

لقد كان عدد الخيل الواصلة مـــن إفريقية أربعة آلاف فرس، ومائة وخمسين حملا منْ المال الصامت، وكـــان الـــذي وصل من تلمسان ألف فـــرس ومائـــة وخمسين حملا من المال الصامت على حد تعبير ابن صاحب الصلاة الذي يحكي عن الأمر بالاستعراض الذي تم يوم 2 ربيـــع الثـــاني 566=13 دجنـــبر 1170 (1) وقـــد أحضرت الطبول المربعة الأشكال من أيام المهدي وأضيف إليها من غيرهـــا مـــا انكمل فيها مائة طبل ... واستوى أمـــير المؤمنين على صهوة فرسه الأشقر الأغـــر ... والوزير أبو العلا راجلا على قدميـــه لصق ركابه وبين يديه . وفي ساقة أمـــير المؤمنين على مقربة منه السيد أبو عبد الله محمد والي جانبه وسائر الأحوة الصغـــار وهو على هيأته المؤيدة، والطبول قاصفة. وأقبلت عساكر العرب من أهل إفريقيـــة .. فأشار إليهم أن تحمل العساكر الوافدة بعضها على بعض جريًا ولعبًـــا وفرحًـــا وطربًا .. وأخذ العهدَ عليهم ... ونزلـــوا في ضيافته خمسة عشر يومًا .. وقد صنـــع لهم ما تقدمت العادة به : نهرًا مـــن رُبٍّ ممزوج بالماء يشربون ويطربون ..

فماذا بعد هذا عن مواقـــع هـــذه القبائل ومنازلها في مخطوطة ابن العياشي؟

لقد كان في الواردين البطن الكبـــير الذي كان يعرف قبل دحوله إلى المغرب

(1) المن بالإمامة ، تحقيق د. التازي ، المقدمة 45 – النص : ص 331-341-342-344-345

بالأثبج وبالهلاليين ... وتسموا بعد دخولهم المغرب بسفيان ... وقد ذكرهم ابن خلدون بالأسامي الثلاثة وهم الذين عمروا معظمة أزغار وما والاه من فحص العرايش إلى سلا إلى الحوض المجاور لبلد (مختار) من حوز مكناسة الزيتون .

ويستمر بلعياشي في ذكر القبائل العربية فيذكر أن من بطون بني هلال بني رياح وأن يعقوب المنصور لما نقلهم للمغرب كان في صدرهم مسعود بن سلطان بن زمام رئيس الدواودة ، الذي أنزله المنصور هو وقومه في بلاد الهبط بين قصر كتامة المعروف بالقصر الكبير إلى أزغار إلى ساحل البحر الأخضر (يعني بحر الظلمات) حيث استقروا هناك على نحو ما كان بالأثبج الذي من بطونه سفيان ومن حفدته عشيرة الضحاك والعاصم وطليق (1).

وفي معرض حديث ابن العياشي عن المعقل قال نقلا عن ابن خلدون إن هذا القبيل لهذا العهد من أوفر قبائل المغرب وأن مواطنهم ملتزقة بالمغرب الأقصى، فبعضهم مجاور لبني عامر من زغبة في مواطنهم من أرض تلمسان...

وأما بنو حسان فهم من فخذ ابن محمد بن معقل ومواطنهم من درعة إلى المحيط ويتولون بلاد نول قاعدة إقليم السوس .

وكان دخول هذا الحي من المعقل إلى المغرب مع الهلاليين في عدد محدود واعترضهم بنو سُليم على الحوز فأزعجوهم عنه، وتحيزوا إلى الهلاليين فنزلوا فيما يلي ملوية ورمال تافيلالت فكثروا في صحاري المغرب الأقصى بسبب جوارهم للهلاليين ... وقد جاوروا أيضًا زناتة وكانوا أحلافا لهم ... وقد انغمست فيهم قبائل من رياح ومن الأثيج ومنهم أولاد سحير الذين منهم البطن الذي يحوز مكناسة الزيتون ... كما أن منهم أولاد عبد الله . ومواطنهم ما بين تلمسان إلى وجدة إلى منتصف وادي ملوية ... وتنتهي رحلتهم إلى قصور توات . وأما الثعالبة فهم الذين يوجدون ببسيط متيجة بالمغرب الأوسط .

وعن بني منصور من المعقل نذكر أن مواطنهم تخوم المغرب الأقصى ما بين ملوية ودرعة، ومن جملة بطونهم الأحلاف في شرق المغرب .

---

(1) عندما تحدث المؤرخون عما عرف به العرب من تنقل أثناء الفصول بحثًا عن المرعى تذكروا "الشاوية" أهل القيام على الشاء، فلأي قبيل عربي ينتسبون . ؟ إنهم لا ينتمون بنسب بعينه ، يمكن أن يكونوا من سليم وهلال والمعقل .. – ابن خلدون – بلعياشي ..

وأما الشبانات فإن مواطنهم كانت بنواحي ملوية إلى أن استصرخهم السلطان أبو الحسن علي الزكندري صاحب السبوس (1) .

ولم يفت صاحب البستان الحديث مرتين اثنتين عن التمرد الذي قام به بنو غانية أصحاب ميورقة وكانوا عُمّالا ليوسف بن تاشفين وأولاده من بعده، لقد قصدوا بأسطولهم في نحو ثلاثين سفينة إلى بجاية واحتلوها عام 581 هـ/1185م ، عندها قام عرب إفريقية بمناصرة المتمردين، الأمر الذي أغضب الخليفة المنصور فكانت له مواقف صارمة إزاءهم ، وقد انتهى الأمر بهم إلى الطاعة حيث وجدنا عدداً كبيرًا منهم ينقلون إلى المغرب وفيهم طوائف من قبائل جُشَم ورياح والعاصم وسفيان ، فأنزل سفيانَ هذه بسائط تامسنا، وأنزل رياح بأزغلر وأرض الهبط، وأنزل بني جابر بسائط تادلا ... وأنزل الخلط فيما بين تامسنا وتادلا إلى جوز مراكش ...

وعندما ذكر بلعياشي في (البستان) ما كان ينسب للعرب من تخريب وتشغيب ردد القولة المنسوبة للمنصور الموحدي والتي تقول : إن إدخاله العرب للمغرب كان أول ما ندم عليه من ثلاثة أمور (2) .

ويعود صاحب (البستان) لقبيل سفيان ، وهم من بني هلال كما قلنا فيذكر أنهم حضروا مع يعقوب المنصور عزوة الأرك (9 من شعبان 591 = 18 يوليو 1194) التي شهدت بدورهم في ذلك الفوز العظيم الذي يقول فيه أبو العباس الكراوي :

هو الفتح أعيا وصفُه النظمَ والنثرا
وعمت جميع المسلمين به البشرى

لقد كان على رأس سفيان شيخهم جرمون الذي خلفه من بعده زعماء آخرون كان منهم مسعود بن كانون ومن تبع هؤلاء، وقد تميزوا جميعًا بالجزالة والبسالة في حرب الأعداء على حد وصف ابن خلدون .

وقد اتصلت الرياسة بالنسبة لهم ، في بني جرمون إلى عهد السلطان أبي عنان حيث وجدنا أن الشيخ الذي كان يتولى أمرهم يحمل اسم يعقوب بن علي بن منصور بن عيسى بن يعقوب بن جرمون.

(1) لا ندري ما إذا كانت هناك صلة للزكندري هذا بالزحندري الذي كان قاضيًا بسبتة عند زيارة ابن بطوطة لها .
انظر تحقيقنا للرحلة ج 4 ص 374 تعليق 53 - " أكاديمية المملكة المغربية " .

(2) ابن أبي زرع . الأنيس المطرب ، مطبعة الأزرق الحجرية ، سنة 1303=1886 ، ص 164 .

وحيث إن التأليف كان برسم الأمير زيدان، وأمُّه من آل سفيان، فقد حرص صاحب (البستان) على تتبع أخبار رجالات هذا البيت الذي كان من رجاله في حدود المائة التاسعة الشيخ أبو العبلس أحمد الحارثي السفياني نزيل مكناسة الزيتون ورفيق الشيخ ابن سليمان الجزولي صاحب كتاب "دلائل الخيرات"(1) وأستاذ أبي عبد الله محمد بن عيسى الفهدي شيخ الطريقة العيسوية والشيخ أبي الرواين والشيخ المختاري ...

هذا إلى الذي ظهر أيضًا من شخصيات بني سفيان أثناء المائة العاشرة من أمثال أبي زيد عبد الرحمن السفياني العاصمي الشهير بسُقّين الذي لم يخل كتاب من الحديث عنه سواء في المغرب أو المشرق (2) ... وأمثال أبي الحسن (3) وأمثال القائد العظيم إبراهيم السفياني الذي كان يؤازر ولي عهد المنصور بفاس محمد الشيخ،وكذا ولده محمد بن إبراهيم قائد أزمور الذي كان يتوفر على أكثر من ألف فارس كلهم من بني سفيان .

ولما توفي أحمد المنصور الذهبي ارتحل قبيل سفيان من دكالة للغرب فألفوا قبيلة مختار ... ومازالت بقية من أحفاده بفلس وسلا وغيرهما إلى هذا العهد يقول صاحب (البستان) :

"ومن هذا الحي من سفيان قبيلة "المعارف" الذين ينتسبون للأمير عريف ابن يحيى السويدي الوزير والسفير الشهير الذكر في عهد بني مرين، وخاصة أيام السلطان أبي الحسن وابنه أبي عنان (4) .

ومن هذا البيت السويدي ينحدر الشيخ علي بن حسين الذي صاهره أمير المؤمنين السلطان المولى إسماعيل جد الدولة العلوية على ابنته السيدة حليمة

---

(1)ابن زيدان : الأتحاف ، مصدر سالف الذكر ، ج 1 ص 11 وص 322 .

(2)أخذ سُقّين عن أصحاب ابن حجر والقلقشندي والسخاوي ... ودخل السودان فتزوج هناك قبل أن يعود إلى مدينة فاس عام 924هـ حيث تولى التدريس والإفتاء والإمامة في جامع الأندلس ، وقد عرفنا من تلامذته القاضي الرقاق (961) والعلامة المنجور (995) أستاذ الشيخ الشهير مولاي عبد الله بن علي بن طاهر الشريف الحسني السجلماسي المدغري الذي كان له دور مهم مع مطلع الدولة العلوية الشريفة ...

(3)أخذ أبو الحسن عن الشيخ المنجور وأخذ عنه العربي الفاسي ... وكان يسكن بقلب فاس بدرب عبد الكريم طريق الشرابليين حيث أسكنه السلطان أحمد المنصور الذهبي ...

(4)من أعجب ما يروى حول اتصال بني سويد بالدولة المرينية أنه في أثناء الصراع بين أبي الحسن وابنه أبي عنان على السلطة حدث أن انحاز عريف لأبي عنان بينما راح ابنه وانزمار مع أبي الحسن ، فنهى الوالد ولده عن البقاء مع أبي الحسن مهددا إياه بالإبقاع بابنه عنتر ! الأمر الذي جعل وانزمار يسلم في أبي الحسن ليعود إلى والده وولده !!

والدة الأمير زيدان التي تركت لها بمدينة فاس أثرًا معمارًا لا تبليه الأيام (1) ...

وبعد هذه الإلمامة بالبستان ، هل لنا أن نقول : إننا قادرون على رسم خريطة دقيقة لمنازل العرب في الديار المغربية وأقصد بالديار المغربية مجموع الفضاء الذي امتدت إليه دولة الموحدين ودولة بني مرين من بعدهم ؟ ذلك ما كان الحافز لي على قراءة هذا المخطوط من جديد ... وذلك أيضًا ما كان وراء مراجعة ما قاله العلامة ابن خلدون، وما ردده مؤلفون آخرون قبل وبعد ابن خلدون . وقد وجدت الجواب عما كنت أريد من خلال هذا (البستان) نفسه على نحو ما تلمسناه ونحن نتصفح مصادر أخرى لتاريخ المغرب .

لقد كان الجواب يتلخص في أنه من المتعذر – إن لم نقل من المستحيل – أن نصل إلى رسم هذه الخريطة بأمانة (2) مادمنا نقرأ – عبر مسيرة التاريخ الطويل– أن القبائل لم تكن تستقر في مكان على الدوام ولكنها كانت تتحول وتتنقل عن طواعية واختيار أحيانًا،أو عن قسر وإجبار تارة أخرى .

لقد كان مما قاله صاحب البستان:

"... وأجلو الكثير من قبائل العرب من بلادهم ومواضع قرارهم وانقطعت السبيل . . وكثر الهرج بين القبائل حتى فني الكثير من قبائل العرب .

ونتيجة لكل ذلك وجدنا أن الأسماء أيضًا تدخلها التغييرات على مر الأيام فقد يتحول الاسم العربي إلى اسم عليه مسحة لهجة أخرى والعكس صحيح ، أي أن بعض الأسماء البربرية يتحول إلى أسماء عربية، الأمر الذي يزيد في وضع علامات الاستفهام ! وعلى ضوء هذا نلاحظ أيضًا أن لغة التعامل اليومي نفسها قد تتحول من عربية إلى لهجة أخرى، ومن تلك اللهجة إلى عربية ، وهذا ما يحمل على الشك أيضًا في قدرتنا على وضع خريطة لمنازل البربر أيضًا ...

ولهذا فإن المتتبع للموضوع يقف أمام إجماع الباحثين على أنه ليس هناك إجماع من المؤرخين على تحديد موقف واحد من معالم هذه الفسيفساء التي تتكون منها الشرائح الاجتماعية في

---

(1) كل زوار مدينة فاس يقصدون ضريح إدريس الثاني ليستحضروا تاريخ مولد الدولة المغربية على يديه ولكنهم قد لا يذكرون القبة الهندسية العظيمة التي تعلو ذلك الضريح وهي من إنشاء الأميرة السويدية الست حليمة التي شيدت إلى جانب القبة الجامع الذي شرفت به مدينة فاس . كانت حليمة إلى جانب ألمها ربة بيت – تسهم في التخفيف من أعباء زوجها وهكذا وجدناها تشرف على رواتب الجيش وعلى هدايا الإشراف وصلات العلماء طوال العام .

(2) عبد الوهاب ابن منصور : القبائل المعربة : قبائل المغرب ، ج I 1388=1968 ، المطبعة الملكية ، ص 344 وما بعدها .

المعرب ، وإن أصدق ما يمكن أن يقوله المرء دون أن يخشى أي اعتراض عليه هو أن صفة المغربي تظل الصفة الصادقة الوحيدة التي تطلق على المواطن بديار المعرب .

وبعد ، فإذا كان هناك من يريد أن يعرف عن تغلغل القبائل العربية بالمغرب فما عليه إلا أن يقرأ مخطوطة (البستان) للورير بلعياشي ليتأكد من أن معظم أسماء الأسر التي نسمع عنها في الجزيرة العربية شمالا وجنوبًا وشرقًا وغربًا ، توحد لها بالمغرب خُؤولة وعُمومة ، ومن ثمة فإن دراسة تاريخ العرب بالمشرق دون ما التفات إلى المغرب تعتبر دراسة مبتورة، والعكس صحيح ، فإن دراسة تاريخ العرب بالمغرب دون العودة إلى الجذور الأولى تبقى دعوى غير ذات جدوى .

عبد الهادي التازي

عضو المجمع

من المغرب

التعريب ... من خلال تجربة مكتب تنسيق التعريب*

للأستاذ الدكتور أسلمو ولد سيدي أحمد

مقدمة :

تُطرح قضية التعريب ، في الوطن العربي ، منذ فترة طويلة ، على مستويات مختلفة ، وفي العديد من المناسبات ، ومن ثم فإنها قضية قديمة وجديدة في آن واحد. ولعله من المفيد أن نشير إلى أننا لا نتحدث – في هذه الدراسة– عن التعريب بمفهومه الخاص باستخدام العرب ألفاظا أعجمية على طريقتهم في النطق واللفظ والأسلوب ، أو كما ورد في المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة:" التعريب : صبغ الكلمة بصبغة عربية عند نقلها بلفظها الأجنبي إلى اللغة العربية"،إنّ ما نتحدث عنه هو التعريب في مفهومه الشامل الذي تدخل فيه الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية ؛ التعريب الذي يهتم بجعل اللغة العربية لغة الحياة كلها ، فكرًا وشعورا وعلما وعملا. ونظرًا إلى أننا نتناول موضوع التعريب من خلال تجربة مكتب تنسيق التعريب التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (بجامعة الدول العربية)، فإننا قبل أن نتحدث عن هذا المكتب وبعض المهام المنوطة به ، ومن أهمها توفير المصطلح العربي الموحد ، وسنتطرق إلى آراء بعض الباحثين حول التعريب وصلته بالمصطلح ، وما للمصطلح الموحد – بصفة خاصة – من أهمية في عملية التعريب . وفي هذا الإطار ، لابد من الحديث عن مؤتمرات التعريب " ، وعن التعاون المثمر القائم بين المكتب والمجامع العلمية واللغوية العربية والهيئات المتخصصة والخبراء .

واستشرافًا للقرن الواحد والعشرين، سنتحدث عن التعريب في الخطة متوسطة المدى الثالثة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، هذه المنظمة التي تبذل، منذ إنشائها ، قصارى جهدها من أجل أن تكون اللغة العربية قادرة على اقتحام مجالات المعرفة الإنسانية كافة ، أسلوبا ومنهجا ومصطلحا .

* ألقى هذا البحث في الجلسة الحادية عشرة من مؤتمر الدورة الثالثة والستين يوم الأحد ١٤ من ذي القعدة سنة ١٤١٧هـ الموافق ٢٣ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٧م .

التعريب وصلته بالمصطلح ، وما للمصطلح الموحد – بصفة خاصة – من أهمية في عملية التعريب :

كلما يدرك الحاجة الملحة إلى إيجاد مقابلات عربية للمصطلحات العلمية والتقنية الجديدة التي تمطرنا بها يوميا لغات أحنبية ، لتصبح لغتنا العربية قادرة على مسايرة هذه اللغات في التعبير عن الاختراعات الجديدة والدلالة على المستحدثات المبتكرة .ومع ذلك ، فإن عملية توفير المصطلح يجب أن لا تعرقل عملية التعريب ، بل لابد من المضي في التعريب ، لتهيمن اللغة العربية في جميع مجالات حياتنا اليومية وفي مقدمتها التعليم والإدارة . . كما أنه على الجهات المختصة أن تضاعف الجهود – في نفس الوقت – بغية توفير المصطلح العربي الذي هو جزئية هامة من عملية التعريب. ذلك أن العمليتين تكمل إحداهما الأخرى.

يقول أحد الباحثين :

" ... ألححتُ على قضية المصطلح لأن هذه القضية في طليعة ما يتعلل به الزاهدون في التعريب والمشككون في الاقتدار على المضي فيه ، على حين أن قضية المصطلح – من حيث هو ألفاظ يعبر بها عن مسميات ومعان مفردة – ليست بصميم المشكلة ، بل قد تكون – على ما لها من شأن – أهون جوانبها ، وإنما صميم المشكلة هو الاقتدار على وعي المعاني العلمية وتصورها ثم الإبانة عنها ، ولن يتم حلها وتذليل صعابها إلا بالتصميم على ذلك والشروع فيه وإن اضطررنا – ولو إلى حين – إلى استعمال المصطلحات الأجنبية بلفظها الأجنبي . هذا مع أن الأعمال التي قامت بها في هذا الباب مجامعنا العلمية واللغوية – وفي طليعتها مجمع اللغة العربية بالقاهرة ومكتب تنسيق التعريب، والجامعات التي تدرس بعض العلوم بالعربية – تقدم قاعدة صالحة لتعميم تعريب العلوم ... إن قضية التعريب أمانة في عنق كل منا وما علينا بعد إلا أن نخلص النية ونصدق في العمل ليتم لنا ما نطمح إليه "

ولعلنا نجد التعبير عن هذه الحاجة القومية والعلمية في المعاهدة الثقافية التي صادق عليها مجلس جامعة الدول العربية سنة ١٩٤٥ ، والتي نصت في المادة الحادية عشرة منها على وجوب توحيد المصطلحات ، كما نص ميثاق الوحدة

الثقافية الذي صادق عليه مجلس جامعة الدول العربية عام ١٩٦٤ على السعي لتوحيد المصطلحات العلمية والحضارية ودعم حركة التعريب . ونظرًا إلى أهمية التنظيم والتنسيق والمتابعة،في هذه العملية، فإنه يسعدنا أن يكون مكتبا لتنسيق التعريب هو الجهة العربية المكلفة بتنسيق جهود الدول العربية في هذا الميدان .

ومن هنا فإن "المشكلة الحقيقية في قضيتي التعريب والمصطلح ، ليست إلا مشكلة تنسيق وتنظيم . ذلك أن اللغة العربية تستعمل استعمالات مختلفة ، وتوظف في كل دولة ، توظيفًا يخضع لسياستها وقوانينها ، فمثلا استعمال اللغات المحلية في أجهزة الإعلام ، وفي الإنتاج الفني والأدبي ، وفي لغة التدريس إلخ ، يختلف من بلد إلى آخر فمؤسسات الترجمة ، الرسمية والتجارية، تعمل إلى جانب المبادرات الشخصية ، إلى جانب نشاط الأكاديميين من أساتذة الجامعات ، والباحثين، كل يعمل في ظل نظام معين، ومن هنا ، فلم يعد هناك رقابة لغوية على دقة الترجمة؛ فأصبحت الكلمة الأجنبية تترجم بكلمات متعددة إلى العربية ، بكلمات متقاربة في المعنى ؛ وذلك يعود فيما يعود إليه ، إلى اتساع المفردات العربية من ناحية ، وقد يعود إلى عدم التمكن من اللغة العربية أو من اللغة الأجنبية التي يترجم منها من ناحية أخرى . وحصيلة هذا كله ، هي بلبلة في اللغة العربية نفسها ، ونشوء أساليب ذات طابع محلي في التعبير العربي . وهذه الظاهرة التي تقوم في مجال الترجمة والتعريب تنعكس بالضرورة على المصطلح .. ".

وفي إطار الترابط التكاملي بين المصطلح والتعريب ، الذي أشرنا إليه قبل قليل ، نريد أن نؤكد حقيقة يتفق عليها أغلب المختصين وهي أن التعريب يلعب دورا إيجابيا وفاعلا في عملية الحصول على المصطلح . ولا نريد أن يفهم من هذا أنا نقلل من أهمية إيجاد المصطلح بصفته أداة هامة من أدوات التعريب ، وإنما نريد أن نؤكد - إن كان الأمر يحتاج إلى تأكيد - أن العمليتين يجب أن تسيرا جنبا إلى جنب ، بحيث لا تتقلعس في عملية التعريب متعللين بعدم وجود مصطلحات عربية للمقابلات الأجنبية .

" إن وقفة بسيطة على المراد بكلمة (مصطلح) يمكن أن تدل على الكثير في

هذا الشأن . فاللفظ الذي يضعه فرد أو هيئة لدلالة علمية أو حضارية معينة لا يمكن أن يصبح (مصطلحا) إلا بعد أن (يَصطلحَ) ويتواضعَ عليه المشتغلون بذلك العلم أو المعنيون بذلك الجانب من الحضارة . أما قبل ذلك فهو لا يعدو كونه لفظا مقترحا دعت إليه الحاجة الآنية للتعبير عن فكرة علمية أو حضارية. ومن ثَم فلن يمكننا الحصول على أي مصطلح ، بالمعنى الحقيقي ، إلا بعد وضع اللفظ المقترح في حيز (الاستعمال) أي أن (التعريب) هو الذي يضع لنا المصطلحات ، وليس العكس ، ولابد لنا من أن نَدخل في مجال تعريب العلم لنحصل على مصطلحاته ، إنّ حجة القائلين بالتريث في التعريب ريثما تكتمل المصطلحات متهافتة أساسًا فهي تنقضُ نفسها بنفسها... وأشد بطلانًا من ذلك ادعاء بعضهم ضعف اللغة العربية وعجزها عن وعاية علوم العصر والنهوض بمتطلباتها ، وتلك أظلم تُهمَة اقترفها الأجنبي بحق لغتنا ، في زمن الاستعمار والتبعية ، وبقيت مخلفاتها تضلّل عقول بعض الجهال حتى يومنا هذا. فليست العربية بأقل عطاء من عشرات اللغات التي اعتز بها أهلها ، ولم تسمح لهم مشاعرهم القومية بالتخلي عنها ، فاستعملوها للعلوم ، فاستوعبتها جدا ولم تَقْصُرْ عنها في شيء . بل إن العربية أغنى في خصائص الاشتقاق والمجاز والقياس من كثير من اللغات التي باتت تُدعى اليوم باللغات الحية زيادة في الثلث والنكاية في لغتنا " .

ولا يفوتنا ، في هذا المقام ،بأن نذكر أن اللغة تقوى بقوة أهلها وتضعف بضعفهم ؛ فعندما كانت العربية في أوج ازدهارها استطاعت أن تستوعب ، بصدر رحب ، كل التراث الفلسفي والعلمي في ذلك العصر ، فنقلت إلى المكتبة العربية كنوز وذخائر الفكر والعلوم والثقافة الأجنبية . ويشهد الجميع على أن النهضة الحديثة في أوربا قد اعتمدت أساسا على ما انتقل إليها من تراث العرب العلمي والحضاري . خاصة فيما يتعلق بالطب والكيمياء والفلك والرياضيات .

ولقد ظلت اللغة العربية ، علي مر العصور تمثل أقوى رباط هذه الأمة ، وذلك على الرغم مما لحقها من قصور في العصور المتأخرة بسبب ما فرضه

المستعمر من غزو لغوي وتشكيك في قدرتها على أن تكون لغة علم قادرة على الوفاء بحاجات العصر المتطورة .

وبحق لنا أن نتفاخر بأن اللغة العربية تحتل اليوم - على المستوى العالمي - مكانة مرموقة ، وما علينا إلا أن نجعلها تستعيد كامل دورها العلمي بالتعبير عن منجزات الحضارة التكنولوجية الحديثة ، وذلك عن طريق تعريب العلوم بمختلف أنواعها مما يمكن أبناء هذه الأمة من الإبداع والابتكار؛ لأن الأمة لا يمكنها أن تبدع وتخترع إلا بلغتها . ويستنتج مما سبق أن التقصير والعيب فينا، لا في لغتنا.

إن " المصطلح العلمي أداة البحث ولغة التفاهم بين العلماء ، وليس ثمة علم بدون قوالب لفظية تؤديه،ويوم أن ينهض العلم ويخطو إلى الأمام، تنمو مصطلحاته، وتدق ألفاظها ، وتتحدد معانيها . وإذا كانت العلوم في سير مطرد، وحركة دائبة ، فإن مصطلحاتها لابد أن تلاحقها وتتابع السير معها ، ولا يمكن أن تتحقق نهضة علمية بدون نهضة لغوية واصطلاحية تسايرها جنبا إلى جنب .

.. وقيمة لغة العلم في أن يلتقي عندها العلماء ، وهي ولا شك اصطلاح وقد قيل قديمًا " لا مشاحة في الاصطلاح". ومن العيب أن نلتقي عند اللفظ الأجنبي ثم نختلف في مقابله العربي. واستقرار الاستعمال وشيوعه وذيوعه يمنح المصطلح العلمي قوة تحقق فيه أسباب البقاء والحياة . والمعجمات العلمية وسيلة ناجعة من وسائل البحث والدرس، وعليها أن تأخذ باللفظ الشائع والاستعمال السائد ، وعلى هيئاتنا العلمية والثقافية أن ، تعد معجمات متخصصة يُقرها المشتغلون بالعلم في كل مادة ، وتلك رسالة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، والمجامع اللغوية والعلمية ، واتحاد المجامع . وبذا نحقق وحدة المصطلح العلمي في العالم العربي جميعه كما حققها أسلافنا في النهضة الإسلامية الكبرى ".

وفي السياق نفسه ، فإن وحدة المصطلحات اللغوية تلعب دورا كبيرا في وحدة الأمة ، والعكس صحيح بحيث " . يستطيع الباحث أن يقيس تقدم الأمة حضاريا ويحدد ملامح ثقافتها عقيدة وفكرا بإحصاء مصطلحاتها اللغوية واستكناه مدلولاتها ، بل يستطيع أن يقطع بوحدة الأمة الفكرية والسياسية من

وحدة مصطلحاتها اللغوية في الإنسانيات والعلوم والتقنيات .

لقد واجهت الأمة العربية في القرن العشرين مشكلة خطيرة تتلخص في ازدواجية المصطلح العلمي والتقني في الوطن العربي ، ونعني بذلك تعدد المصطلحات العربية للمفهوم الواحد واختلافها من قطر إلى آخر ، ويكمن الخطر في ظهور لغات علمية عربية متعددة في الوطن العربي مما يهدد وحدته القائمة أساسا على وحدة لغته التي هي وعاء الحضارة العربية الإسلامية وقوامها منذ قرون عديدة " .

وقد " ربط المغرب ، منذ أن خفقت راية الإسلام على هذه الديار ، بين اللغة العربية والقرآن الكريم ، دستور هذا الدين ، الذي نفذ إلى قلوب وعقول المغاربة منذ ذاك . وأصبحت قدسية الإسلامي تتمثل في قدسية هذه اللغة التي جاء بها القرآن .. لم تخرج الأمة العربية الإسلامية عن قانون الصيرورة التاريخية المعهودة ، فأتى عليها حين من الدهر اضطرت خلاله إلى تسليم تلك المسؤولية . العلمية إلى أمم غيرها ، كما أتى عليها حين من الدهر ، كانت فيه مطمعا ومبتغى لاغتنام خيراتها الطبيعية،بعد ما كانت معينًا جادًا بسخاء ، بخيرات عقلية أغنت الحضارة والناس . لم تقف المساعي الإنسانية الباحثة خلال فترة الغفوة هذه ، وبعد أن استرجعت الأمة العربية ما ضاع منها من حق في الحرية والقرار ، استرجعت صورة ماضيها العلمي المجيد ، فرأت أن تجديد هذا الماضي لا يتم إلا بإغناء لغتها وبعث روح العصر فيها ، لتتحمل نفس المسؤولية السابقة . ولم تغب هذه الفكرة عن المغفور له محمد الخامس ، فدعا إلى إنشاء مكتب تكون مهمته ، بذل الجهد، اعتمادا على تجارب عربية كان لها نفس الشعور ، حتى يستدرك لهذا الغرب الإسلامي ، شماليّ إفريقيا ، ما فاته في لغته مدة ظلام الاستعمار . وقد استعظمت جامعة الدول العربية هذا المجهود ، ورأت أن من حقها أن توفر له سبل الاستمرار بعد ما رأت أمامها أعمالا مجسمة هي نتيجة جهود كان سلاحها الإيمان ومعتمدها الآمال . ثم إن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، سيرا على خطوات الجامعة ، وفّرت هي أيضًا كل السبل ليصبح عمال هذا

المكتب (مكتب تنسيق التعريب) ، عملا قوميا لا تمثل فيه التجربة المغربية إلا أسه ومنطلقه ، فزودته بعطاءات تنوعت وتعددت ، منها الخبرة البشرية واللقاءات العلمية والندوات والمؤتمرات ، وما لهذه جميعا من توصيات أصبحت دستورا للعمل الذي ساهمت فيه كل الأمة العربية.

لمحة تاريخية عن المكتب :

تأسس مكتب تنسيق التعريب بقرار من مؤتمر التعريب الأول الذي عُقد بالمغرب من٣إلى٧من إبريل سنة١٩٦١م.

ألحق المكتب بجامعة الدول العربية في ١٩٦٩/٣/١٦م ، بقرار من مجلس الجامعة ، وألحق بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بتاريخ ١٩٧٢/٥/٨ ، بقرار صادر من الأمانة العامة لجامعة الدول العربية .

من مهام مكتب تنسيق التعريب :

جاء في النظام الداخلي للمكتب الصادر بتاريخ ١٩٧٣/١/٢٧ (بعد انضمامه للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) ما يأتي :

"يقوم المكتب بالمساهمة الفعالة في الجهود التي تبذل في الوطن العربي للعناية بقضايا اللغة العربية ومواكبتها للعصر ، واستجابتها لمطالبه ، وذلك عن طريق :

أ- تنسيق الجهود التي تبذل للتوسع في استعمال اللغة العربية في التدريس بجميع مراحل التعليم وأنواعه ومواده، وفي الأجهزة الثقافية ووسائل الإعلام المختلفة.

ب- تتبع حركة التعريب وتطور اللغة العربية العلمية والحضارية في الوطن العربي وخارجه بجمع الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع ونشرها أو التعريف بها .

ج - تنسيق الجهود التي تبذل لإغناء اللغة العربية بالمصطلحات الحديثة ولتوحيد المصطلح الحضاري في الوطن العربي بكل الوسائل الممكنة .

د - الإعداد للمؤتمرات الدورية للتعريب.

ويقوم المكتب في سبيل تحقيق أهدافه بالعمل في المجالات الآتية :

(١) تنمية اللغة العربية ونشر الثقافة الإسلامية في الخارج ، وذلك بالتوسع في إصدار المعاجم المتخصصة في ميادين المعرفة وإبراز دور الحضارة العربية

الإسلامية في نمو المعرفة الإنسانية، ووضع المصطلحات العربية الموحدة للمفاهيم الجديدة وتعميم استعمالها وتداولها ، والإفادة من التقنيات الحديثة في نشر اللغة العربية والثقافة العربية الإسلامية في الداخل والخارج .

(٢) نشر المعلومات والاستفادة منها ، بواسطة بنك المصطلحات ، وتتبع وخزن الرصيد المصطلحي المستجد، ودعم المكتبة بالمراجع والكتب والدوريات .

(٣) التعاون مع الأمانة العامة لجامعة الدول العربية والمنظمات المتخصصة والمنظمات والهيئات الإقليمية والعالمية ، قصد الوقوف على الأساليب الحديثة في المعجمية والمصطلحية والإسهام في البحوث والدراسات وإبراز أعمال المنظمة في مختلف الميادين العلمية والثقافية والإعلامية وذلك :

- بتتبع ما تنتهي إليه بحوث المجامع اللغوية، والعلماء، ونشاط الأدباء والمترجمين، وجمع ذلك كله وتنسيقه وتصنيفه تمهيدًا للعرض على مؤتمرات التعريب .
- بالتعاون الوثيق مع المجامع اللغوية والهيئات والمنظمات التعليمية والعلمية والثقافية في البلاد العربية .
- بالإعداد لعقد الندوات والحلقات الدراسية الخاصة ببرامج المكتب .
- بإصدار مجلة دورية لنشر نتائج أنشطة المكتب .
- بنشر المعاجم التي تقرها مؤتمرات التعريب .
- غير ذلك من الأعمال الكفيلة بتحقيق أهداف المكتب .

توحيد منهجيات وضع المصطلح العربي:

إيمانا من مكتب تنسيق التعريب بضرورة إيجاد منهجية موحدة لوضع المصطلحات العلمية الحديثة ، قام المكتب بالتعاون مع المجامع اللغوية والعلمية العربية والهيئات المصطلحية المختصة ، بعقد ثلاث ندوات متخصصة :

أ- ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلحات العلمية الجديدة - الرباط ١٨-٢٠ فبراير ١٩٨١م.

ب- ندوة تطوير منهجية وضع المصطلح العربي ، وبحث سبل

نشر المصطلح الموحد وإشـــاعته عمان(الأردن)٦ -٩/٩/١٩٩٣م.

ج - ندوة التقنيات الحاسوبية في خدمـة المصطلح العلمي والمعجم المختص. طنجة (المغرب) ٢١ - ٢٢/٤/١٩٩٥م .

وقد خرجت النـدوة الأولى بمجموعـة مهمة من المبادئ الأساسـية الواجـب مراعاتها عند وضع المصطلح . ودرسـت النـدوة الثانيـة مجموعـة مختـارة من الدراسـات والبحـوث المتعلقـة بـالتصور النظـري لمنهجيـة وضـع المصطلحات .

ونظرا لأهمية البحوث والدراسـات والتوصيات الصادرة عن هـذه النـدوة (ندوة عمان) فقد أخرجها المكتـب في عدد خاص من مجلة " اللسان العـربي " هو العدد ٣٩ لسنة ١٩٩٥ م .

وجاءت الندوة الثالثة (ندوة طنجـة) لتعالج الجانب الحاسوبي التطبيقي ووضـع المبادئ العامة لأستغلال الحاسـوب في المجال المصطلحي . ويعكف المكتب حاليا على الإعداد لعقد ندوة - خلال سـنة ١٩٩٧م - بعنوان : التطبيقات الحاسوبية العربية في المجال المصطلحي ، اسـتكمالا لندوة طنجة آنفة الذكر .

طريقـة عمـل المكتـب في إعـداد المصطلحات قبل عرضها على مؤتمرات التعريب للمصادقة عليها :

يتعاقد المكتب مع فريق عمل مـن الأساتذة والخبراء المتخصصين في مجـال مُعين لإعداد مشروع أولي لمعجم مُعـين في مادة معينة . يرسـل المشـروع إلى الجهات المختصـة في الوطـن العـربي لدراسته وإبداء الملاحظات عليه ، قبـل عرضه على ندوة متخصصة لدارسـته . يعاد طبع المشروع ، بعد دراسته من قبل الندوة، ويرسل مرة أخرى إلى المؤسسات العربية المختصة لدراسته وتنقيحه ، تمهيدًا لعرضه على مؤتمر التعريـب . بعـد أن تعرض المشروعات المعجمية على مؤتمـر للتعريب ، يقوم المكتب بطبـع ونشـر وتوزيع ما تم إقراره من هذه المشروعات، في صيغة معاجم موحدة .

مؤتمرات التعريب :

مؤتمرات التعريب هي السُّلطة العليـا صاحبة القرار السياسي بالنسبة للسياسـة الخاصة بمكتب تنسيق التعريب ، وتنعقـد هذه المؤتمرات بصفة دورية كل سـنتين ، أو عند الاقتضاء ، على مسـتوى وزراء التربية والتعليم في الوطن العربي أو مـن

يمثلهم . ويشكل المؤتمر لجانا متخصصة تعكف ، أثناء انعقاده على دراسة المشروعات وأوراق العمل التي يعرضها المكتب على المؤتمر لدراستها وتمحيصها واتخاذ القرارات المناسبة بشأنها .

نبذة عن مؤتمرات التعريب :

- المؤتمر الأول للتعريب :

عقد مؤتمر التعريب الأول بالمملكة المغربية فيما بين ثالث وسابع أبريل سنة ١٩٦١م ، بغية تحقيق معنى التعريب في كل مرفق من مرافق الأمة العربية في كل بلد من بلاد العرب . وقد أوصى المؤتمر بأن يصبح هيئة دائمة وأن يستمر انعقاده دوريا،وينشأ له مكتب دائم مقره المملكة المغربية ، تحت إشراف الجامعة العربية ، وتمثل فيه جميع البلاد العربية ، مهمته أن يتلقى ويتتبع ما تنتهي إليه بحوث العلماء والمجامع اللغوية، ونشاط الكتاب والأدباء والمترجمين ، ويقوم بتنسيق ذلك كله وتصنيفه ومقارنته ليستخرج منه ما يتصل بأغراض المؤتمر لعرضه على المؤتمرات المقبلة . وهذا المكتب هو : مكتب تنسيق التعريب بالرباط .

كما أوصى المؤتمر بأن تكون اللغة العربية لغة التعليم لجميع المواد في جميع المراحل والأنواع، وفي كل قطر عربي دون أن يعني ذلك منع تدريس اللغات الأجنبية كلغات .

وقد أوصى المؤتمر الدول العربية بوضع خطة لتوحيد وسائل الإعلام العامة ؛ من صحافة وإذاعة وسينما وغيرها ، لتكون وسيلة من وسائل التعريب ونشر اللغة الفصيحة بين طبقات الشعب المختلفة وتقريب لغة التخاطب من الفصحى .

وكان المؤتمر ، في جميع توصياته ، يرمي إلى " بناء جيل عربي واع مستنير ، يؤمن بالله وبالوطن الأكبر ، ويثق بنفسه وأمته ويستهدف المثل العليا في السلوك الفردي والاجتماعي ، ويستمسك بمبادئ الحق والخير ، ويملك إرادة النضال المشترك وأسباب القوة ، والعمل الإيجابي، متسلحا بالعلم والخُلق ، لتثبيت مكانة الأمة العربية المجيدة وتأمين حقها في الحرية والأمن والحياة الكريمة " .

المؤتمر الثاني للتعريب :

عُقد مؤتمر التعريب الثاني في الجزائر من الثاني عشر حتى العشرين من شهر ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٣م.

وقد تضمنت وثيقة المؤتمر جملة من المبادئ والاتجاهات والتوصيات نذكر منها:

أولا :المبادئ :

١- اللغة مقوم رئيسي من مقومات وجود الأمة واستمرارها . وكل خطر يهدد اللغة هو خطر يهدد شخصية الأمة واستمراريتها وارتباط ما بين أجيالها .

٢- إن تأصيل العلوم وانتشار المعارف في أمة من الأمم لا يكون إلا بلغتها . ولذلك فإن لحاق البلاد العربية بالحضارة العلمية المعاصرة ومواكبتها لها ، ثم مشاركتها فيها، ويجب أن يبدأ باستخدام اللغة العربية لغة للتدريس ، وإعداد المصطلحات العلمية الموحدة لذلك .

٣- إن تأصيل اللغة لا يقتصر على الأخذ بها في مرحلة دون مرحلة، وإنما يجب أن يمازج مراحل التعليم كلها منذ بدايتها ، حتى يتيسر لأبناء هذه اللغة أن يعايشوها معايشة كاملة تساعد بعد ذلك على التصرف بها وتطويرها .

٤- إن ما لحق اللغة العربية من قصور في العصور المتأخرة لا يعود إلى العربية نفسها وإنما يرتد إلى ما فرضه الغزو اللغوي - على درجات متفاوتة - من مباعدة بينها وبين أصحابها،ومن تشكيك فيها ، وعزلها عن الحياة والمجتمع. والتجارب اللغوية المعاصرة في العالم تثبت ، على نحو لا يقبل الشك ، أن دؤوب أصحاب اللغة على الأخذ بها وإشاعة استعمالها في كل الميادين النظرية والعلمية ، والدراسات العلمية والإنسانية - كفيل بتمكينها من الوفاء بحاجات العصر المتطورة .

٥- إن اللغة العربية قادرة - بحكم طبيعتها وخصائصها وتراثها الذي أسهمت فيه في الحضارة الإنسانية-على أن تكون لغة العلم الحديث : تدريسًا وتأليفًا وبحثا .

٦- إن الدعوة إلى تدريس العلوم باللغة العربية والعناية بهذه اللغة لا تعني إهمال الاهتمام بتدريس اللغات الأجنبية ولا تقصد إليه .

ثانيًا: الاتجاهات :

إن المؤتمر ينعقد في ظل غاية رئيسية هي :

توحيد المصطلح العلمي .

١- الأعضاء الذين يشاركون فيه من البلاد العربية يصدرون عن إيمانهم بملاحقة التطور العلمي ومصاحبته، ولكنهم يلاحظون أن نقل المصطلح العلمي أو وضعه أو الأخذ به تفاوت بين قطر وآخر تفاوتًا أضحى يحتم عليهم توحيد هذ المصطلح تمهيدًا للغة علمية مشتركة .

وهم يدركون أن أسباب هذا التفاوت تعود إلى فقدان العمل المنظم في هذه السبيل ، فقد أسهمت فيه مجامع وجامعات ، وهيئات وأفراد ، وكان أكثر النقل فيه عن اللغتين الفرنسية والإنجليزية ، واتخذت في اصطناعه أساليب مختلفة من الوضع والترجمة والنحت والتعريب . ولذلك فإن توحيد هذا المصطلح يرتبط بسلسلتين من العوامل ؛ عوامل تتصل باللغة العربية والتعليم العربي والطباعة العربية . وعوامل أخرى تتصل بالظروف الاجتماعية والسياسية . ولابد لذلك من أن يتخذ العملُ في المصطلحات وجهة تتلخص في دراسة هاتين السلسلتين دراسة علمية ، واصطفاء ما يؤدي إلى الالتقاء والتوحيد ، والابتعاد عما يقود إلى التفرق والتشتت .

٢- إن اختيار المصطلحات العلمية في هذا المؤتمر لمقابلة المصطلحات العلمية الأجنبية لا يولف غاية في ذاته بقدر ما يكون سبيلا إلى غايات أخرى هي تطبيق هذه المصطلحات واستعمالها في كل مجالات الأداء والإبلاغ : في المدارس والأندية ، وفي وسائل الإعلام وفي الدوائر والمكاتب ، وذلك في عمل مشترك عام يعايش المجتمع في كل طبقاته وفئاته وفي كل مراحله التعليمية ، حتى يتم التفاعل بين اللغة والمجتمع على نحو يقود التطور الفكري والتطور اللغوي في خطين متكاملين ، يقطع الطريق علي التفاوت أو التناقض الذي نشهده أحيانًا بين الحياة واللغة وتطبيقاتها المختلفة .

٣- إن اختيار المصطلح العلمي في نطاق التعليم العام في المؤتمر الثاني للتعريب لا يعني أن المؤتمر يريد أن يقف باللغة العلمية عند حدود

التعليم الثانوي ، ولكنه يعتبر أن عمله هذا تمهيدًا للخطوة التي يجب أن تلي بعد ذلك ، أي نحو المصطلح العلمي في التعليم الجامعي . ذلك لأن تدريس العلوم بالعربية في المرحلة الثانوية وحدها نوع من العمل الناقص لا يضمن تحقيق الغاية المرجوة ... ولهذا فإن المؤتمر يأخذ بالاتجاه إلى تدريس العلوم باللغة العربية في التعليم العالي كله في الجامعات والمعاهد ، ويؤكد أن هذه البيئات العالية تشكل ميدانًا بالغ الأهمية يجب أن تتجلى فيه إرادة الأمة العربية في صيانة لغتها وإعطائها الفرص الحقيقية والمنتجة للتعبير عن المفاهيم الفكرية للعصر ومنجزاته التطبيقية والتقنية ، ويرى المؤتمر في التجربة التي قدمتها بعض الأقطار العربية والتي أعطت أطيب ثمارها تأكيدًا لسلامة هذا الاتجاه ولضرورة الأخذ به .

٤- إن النتائج التي انتهى إليها المؤتمر في هذه المصطلحات التي تدراسها، مقدمة لاستخدامها في التعليم والتأليف ووضعها موضع التجربة والممارسة . غير أن اختيار المصطلح لا يعني تجميده ، فالمصطلحات العلمية بطبيعتها عمل مستمر متصل .

ثالثًا : التوصيات :

أوصى المؤتمر باتباع منهجية للعمل في مشروعات المصطلحات في المستقبل على أن تتناول هذه المنهجية مراحل العمل كلها في الإعداد والدراسة والإقرار. ففي الإعداد : لابد من عمل أولي منظم يتناول استقصاء المصطلحات القديمة وجمع المصطلحات الحديثة . وفي الدراسة: لابد من اللجوء إلى نظام المراحل المتدرجة فتقدم مراحل الجمع والاستقرار والاستقصاء على أية مرحلة ثم تأتي مرحلة اللجان المتخصصة والندوات للتمحيص والغربلة قبل مرحلة المؤتمر العام ولجانه للمصادقة . وفي إقرار المصطلحات : لابد من استلهام هذه الأصول والقواعد والتقيد بها لتوافر للمصطلحات : السلامة في اللغة ، والسهولة في الأداء ، والوضوح في الفكر، والدقة في التعبير .

وفي الالتزام ، يرى المؤتمر أن قضية المصطلح العلمي لم تنل من العناية في التنفيذ قدر ما نالت من عناية في الإعداد والدراسة والإقرار ، وأنه إذا كانت قضية المصطلح عملية مستمرة فإن ذلك يقتضي ألا يستمر الجدل النظري حولها إلى ما نهاية له ، وأنه لابد من أن يخرج هذا النقاش النظري إلى مرحلة التطبيق والتجربة العلمية حتى يكون استخدام المصطلح هو الذي يحقق امتحانه والحكم عليه .

ولذلك فإن أعضاء المؤتمر يذهبون إلى وجوب الأخذ بمبدأ الالتزام بهذه المصطلحات، يلتزمونها هم في مدراسهم وجامعاتهم وبحوثهم ومعاجمهم، ويدعون إليها حتى حين يكون تدريسهم باللغة الأجنبية ، ثم يهيبون بالسلطات المختصة أن تلتزم بها ، ما كان ذلك ممكنا ، في المدارس والإدارات والمؤسسات ووسائل الإعلام والشركات؛ حتى تكون جزءا حيا من الحياة العلمية والعملية والإدارية، وحتى يتحقق لها أكبر قدر من الشيوع والاستقرار .

والمؤتمر حين يؤكد هدا المبدأ، يؤمن بأنه لابد من إتاحة الفرصة أمام الأقطار العربية - حسب قدرة كل قطر وظروفه- للأخذ بذلك ، آملا أن يكون الجهد في الأخذ بهذا المبدأ أقوى من الصعوبة، وأن يكون التعارض بين الرغبة والإمكان أدنى إلى غلبة الرغبة على عوائق الإمكان .

وقد صادق مؤتمر التعريب الثاني على توحيد قوائم مصطلحات صدرت في ستة معاجم ، في موضوعات : الحيوان والنبات والفيزياء والكيمياء والجيولوجيا والرياضيات، تشتمل على ١٧٧٦١ مصطلحا بثلاث لغات (العربية - الإنجليزية - الفرنسية)

المؤتمر الثالث للتعريب :

عُقد مؤتمر التعريب الثالث بطرابلس (ليبيا) من ٧-١٦/٢/١٩٧٧م .

أكد المؤتمر من جديد أهمية العامل اللغوي في الحياة العربية ، كما أكد قدرة اللغة العربية على الوفاء بالتقدم العلمي والاجتماعي ، بما لها من خصائص ذاتية، وما في تراثها من زاد غني ساعدها على أن تكون لغة الحضارة ، ويرى أنها بهذه الخصائص والقدرات ، وبما عند أبنائها من إيمان وعزم ، قادرة على أن تستأنف مسيرتها الحضارية بنجاح أكيد .

وبالنسبة للتعريب ، يرى المؤتمر أن الأمة العربية يجب أن تكون قد تجاوزت في أقطارها كلها فترة التفكير في التعريب ، إلى الأخذ به،والتماس كل الوسائل، وقطع الطريق على مراحل التشكيك فيه،واعتباره - في المرحلة الحاضرة - هدفا أساسيًا من أهدافها،وأسلوبا رئيسيًا من أساليب تحقيق وجودها الفكري وشخصيتها الحضارية ، ووحدتها النفسية واللغوية .

وقد صادق المؤتمر على توحيد مجموعة مصطلحات في موضوعات التاريخ والجغرافيا والفلك والفلسفة والمنطق وعلم النفس والصحة وجسم الإنسان والرياضيات والإحصاء تبلغ ١٠٣٩٣ مصطلحا باللغات الثلاث (العربية - الإنجليزية - الفرنسية)

المؤتمر الرابع للتعريب :

عُقد مؤتمر التعريب الرابع بطنجة (المملكة المغربية) في الفترة من ٢٠ إلى ١٩٨١/٤/٢٢م .

أكد المؤتمر مرة أخرى إيمانه المطلق بأن "اللغة العربية " - وهي لغة القرآن الكريم- أقوى الروابط التي بقيت تربط بين أجزاء البلاد العربية لتجاوز عوامل التجزئة والتقسيم التي تعانيها .

وبخصوص حركة التعريب في الأقطار العربية ، قدم رؤساء الوفود المشاركة مذكرات مكتوبة عن جهود بلادهم في ميدان تعريب التعليم ، وأثارت هذه المذكرات مناقشات مستفيضة دار أكثرها حول الحقائق الآتية :

١- للغة العربي - إذا قيست باللغات الأخرى - مقدرات رائعة تمكن لها من مواكبة العلوم والمعارف ومسايرة تطورها، بحكم خصائصها الذاتية من جهة ، وبحكم تجربتها الحضارية من جهة أخرى ، وهي تجربة تمثلت في احتواء علوم العصور قبلها ، علوم الرومان واليونان وشعوب الشرق ، وفي استيعاب الحضارة الإسلامية بكل ما جددت وحصلت من علوم وفنون .

٢- التعليم باللغة العربية ليس استجابة للمشاعر القومية ولا زلفى لها ولكنه كذلك استجابة للحقائق التربوية التي أثبتت أن تعليم الإنسان بلغته أقوى مردودًا وأبعد أثرًا، وأنه أحفل بالنتائج الخيّرة من الناحيتين الكمية والكيفية .

٣- إذا كان هذا هو شأن اللغة العربية وقدرتها وامتيازاتها وتاريخها ومكانتها الحضارية وعائداتها على التعليم بها ، فإنه آن الأوان لتكون هي لغة الحياة العلمية ، ولغة الحياة التعليمية في مراحلها كلها، ولغة الحياة اليومية على اختلاف مستوياتها ، ولغة الحياة الإدارية في كل جوانبها .

وبعد أن درس المؤتمرون بعض الظروف التي تحيط بالتعريب ، ووقفوا على الآراء التي تكتنفه ، وهي آراء تتأرجح بين الأناة وبين مجارات الزمن ، انعقد الاجماع على أنه من الخير لو استطاعت الدول العربية أن تتخذ في ذلك قرارا سياسيًا حتى لا يظل الأمر عرضة لتكرار القول وإعادته في هذا التعريب . وانتهى المؤتمرون إلى التوصية الآتية :

يكرر المؤتمر ، مرة جديدة ، بعد سلسلة من المرات السابقة أمله في أن يتحقق هذا التعريب في خطوط متوازية في نطاق التعليم ، وفي نطاق الإدارة ، وفي نطاق الحياة اليومية .

وقد صادق المؤتمر على توحيد مجموعة أخرى من المصطلحات في موضوعات : الكهرباء ، وهندسة البناء، والمحاسبة ، والتجارة ، والتحارة ، والنفط، والجيولوجيا، والحاسبات الإلكترونية ، تبلغ ٢٣٠٠٠ مصطلح بثلاث لغات (العربية - الإنجليزية - الفرنسية) .

المؤتمر الخامس للتعريب :

عُقد مؤتمر التعريب الخامس بعمان (المملكة الأردنية الهاشمية) في رحاب مجمع اللغة العربية الأردني ، في الفترة من ٢١ - ٢٥ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٥م .

أكد المؤتمر ما سبق أن أقره في المؤتمرات السابقة من توصيات خاصة بالمبادئ التي يرتكز عليها التعريب في الوطن العربي، كما أوصى من جديد باتباع منهجية للعمل في مشروعات تعريب المصطلحات، تتناول مراحل العمل جميعا في الإعداد والدراسة ، والإقرار .

وقد بارك المؤتمر الأعمال التي أنجزها مكتب تنسيق التعريب والتي ساعدت على تدعيم تعريب العلوم في مراحل التعليم العام .

وصادق المؤتمر على توحيد مجموعة أخرى من المصطلحات تبلغ ٤٠٠٦٧ مصطلحا في موضوعات: الفيزياء ،

والتربية،وعلم الاجتماع والانثروبولوجيا، والكيمياء ، واللسانيات ، والألعاب الرياضية ، والزراعة ، والإحصاء ، والسكك الحديدية .

المؤتمر السادس للتعريب :

عُقد مؤتمر التعريب السادس بالرباط في الفترة من ٢٦ - ١٩٨٨/٩/٣٠م.

أكد المؤتمر ما سبق أن أصدره من توصيات في مؤتمراته الخمسة السابقة . وقد ألح بصفة خاصة على أن اللغة العربية مقوم رئيسي من مقومات وجود الأمة العربية ، وأن تأصيل العلوم لا يكون إلا بلغة الأمة ... وأن ما يهدف إليه التعريب هو بالدرجة الأولى توحيد المصطلح العلمي ، وتطبيق هذا المصطلح، واستعماله ، وتداوله في كل مجالات الحياة أداء وإبلاغاً ، وأن القرار السياسي لا غنى عنه لنقل المصطلحات العربية إلى المجال التطبيقي .

وقد وضع المؤتمر أمام المختصين أهم الأفكار والملاحظات والاقتراحات التي قدمها السادة المؤتمرون عند معالجتهم لموضوع منهجية تعريب العلوم ، تتلخص في أن ثمة أربع منهجيات كبرى في التعريب هي :

- المنهجية التكنولوجية وتتجلي في أن توفر للغة العربية الوسائل التقنية التي تنقصها ، وفي طليعتها الحرف العربي، وقاعدة المعلومات اللازمة .
- المنهجية العلمية وتكمن في كيفية وضع المصطلحات وتوحيدها وتنميطها .
- المنهجية التنسيقية التنظيمية وتتجلى في كيفية تنظيم أعمالها في التعريب داخل البلد الواحد ثم بين البلاد العربية .
- منهجية السياسة اللغوية إذ إنه لا توجد حتى الآن سياسة لغوية في الوطن العربي .

وقد صادق المؤتمر على توحيد مجموعة مصطلحات تبلغ ١٠٤٦٥ مصطلحًا ، في موضوعات : الموسيقى ، والآثار ، والجغرافيا ، والاقتصاد ، والقانون .

المؤتمر السابع للتعريب :

عُقد مؤتمر التعريب السابع بالخرطوم في الفترة ١٩٩٤/١/٢٥-١٩٩٤/٢/١.

أكد المؤتمر ما سبق أن أقرته مؤتمرات التعريب الستة السابقة من ضرورة العناية باللغة العربية والتعريب . وقد جاء في كلمة السيد المدير العام للمنظمة العربية

للتربية والثقافة والعلـــوم ، في الجلســة الافتتاحية للمؤتمر : . ." إن الإشــكاليات الموروثة والمتراكمة عبر تحولات احتماعية وثقافية متفاوتة ومتباينة تدعونا إلى تناول موضوع التعريب من زوايا متعـــددة .

فالتعريب في سياسة المنظمة ، مثلما هـــو في نظر عدد من المفكرين العرب ، ليــس رصفا لقوائم المصطلحات لهـــذا العلـــم أو ذاك ، بلغة واحدة أو بعدة لغات، بـل هو جزء مهم وحيوي من خطط المنظمـة الآنية والمتوسطة والبعيدة المدى . فهو في استراتيجية إدارة العلوم مسعى طمـــوح يهدف إلى نقل التكنولوجيا واســتيفائها في الوطن العربي مع تأصيل يمهد للابتكار وليس عن طريق تقليد سطحي ومجـــرد نسخ يؤدي إلى الاســتلاب والمســخ . وبذلك يصبح استعمال العربية اســتعمالا مبدعا في المخابر والجامعـــات ومراكـــز البحوث ، بما يجعل مـــن التعريـــب في استراتيجية دائرة الثقافة بالمنظمة تنويـــرًا للفكر العربي وإعادة تكييفه حتى يصبـــح قادرا على محاورة نظيره الأجنبي ، يساويه اندماجا في حضارة العصر ، ويأخذ عنـــه دون أن يكون عالة عليـــه . وهـــو في سياسة إدارة التربية تطويع للعلوم وتمكـــن من مفاتيح التكنولوجيا بمـــا يـــؤدي إلى تعريب التعليم العلمي الجامعي في إطـــار حركة إبداعية صاعدة تضمن ارتفـــاع المستوى ، منهجا ومدرســـة ، أســـتاذًا وطالبًا " .

وصادق المؤتمر على توحيد مجموعـــة مصطلحـــات بلـــغ عددهـــا ١٢٦٦٧ مصطلحا بثـــلاث لغـــات (العربيـــة – الإنجليزية – الفرنسية) ، في موضوعات: السياحة ، والزلازل ، والبيئة ، والطاقات المتحددة . .

كما صادق على "نظـــام الرمـــوز العلمية للغة العربية " الذي أقرته النـــدوة التي عقدها اتحاد المجامع اللغوية العربيـــة بعمان ١٩٨٧م، وكلف مكتب تنســـيق التعريب بإعادة نشره وتوزيعـــه علـــى الجهات المختصة في الوطن العربي ، وهـــو ما قام به المكتب سنة ١٩٩٦م.

وقبل الانتهاء من الحديـــث عـــن مؤتمرات التعريب يطيب لنا أن نشـــير إلى أن مكتب تنسيق التعريب يعكف حاليًـــا على الإعداد لعقد مؤتمري التعريـــب ، الثامن والتاسع ، في مؤتمر واحد ، أواخر السنة الجارية ١٩٩٧م . وبالإضافـــة إلى البحوث التي ستلقى في المؤتمر ، فقد أعـــد

المكتب تسعة مشـــروعات معجميـــة ، سيعرضها على المؤتمر للمصادقة عليـــها ، تمهيدًا لطبعها وتوزيعها علـــى الجـــهات المختصة في الأقطار العربية. وتتناول هذه المشروعات موضوعات:المياه، الاستشعار عن بعد،التقنيات التربوية،الإعلام، الفنون التشكيلية ، الأرصاد الجوية ، الهندســـة الميكانيكية المعلوماتية،وعلم البحار . كما يعكف المكتب علـــى إعـــداد تســـعة مشروعات معجمية أخرى ، في مجالات: الصيدلة،الطب البيطري، تقنيات الأغذية، المورثات (الجينات)، الحرب الإلكترونية، الأدب والنقد ، الإدارة العامة والمرافـــق المختصة ، العادات والتقاليد والأزيـــاء ، والغزل والنسيج ، وذلك للعرض علـــى مؤتمري التعريب العاشر والحادي عشر .

التعريب .. في الخطة متوسطة المـــدى الثالثة للمنظمة العربية للتربية والثقافـــة والعلوم (١٩٩٧ - ٢٠٠٢)

من أهداف الخطة متوسطة المدى الثالثة:

١- العناية باللغة العربيـــة وتطويـــر أساليب تدريســـها في مختلـــف المراحل التعليمية .

٢- الارتقاء بالتعريب وتطوير الترجمة في الوطن العربي .

وقد وضعت المنظمة في هذه الخطة برنامجا تحت عنوان : تحسين نوعية التعليم العالي والجامعي ، من أهدافه :

- العمل على تعريب التعليـــم العـــالي والجامعي في الكليات التي مـــازالت تدرس بغير العربية ، مع الاهتمـــام بتعليم اللغات الأجنبية . ومن أنشـطة هذا البرنامج :

١- متابعة تنفيذ توصيـــات مؤتمـــر وزراء التعليم العـــالي بتعريـــب التعليم العالي والجامعي.

٢- وضع خطـــة قوميـــة لتعريـــب البحوث العلمية ، وبخاصـــة في مجالات الدراســـات المســـتقبلية والعلـــوم الطبيـــة والهندســـية والفيزيائية الحديثة .

وتشتمل الخطة على برنامج بعنوان:تعميم التعريب وتطوير الترجمة في الوطن العربي ويهدف هذا البرنامج إلى :

١- دفع عملية التعريـــب في بعـــض الأقطار العربية .

٢- سيرورة اللغة العربية وانتشـــارها في مناحي الحياة كافة .

٣- الارتقاء بالترجمة وتطويرها إنمـــاء للفكر العربي .

٤- تمكين اللغة العربية من التطـــور المستمر .

ومن أنشطة هدا البرنامج :

- العمل على تعريب التعليم بمختلـــف مراحله وشُـــعبه بصـــورة مرحليـــة ومدروسة.
- تعريب المصطلحات العلمية والتقانيـة المستحدثة .
- تعريب الإدارة في بعـــض الأقطـــار العربية بالتنسيق مـــــع المؤسســـات المتخصصة .
- تعريب الأعمال الفكرية والعلميـــــة المتميزة .

وتتضمن الخطة برنامجا تحت عنوان "إقامة الشبكة العربية للمعلومـــــات التربويـــة والثقافية والعلمية وربطـــها بالشـــبكات العالمية المتخصصة في هذه المجالات .

من أهداف هذا البرنامج :

بناء شبكة عربية للمعلومات في مجـــالات عمل المنظمة تكـــون أطرافـــها مرافـــق المعلومات بالدول العربية .

ومن أنشطة هذا البرنـــــامج : تعريـــب الأدوات والبرمجيات والمراجع المهمـــة في مجال المعلومـــات والإحصـــاء، خاصـــة الصادرة عن الاتحاد الدولي للمكتبـــات (IFLA) والاتحاد الدولي للأرشـيف (ICA) والاتحاد الدولي للمعلومـــات والتوثيـــق (IFID) على الخط المباشر (OCLC) وناشر تصنيف ديوي العشـــــري - مؤسســـة فورست برس ، واليونسكو ، والمركـــز الدولي للتنمية والبحوث (IDRC) وتوزيع هذه البرمجيات والأدوات المعربـــة علـــى أوسع نطاق في الوطن العربي ، إما عـــن طريق الإهداء أو البيع بأدنى تكلفة ممكنة.

الخاتمة :

التعريب قضية كبيرة ومعقدة وذات أبعاد متعددة ، والعقبات التي تقع في طريـــق تحقيق هذا النوع من القضايا تكون عـادة كثيرة ومتشعبة تشعب القضية نفســـها ، ومن ثَم فإنه يستحيل التغلب عليها بـــين عشية وضحاها . ومع ذلك فإن المشاكل التي تواجهها عملية التعريب لا يستعصي حلها على أمة عظيمة مثل أمتنا العربيـة، أمة غنية بإيمانها وإرادتها وتصميمـــــها ، وبأبنائها وعلمائها النابغين المبرزين الذيـن تعج بهم المؤسسات العلميـــــة ومراكـــز البحث في كل مكان مـــن المعمـــورة . يؤكد ذلك ما نراه من تجـــارب عمليـــة ناجحة ، في بعض الأقطـــار العربيـــة ، حيث أصبح التعريب شاملا وكليًّا في

الكثير من القطاعات ، بل وفي أجـــهزة الدولة كلها (التجربة السورية) .

ومع أننا اعتبرنـــا موضـــوع التعريـــب موضوعا شائكا ومعقدا ، فإن ذلك يجب أن لا يصيبنا بالإحبـــاط أو الـــتراخي ، بحيث نظل ننتظر ونـــتردد ، في عمليـــة التعريب ، إلى ما لانهاية له . إن الســـماء لا تمطر ذهبًا ؛ وهي كذلـــك لا تمطـــر حلولا للمشاكل . لابد أن نتحرك . لقد طال الانتظار ، والزمن لا يرحم ، خاصة أننا اليوم في عهد السرعة . وحتى لا نظل نردد ما ردده الآخرون من قبلنا ، حـــول هذا الموضوع ، دعونا نقرر - ولنكـــن صريحين - أن مفتاح هذه القضية العربيـــة المصيرية (قضية التعريب) يوجد بـــأيدي أصحاب القرار في أقطارنا العربية، لابـــد من اتخاذ قرار سياسي حاسم وملـــزم في هذا الموضوع ، قرار لا يفتح الباب أمـــام أي استثناء، لأننا لاحظنا - بالتجربـــة - أن الاستثناء في أحيان كثيرة يصبح هـــو القاعدة ، وهذا ما حدث فعلا بالنســـبة للتعريب، عندما تقرر أن يكون متدرجا، وفي قطاعات معينة، إلى أن يتم الاستعداد لتعريب القطاعات الأخرى، خاصة فيمـــا يتعلق بالتعليم العالي والجامعي.

والقرار السياسي - على أهميته - لا يكفي وحـــده للوصـــول إلى الهـــدف المنشود، ذلك إنما أشرنا إليه آنفا مـــن أن مفتاح التعريب يوجد بحوزة أصحـــاب القرار ، نعني به أنه لابد من وجـــود إرادة معززة بقناعة ، لدى كـــل الأوســـاط العربية الفاعلة ، من أجل خوض عمليـــة التعريب ، كلٌ فيما يخصه ، وعلى جميـــع المستويات . ولنأخذ - على سبيل المثـــال - تعريب التعليم العالي ، في التخصصات العلمية خاصة ؛ لقد ثبت - بالتجربـــة - أن جميع الأساتذة العرب ، وحتى الذيـــن تلقوا تعليمهم بلغات أجنبية ، قـــادرون - إذا ما توافرت لديهم القناعة - على إلقاء محاضراتهم وإعداد بحوثهم باللغة العربية ، وأن العدد القليل من هـــؤلاء الأســـاتذة يتلقى ، في ذلك صعوبات طفيفة يتـــم التغلب عليها في فـــترة وجـــيزة . مـــع ملاحظة ارتفاع درجة استيعاب المـــواد العلمية لدى الطلبة بفضل تلقيهم العلـــم باللغة الأم .

لقد حاولنا ، في هذه الدراسة ، أن نُذكّر ببعض الجهود العربية التي بُذلـــت بغيـــة تذليل الصعوبات التي تعـــترض عمليـــة التعريب ، وذلك من خلال تجربة مكتب

تنسيق التعريب وما قام به في هذا المجال ، بالتعاون مع المجامع العلميـــة واللغويـــة العربية، والجامعات والهيئـــات العربيـــة المتخصصة .

ويسعدنا أن نلاحظ أن أمتنا العربيـة أصبحت، بعد الجهود المشار إليها، تمتلك أدوات العمل اللازمة لخوض غمار عملية التعريب الشامل ، دون وجل أو تـردد . ونحن على يقين من أن النجاح سـيكون حليفنا . " وما ذلك على الله بعزيز " .

أسلمو ولد سيدي أحمد

الخبير بمكتب تنسيق التعريب بالرباط

قضية التعريب

في ضوء سنن التفاعل الحضاري*

للأستاذ الدكتور أحمد صدقي الدجاني

قضية التعريب هي إحدى القضايا المتصلة بتفاعل الحضارات . وقد ظهرت بوضوح في حياتنا العربية منذ أكثر من قرن حين قوي احتكاك الحضارة الغربية بحضارتنا العربية الإسلامية ، في أعقاب تمكن الغزو الاستعماري الأوربي من احتلال عدد من أقطار وطننا العربي الكبير .

لا تزال هذه القضية مطروحة بقوة في حياتنا العربية تشغل أذهان أهل الفكر وأهل الحكم على السواء ، تختلف بشأنها الآراء والمواقف والسياسات ، ويحتدم حولها الجدل فتثور مشاعر وتحدث انفعالات ، ويتصل الحوار .

يتداعى إلى خاطري كلما تابعت هذا الحوار في المحافل العلمية حول هذه القضية موضوع تفاعل الحضارات ، وأحدني استحضر ما قرره المختصون بعلم الحضارة من سنن هذا التفاعل ، فاستشعر الحاجة إلى مقاربة قضية التعريب في ضوء سنن التفاعل الحضاري بغية تحقيق فهم عميق لما يحدث في إطارها ، يجعل المعنيين أقدر على التعلمل مَعها ومعالجتها .

سأحاول في هذا الحديث القيام بهذه المقاربة ، بتحديد القضية أولاً بإيجاز ، ثم استحضار بعض سنن التفاعل الحضاري المتصلة بها ثانيًا . ثم النظر في ضوء ذلك في نشوئها وتطورها ، والوقوف أمام أمور فيها ثالثًا ، مستجيبًا للدعوة الكريمة التي وجهها مجمع اللغة العربية لبحث هذه القضية وقد جعلها الموضوع الرئيسي لمؤتمره لعام ١٩٩٧م.

حين نحاول تحديد قضية التعريب بإيجاز ، نعود إلى معنى التعريب في اللسان العربي ، ثم نتوقف أمام المعنى الاصطلاحي الذي نما واتسع مع بروز قضية التعريب وتطورها ، وقد رغبت إلى أحد شيوخ خبراء المصطلح العربي زميلنا المجمعي الأستاذ أحمد شفيق الخطيب أن يتفضل ويعلمني برأيه في تحديد مفهوم مصطلح التعريب ، فكتب " التعريب:

---

* ألقي هذا البحث في الجلسة الثالثة عشرة من مؤتمر الدورة الثالثة والستين يوم الاثنين ١٥ من ذي القعدة سنة ١٤١٧هـ الموافق ٢٤ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٧م .

عرّب ، يعرّب ، تعريبا . - عرّب النصّ: جعله عربيا ، إما بالنقل من لغة غير العربية إلى العربية ، أو بجعله عربيا مقبولا من حيث المتطلبات اللغوية (القواعدية) والاجتماعية . - وعرّب اللفظة : ترجمها إلى العربية من لغة أخرى ، أو صاغها من أصلها الأجنبي بصيغة تتلاءم والسليقة العربية . - وعرّب التعليم : جعله باللغة العربية . والمقصود به التحول عن تعليم المواد التي تدرس حاليا باللغات الأجنبية (عدا اللغة الأجنبية ذاتها) إلى تدريسها باللغة العربية . - وعرّب الإنسان : ربّاه التربية العربية وعرّفه بتقاليدها وقيمها ومفاهيمها ، بحيث تستحوذ العربية على فكره وقلبه ، وحصنه ضد " التعريب " الفكري والثقافي والاجتماعي . - وعرّب العلم : وطنه ورسّخ جذوره في البيئة العربية باستخدام كافة الوسائل التي تنقل العلم إلى مختلف القطاعات ، لا الجامعية والأكاديمية فقط بل الصناعية والتجارية والزراعية والحياتية عامة ، بحيث تغدو اللغة العلمية العربية جزءًا من حياتنا اليومية في المدرسة والبيت والمصنع، وتغدو الثقافة العلمية العربية جزءًا من ثقافة الصانع والطالب والمعلم والصحافي والأديب كما صاحب الاختصاص الفني .

إذا كان لفظ التعريب في اللسان العربي يدل على الكلام المهذب ومعانٍ أخرى كثيرة ، وإذا كان مصطلح التعريب في القديم كان يعني جعل صيغة اللفظة الأجنبية ذات جرس عربي ، كما يقول الدكتور جميل عيسى الملائكة في بحثه "التعريب واختلاق المعوقات " ، فإن المعنى الاصطلاحي الحديث الذي ذكره الأستاذ أحمد شفيق الخطيب يبين أن قضية التعريب متصلة بتفاعل الحضارات ، ولها طبيعتها الحضارية . وهي تتضمن في داخلها العلاقة بين الذات والآخر . فتعريب النص واللفظة والتعليم ، يتعلق باللسان الذي هو أحد أركان هويه الإنسان ، ومعه ركن العقيدة وركن التراث تاريخًا وثقافة . وتعريب الإنسان والعلم ، يتعلق بالبناء الحضاري والعمران من خلال الاستجابة لتحدي حضارة الآخر وعمرانه في نطاق التفاعل الحضاري معه .

ستحضر ما توصل إليه المختصون بعلم الحضارة فيما يتعلق بظاهرة تفاعل الحضارات وسنن التفاعل الحضاري .

يتداعى إلى الخاطر حديث أسلافنا عن العمران في الاجتماع الإنساني ، وما قلم به ابن خلدون من بلورة " علم العمران البشري والاجتماع الإنساني " في مقدمته الشهيرة لكتابه " العِبَر . " ، وسبقه في استخدام مصطلح " الحضارة" كما يتداعى إلى الخاطر استخدام مصطلح "الحضارة" في الغرب الأوربي منذ القرن الثامن عشر الميلادي مع مصطلح "الثقافة" ، والعناية بظاهرة نشوء الحضارات وازدهارها وانحطاطها وأفولها، في نطاق دراسة علم التاريخ،وظهور عدد من المختصين بدراسة هذه الظاهرة في دائرة الحضارة الغربية في القرن العشرين. من أبرزهم أوزوالد شبنجلر صاحب الكتاب الشهير "انحطاط الغرب " وأرنولد توينبي صاحب الكتاب الشهير "دراسة في التاريخ " والبرت شفايتزر الذي ألف " فلسفة الحضارة " وبيترم سوروكين الذي ألف " المجتمع والثقافة والشخصية " . ويتداعى إلى الخاطر أيضًا اهتمام الفكر العربي بدراسة ظاهرة الحضارة ، وإسهامات عدد من المفكرين العرب ، من بينهم ساطع الحصري في تآليفه عن الثقافة والاجتماع وابن خلدون ، ومالك بن نبي في تآليفه في سلسلة " مشكلة الحضارة ، وزكي نجيب محمود، في عدد من كتبه ، وقسطنطين زريق، في كتابه الجامع " في معركة الحضارة " ، وجيل تالٍ من المفكرين العرب تابع الاشتغال بعلم الحضارة.

حدد علماء الحضارة مفهوم مصطلح الحضارة ودلالاته التي بلغت سبعًا في معجم وبستر الموسوعي غير المختصر . وأبرز هذه الدلالات ما جاء في المعجم الوسيط من أنها " مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني ومظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي في الحضر" . كما نظر هؤلاء العلماء في شروط الحضارة وتعددها في إطار وحدة الاجتماع الإنساني ، وفي مظاهرها المادية والمعنوية والشحوص ، وفي قوامها من "النظم " " والقيم " والمفاهيم " ، وفي التغيرات التي تطرأ عليها، وعوامل التغير الحضاري، وفي مقاييس التحضر التي فيها إبداع خلقي وآخر جمالي وحرية فكرية وعدل ونظم وأشخاص قدوة تعبيرا عن الإبداع والتحرر والكرامة . وبحث علماء الحضارة أيضًا في تفاعل الحضارات وسبل هذا التفاعل ووسائله وسننه .

الحضارات تتواصل وتتفاعل وتتبادل وتتلاقى، فيؤدي ذلك كله إلى مظاهر ونتائج . ومن سبل التفاعل الحضاري ووسائله العزوات والفتوح والحروب في زمن الحرب وانتقال الأشخاص في زمن السلم . ومن خلال هده السبل تنتقل منجزات الحضارة المادية والأفكار والمعتقدات. وقد عرف التاريخ الإنساني في القرون الخمسة الأخيرة الاستعمار الحديث سبيلا لاحتكاك الحضارة الغربية التي اعتمدته بالحضارات الأخرى ، فكان أن حدث " تسلط " حضاري يعتمد القوة الغاشمة والقهر جعل " التفاعل الحضاري" في ظله مفتقدًا جو الرضا الذي يزدهر فيه التواصل والتبادل والتلاقم ، وسبب بروز ردود أفعال عليه.

إن من ظواهر التفاعل الحضاري أن التأثير يسري عادة من الحضارة الأرقى إلى الحضارة الأخرى ، وأن الحضارتين تتبادلان التأثير مهما كان الفارق كبيرا بينهما ، وأن بعض عناصر الحضارة المتصلة بمنجزاتها المادية والتقنية هي أسرع انتقالا للأفكار والمعتقدات . ويضيف قسطنطين زريق ظاهرة رابعة مؤداها أن نفاذ العناصر والمقومات من حضارة إلى أخرى لا يعتمد على قدرة الأولى فحسب بل على تهيؤ الأخرى لقبولها واقتباسها . وظاهرة خامسة هي أن التواصل الحضاري يؤتي خير ثماره حين يجري في جو من السلم والرضا والحرية والتفاهم. ولعل أهم ما ينجم عن التفاعل الحضاري في إطار هذه الظواهر مجتمعة هو التفاعل بين الحضارة وتراثها في تواصل زماني يقترن بتفاعلها مع الحضارة الأخرى في تواصل مكاني .

هذه واحدة من سنن التفاعل الحضاري تستحق الوقوف أمامها لإحسان التعامل معها . وهناك سنن أخرى تتعلق بملابسات هذا التفاعل والمواقف التي تبرز في الحضارة المتأثرة .

موقف أول يقفه البعض في الحضارة المتأثرة من الحضارة الأخرى هو موقف الرفض المطلق المقترن بالتشبث بالتراث . وقد أسمى توينبي متخذيه " المتعصبين ". وشاعت في دائرتنا العربية تسمية "الانكماشيين" التي استخدمها وليد قمحاوي في كتابه " النكبة والبناء" .

وموقف ثانٍ هو موقف القبول المطلق المقترن بالعداء الشديد للتراث . وقد

اسمى توينبي متخذيه " الهيروديين"، نسبة إلى الملك هيرود الذي عاش في زمن عيسى عليه السلام وتشبه بالرومان الذين احتلوا منطقتنا آنذاك . وشاعت تسمية "الانغماسيين" للدلالة عليهم . وهؤلاء من وصفهم مالك بن نبي" بأن لديهم القابلية لأن يستعمروا " . وقد أشار زريق إلى أن بين هذين الموقفين مواقف مختلفة تتباين في مدى الرفض والقبول ، وهي الغالبة عند تواصل الحضارات وتفاعلها . والحق أننا نستطيع أن نتحدث عن موقف ثالث عني كاتب هذا البحث بدراسته في بحوثه ، وأسماه موقف "الاستجابة الفاعلة " . وقد توصل من خلال هذه الدراسة إلى أمرين بشأنه .

الأمر الأول أنه يتميز عن الموقفين السابقين بأنه " فعل " بينما هما ينتميان إلى "رد الفعل" . فالاستجابة الفاعلة هي مواجهة تحدي الحضارة الأخرى ببناء موقف حضاري قائم على إدراك كنه الحضارة وجوهرها ، أساسه إعمال الفكر وإمعان النظر . وواضح أن موقفي الانكماش والانغماس ، وكل منهما رد فعل ، يفتقران إلى عنصر الفكر الذي هو ما يميز الاستجابة الفاعلة .

الأمر الآخر أن الدائرة الحضارية تشهد انتقال شخوصها البارزة وأعلامها خلال مسيرة حياتهم بين المواقف الثلاثة في غالب الأحيان . فيمرون بموقف انكماشي وآخر انغماسي ليستقروا على موقف الاستجابة الفاعلة .

هل لنا بعد هذا الاستحضار لسنن التفاعل الحضاري أن نرى قضية التعريب في ضوئها ؟

يستطيع دارس التاريخ أن يلاحظ بسهولة حين يستذكر التاريخ العربي أن أمتنا العربية خبرت الاحتكاك الحضاري منذ فجر الحضارة . وذلك بحكم موقع وطنها العربي من القارات الثلاث آسيا وإفريقيا وأوربا ، الذي جعل بعض طرق التجارة بين الأقطار والدول تمر من الجزيرة العربية والهلال الخصيب ووادي النيل وواحات إأريقيا وساحلها في الشمال منها .

تتداعى إلى الخاطر هذه الحقيقة ، حقيقة خبرة العرب بالاحتكاك الحضاري، حين نقارب قضية التعريب التي تعيشها الأمة العربية في ضوء سنن التفاعل الحضاري . وقد استقرت هذه الخبرة في فكر الأمة وضميرها عبر تاريخ

طويل حافل بتواصل الحضارات . وتبرز أمامنا في هذا التاريخ ثلاث مرات من هذا التواصل حدثت قبلا .

المرة الأولى في تاريخ منطقتنا العربية القديم إبان ازدهار حضارات الرافدين والنيل والهلال الخصيب، سومرية وبابلية وآشورية ومصرية وكنعانية ، وتواصلها مع حضارات آسيا وأفريقيا ثم أوربا حين ازدهرت حضارة الإغريق .

والمرة الثانية إبان الحمل بالحضارة العربية الإسلامية قبيل بعثة محمد بن عبد الله- صلى الله عليه وسلم -وفي أعقابها حين بلغت هذه الحضارة أوجها ، حيث تفاعل العرب مع الحضارات فارس والهند والروم والصين وأفريقيا .

والمرة الثالثة حين تفاعلت مع هذه الحضارة العربية الإسلامية حضارة أخرى ناشئة في أوربا منذ حرب الفرنجة التي بدأت في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي .

أقبلت أمتنا في المرات الثلاث على التواصل الحضاري الذي تم في جو السلم والرضا في أغلب الأحيان . وأتقنت فن التعامل بما فيه من تبادل تأثير وعطاء وأخذ . وكثيرة هي الأمثلة التي تستوقفنا في المرة الأولى ، وقد حفظتها الملاحم والمتون والكتابة على الطين وعلى أوراق البردي ، بالحرف المسماري والرسم الهيروغليفي والأبجدية الكنعانية ، ولا يتسع المجال هنا لأكثر من هذه الإشارة إليها . وما أكثر الأمثلة على التفاعل في المرة الثانية التي شهدت بلورة أجدادنا العرب صيغة "إيلاف" قريش في العلاقات التجارية الدولية المذكورة في القرآن الكريم مقترنة بالإشارة إلى رحلة الشتاء والصيف ؛ وشهدت ازدهار مراكز الترجمة في بغداد ونصيبين والرُّها ودمشق وحواضر الإسلام الأخرى من لغات حضارات ذلك العصر من هندية وفارسية ويونانية إلى اللسان العربي ؛ كما شهدت انتشار محافل الحوار والعناية بالترحال وكتابة أدب الرحلات وكتب المسالك والممالك والتأليف في مختلف العلوم .

في المرة الثالثة أقبلت شعوب أوربا على النهل من مَعين الحضارة العربية الإسلامية المزدهرة بعد أن تعرفوا عليها أثناء حروب الفرنجة التي استقطبت جماعات منهم ، في الأندلس وصقلية . وكانت أمتنا تعطي بسخاء العلوم

المزدهرة في منائر العلم فيها . وإذا كانت دراسة سُبل انتقال المعرفة من دائرتنا الحضارية إلى دائرة الغرب الحضارية قد رسمت صورة واضحة عن بعض فترات هذه المرحلة من التفاعل الحضاري ، فإنه لا يزال أمامها مساحات واسعة لم يتم ارتيادها بعد ، وبخاصة وأن دراسات حديثة ظهرت في أوربا تبين أن المرحلة امتدت حتى النص الثاني من القرن التاسع. ومن أمثلة هذه الدراسات ما كتبه فان كونينكسفلد الهولندي عن "دور الأسرى المسلمين في أوربا الغربية خلال القرون الوسطى المتأخرة " ، وقد قدم هذا البحث للمؤتمر العام السابع للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مصر، صيف عام ١٩٩٥ ، وتابع فيه ما حققه الباحث البلجيكي فيرلندن . ويقوم سالفاتوري بونو الإيطالي ببحوث تعني بالتفاعل الحضاري بين حضارتا العربية الإسلامية والحضارة الأوربية على صعيد حوض البحر الأبيض المتوسط من خلال مؤسسته SIHMED . وبقدر ما يسجل لهؤلاء العلماء المستشرقين وأمثالهم فضل الأمانة العلمية في رسم صورة كاملة لهذا التفاعل ، بقدر ما يلاحظ المشتغل بعلم تاريخ الأفكار مع أرسكين تشايلدر كيف عمد كثير من مؤرخي الأفكار الغربيين إلى ما أسماه "فقدان الذاكرة " في تعاملهم مع هذا التفاعل. ويمكننا أن نرى بوضوح في المرات الثلاث تجلي سنن التفاعل الحضاري التي استحضرناها.

اختلفت طبيعة احتكاك أمتنا بالحضارة الغربية منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، حين بدأت تواجه الغزو الاستعماري الأوربي بدءاً من غزوة بونابرت الفرنسية الاستعمارية لمصر وفلسطين عام ١٧٩٨ . وقد تتالت موجات هذا الغزو ، ونجحت الأولى منها في فرض الاحتلال الفرنسي على الجزائر عام ١٨٣٠ والاحتلال البريطاني على عدن عام ١٨٣٩. ثم على ساحل الخليج، ثم نجحت الموجة الثانية في فرض الاحتلال الفرنسي على تونس عام ١٨٨١، والاحتلال البريطاني على مصر عام ١٨٨٢ فالسودان عام ١٨٩٦ ، والاحتلال الإيطالي على ليبيا عام ١٩١١ والاحتلال الفرنسي على المغرب الأقصى عام ١٩١٢ . ثم جاءت الموجة الثالثة أثناء الحرب العالمية الأولى - كما يسميها الأوربيون - بالاحتلال الفرنسي

والبريطاني للعراق والشام وتجزئة هـــذه الديار أواخر عام ١٩١٧م.

أصبح الاحتكاك الحضاري بـالغرب هذه المرة مطبوعًا بطـــابع الاســتعمار الحديث بما فيه من "تسلط" حضـــاري يعتمد القوة الغاشمة والقهر . فكـــان أن برزت قضية التعريب ، ولا تزال مستمرة حتى اليوم ، يكتنفها ما يسببه التسلط من مناخ غير صحي للتفاعل الحضاري .

حين نستحضر مسار هذه القضيـــة على مدى قرنين من السنين ، ونتـأمل في هذا المســار في ضـــوء ســـنن تفـــاعل الحضارات محللين، نخرج بمجموعة أفكار نجملها في نقاط :

أولا – الخط البياني لمسار قضية التعريـب هو محصلة قوة التسلط الحضاري الغـــربي وقوة المواقف الثلاثة منه ، الانكماشـــي والانغماسي، والاســـتجابة الفاعلـــة . ويلاحظ على هذا الخط أنه كان يشـــهد صعودًا ونزولا في تذبذب ، ولكنـــه في اتجاه الصعود معبرًا عـــن تفـــوق قـــوة الاستجابة الفاعلة وعن انبعاث حضاري. ويمكننا أن نميز في مسار القضية ، مرحلة استمرت منذ مطلع القرن التاسع عشـــر حتى بداية الموجة الأولى الاســـتعمارية ، شهدت صوراً من الاستجابة الفاعلة بعـد أن نجح صمود الأمة في صـــد الغـــزوة الفرنسية وإلحاق الهزيمة بها . كما نميـــز مرحلة أخرى تلتها، استمرت حتى مطلع العشرينيات من القرن العشـــرين بعـــد الحرب الأولى . وهذه اشتد فيها التسـلط الاستعماري الحضاري مستهدفًا إخضاع الأمة باستلاب هويتها وتكريس تبعيتها . ونميز مرحلة ثالثة استمرت منذ مطلـــع العشرينيات حتى السبعينيات مـــن هـــذا القرن. وقد شهدت صراعًا حـــادًا بـــين موقفي الانكماش والانغماس في أوساطنا من جهة وبـــين التســـلط الحضـــاري الاستعماري وتيار الاســـتجابة الفاعلـــة النامي من جهة أخرى.ونميز مرحلة رابعة منذ السبعينيات واجهت فيها أمتنا وأمـــم أخرى في عالمنا سعي قوى الهيمنة الدولية فرض"عولمة كوكبية " مستخدمة أساليب متطورة من التسلط الحضاري وموظفـــة "ثورة الاتصـــال"بوســـائلها الإعلاميـــة الفعالة. وهي تشهد احتدام المعركة بـــين التسلط الحضاري الغربي وتيار الاستجابة الفاعلة . ويمكننا أن نســـتحضر أمثلـــة كثيرة على الصراع الدائـــر في قضيـــة التعريب في كل من هذه الحضارة .

ثانيًا - وضع التسلط الحضاري الغربي نُصب عينه استهداف اللسان العربي أوّلا بغية هز الهوية العربية بإضعاف أحد أركانها ومن ثم الركنين الآخرين: العقيدة والتراث . فألصق بهذا اللسان نقائص كثيرة واتهمه بالعجز عن استيعاب مصطلحات العلوم ، بل واتهم حرف كتابته وقواعده ونحوه . كما استهدف المستعمر الغربي بتسلطه التربية والتعليم بغية فرض منهج يعتمد التلقين دون التفكير الإبداعي ، ليكون متلقيه تبعًا له إمّعَة ، يسلم له بالقيادة بدعوى أن الغرب هو الحضارة والغربي هو المتحضر المتقدم، دون إعمال مقياس التقدم المعتمد حضاريًا في قياس أفعال هذا الغربي، واستهدف المستعمر الغربي بتسلطه أيضًا القرار السياسي في قمة هرم المجتمعات العربية ، من خلال دعم " التغريب الانغماسي وتمكين أسراه من التحكم في المجموع .

لقد كان لتيار الانكماش رد فعله على هذا التسلط في المجالات الثلاثة ، ولا يزال . كما كان لتيار الانغماس الذي ذهب بعيدًا في تغريبه إلى حد تبني الفرنكفونية والإنجلوفونية على صعيد اللسان ، وإلى حد المناداة جهرًا بأن نصبح غربيين "نأكل ما يأكلون ونشرب ما يشربون ونلبس ما يلبسون ونتعلم ما يتعلمون " كي نتقدم ونلحق بالركب على صعيد التربية والتعليم ، وإلى حد الدعوة للرضا بالتبعية لهم على صعيد الحكم كي نتجنب غضبتهم ويكفوا عن أن يعتبرونا أعداءهم ومن ثَم يقبلونا في معسكرهم . وقد تميز رد الفعل الانكماشي بعنفه وقصر نفسه وعزلته.

كان لتيار الاستجابة الفاعلة استجابته الفاعلة لتحدي هذا التسلط، التي تميزت باعتمادها الفكر وطول النَّفَس، وبرور قادة تيارها أعلاما للأمة يلتحمون بأبنائها ويستلهمون إرادتها ويحسنون التعبير عنها . وقد اكتسب هذا التيار خبرة متزايدة في التعامل مع قوى الهيمنة الدولية . كما حرص على العلم المؤسسي ، فقامت في أوساط الأمة مؤسسات رسمية وأهلية تعبر عن الاستجابة الفاعلة في مختلف الميادين .

ثالثًا - تستنفر " عولمة الكوكبية" طاقات حاصة الأمة العربية ليستجيبوا لتحدياتها ، وتقدح زناد الفكر في تيار الاستجابة الفاعلة للإجابة عن سؤال " ما

الذي ينبغي عمله ؟ " ويوضح هذا الفكر بين يدي الإجابة أن معالجة قضية التعريب تبدأ من النفْس . ذلك " لأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" كما ردد الإمام محمد عبده قبل قرن ، وأكد مالك بن نبي وهو يطرح شروط النهضة مستذكرًا . كما يوضح أن جهود النهضة في الأمة حققت انبعاثًا صاعدًا في محصلته متطلعًا أن يبلغ غايته بتحقيق المشروع الحضاري الغربي .

البدء من النفس يقتضي العناية بالحوار بين التيارات الثلاثة في الأمة ، ويتحمل تيار الاستجابة الفاعلة بحكم طبيعة الفعل فيه وخبرته بتياري الانكماش والانغماس مسؤولية المبادرة إلى هذا الحوار والصبر عليه ، وتوظيف طاقات قيادات التيارين حين يتجهوا إلى الالتحاق به ، وفق إحدى سنن التفاعل الحضاري . وتتداعى إلى الخاطر أمثلة عن العطاء السخي الذي قدمه أعلام عرب على صعيد الفكر حين انتقلوا من "الانعماس " إلى الاستجابة الفاعلة . وقد حرص واحد منهم على أن يعلن تحوله بكتابة مقال " توبة قلم" أشار فيه إلى ما كان يردده في مرحلة التغريب الانغماسي التي مكث فيها سنين ، ثم شرع في العطاء للفكر العربي .

هذا الحوار في دائرة الذات الحضارية يضع نُصب عينه بلوَرة سُبل الحفاظ على الهوية ، والحسم في مسألة اعتماد لسان الأمة للتعليم مع ضرب الأمثلة العملية على ما يتصف به هذا اللسان من قدرة على تلبية جميع متطلبات النهوض الفكري والعلمي والتقني ، فضلا عن حفاظه على نموذجه سليما بفضل القرآن الكريم . ومما يساعد على الانتصار في مسألة اعتماد اللسان العربي ما نشهده من صحوة تتعلق بالعقيدة ، وما أثمره تفاعل الأمة مع تراثها وفقًا لسنة حضارية من إغناء للحياة الفكرية فيها.

يضع هذا الحوار نُصب عينه أيضا اعتماد حرية الفكر والإبداع والخروج من أسر التقليد ، وتوفير المناخ اللازم للإبداع من حرية تعبير وسيادة وديمقراطية شورية وتوخٍّ للعدل الاجتماعي وسعي للتجدد الحضاري وحفاظ على حقوق الإنسان الذي كرمه ربه . وسيؤدي النجاح في تحقيق تقدم على هذه الصُعد إلى دعم القرار السياسي النابع من "الذات " المعبر عنها ، وتحريره

من ضغوط قوى الهيمنة الدائبة على محاولة التحكم فيه .

إن معالجة قضية التعريب تتضمن أيضًا، بعد الوفاء بمتطلبات تغيير النفس ، المبادرة للتفاعل مع الآخر بثقة بالقدرة على هذا التفاعل الحضاري على أساس من النِّدِّية وبرغبة في الانفتاح على هذا الآخر، وتبادل العطاء الحضاري، له والأخذ الحضاري منه ، انطلاقا من معرفة جوانب قوته وضعفه ، ومن الإدراك بأن عصر عولمة الكوكبة يفتح آفاقا رحبة للتفاعل على مختلف الصُّعد ، ومن وعي المرحلة التي تعيشها اليوم حضارة الغرب بخاصة . ويضع هذا التفاعل مع الآخر نُصب العين تعاون حضارات عالمنا على أساس من النِّدِّية وفي حو من السلم والرضا لبناء عمران حضاري إنساني يحمي أمن الأرض من خطر طغيان قوى الهيمنة عليها وإفساد بيئة الحياة فيها ، ويحمي بني الإنسان من خطر هذا الطغيان عليهم ، ويحمي الإنسان من معاناة الغربة في داخلة .

نعم . . إن قضية التعريب لها جميع هذه الأبعاد حين نقاربها في ضوء سنن تفاعل الحضارات . ولا بديل لنا عن كسبها والانتصار فيها ، ليستمر التعمير ويزدهر العمران . وإن للقدوة قيمتها والأسوة الحسنة دورًا خاصًّا يقوم به أعلام الأمة شخوص حضارتها وفقًا لإحدى سنن التفاعل الحضاري .

أحمد صدقي الدجاني

عضو المجمع المراسل من فلسطين

طه حسين المجمعي*

محاضرة

للأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع

الزملاء أعضاء المجمع :

السيدات والسادة :

أبدأ كلمتي بتحية أستاذي طه حسين وذكراه العطرة، تحية ملؤها الحب والإكبار والإجلال، عرفانا بفضله علىّ وعلى أجيال كثيرة لا تكاد تحصى من قبلي ومن بعدي.

والحديث عن أستادي طه حسين وتأثيره العميق في حياتنا الأدبية والفكرية والاجتماعية يتسع إلى مالا نهاية ، وخاصة أنه - غير منارع - حامل لواء نهضتنا الأدبية في القرن العشرين منذ عُيِّن - بعد عودته من البعثة في أكتوبر سنة ١٩١٩م - أستاذًا للتاريخ القديم اليوناني والروماني في الجامعة المصرية القديمة ، إذ حاول سريعا تعريف المصريين والعرب بجوانب من فكر اليونان القدماء، وشعرهم التمثيلي، يريد أن نعتمد في نهضتنا الأدبية المأمولة على الأصول اليونانية التي اعتمد عليها الغرب في تكوين نهضته الأدبية الحديثة . ويُصدر حزب الأحرار الدستوريين صحيفة السياسة، ويرتضى- بجانب عمله الجامعي - أن يصبح محررها الأدبي في سنة ١٩٢٢م ، وينشر فيها كل يوم أحد قصة تمثيلية ملخصة من الأدب الفرنسي حتى يفقه الشباب المصري والعربي المسرح الغربي الحديث فقها حسنا ، واختار طائفة كبيرة من القصص التمثيلية الفرنسية ونشرها سنة ١٩٢٤. وترجم طائفة من تمثيليات سوفوكليس باسم "من الأدب التمثيلي اليوناني " ، كما ترجم مسرحية "أندروماك" لراسين و"زاديج" لفولتير . وبذلك قاد حركة ترجمة واسعة لبعض قصص وتمثيليات الآداب الغربية . ونشر كتاب "قادة الفكر" مصورا فيه مراحل التطور الفكري و الثقافي بالغرب، وظل - من حين إلى حين - يعرض على قرائه ألوانا من القصص والمسرحيات الفرنسية، وترجم " أوديب " لأندريه جيد . وبكل ذلك عمل طه حسين على إحداث نهضة أدبية كبرى في مصر والبلدان العربية .

* ألقيت هذه المحاضرة في الجلسة الرابعة عشرة من جلسات مؤتمر المجمع في دورته الثالثة والستين مساء يوم الاثنين ١٥ من ذي القعدة سنة ١٤١٧هـ الموافق ٢٤ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٧م

وزود نهضتنا الأدبية بطائفة من أدبه القصصي الرائع، كما في "الأيام" و"الصيف" و"أحلام شهرزاد" و"شجرة البؤس" و"دعاء الكروان" .

ويفتتح أستاذي طه حسين عصرا جديدا بأكمله في الدراسات الأدبية بكتابه: " ذكرى أبي العلاء" الذي نال به درجة الدكتوراه من الجامعة المصرية القديمة سنة ١٩١٤م ولما أظهر فيه من براعة علمية، أرسلته جامعته في بعثة إلى فرنسا، وظفر بدرجة الدكتوراه سريعا وعاد إلى جامعته فعينته أستاذا للتاريخ القديم كما مر بنا ، ولما أصبح المحرر الأدبي لصحيفة السياسة، نشر بها كل يوم أربعاء بحثا في الشعراء العباسيين الماجنين . وتحولت جامعته القديمة الأهلية إلى جامعة حكومية سنة ١٩٢٤م، وعين فيها بكلية الآداب أستاذا لأدب اللغة العربية ، وبدأ محاضراته فيها لطلابه بدراسة الشعر الجاهلي ، ونشر سنة ١٩٢٦م كتابا فيه باسم "في الشعر الجاهلي " انتهى فيه إلى نظريته في أن الانتحال يعم في هذا الشعر مطبقا عليه منهج ديكارت، الذي يدعو إلى الشك في كل شئ، حتى نصل إلى اليقين ، وظن بعض الكتاب أن ببعض عبارات في الكتاب خروجا على الدين الحنيف ، وثارت ضده عاصفة من العضب ، وتدخلت الحكومة ، وحققت معه النيابة وبرأته ، ومرَّت العاصفة بسلام ، و أعلد طبع الكتاب في السَّنة التالية باسم في الأدب الجاهلي ، وذكر فيه مناهج الغربيين الفرنسيين في دراسة تاريخ الأدب بالقرن الماضي ، واختار المنهج التأثيري الذي يفسح لمؤرخ الأدب فى تذوقه لمواطن الجمال في الأثر الأدبي الذي يدرسه، وبيان تأثيراته في نفسه وانطباعا ته في وجدانه ، ولا بأس من الاستعانة ببعض المناهج العلمية . وأصبح عميدا لكلية الآداب سنة ١٩٣٠م وفتح أبواب الكلية للفتيات المصريات ودعا إلى تعميم ذلك في جميع الكليات، وهى مأثرة عظيمة في تاريخ الجامعة والمرأة المصرية . وآثر الاستقالة من عمادة كلية الآداب سنة ١٩٣١م احتجاجا على عدوان وزير المعارف حينئذٍ على استقلال الجامعة وتضامن معه في استقالته مدير الجامعة لطفي السيد، وعاد إلى الجامعة سنة ١٩٣٤م . ومنذ سنة ١٩٣٣م يمتع طه حسين قراءه بدراساته

الأدبية، إذ تتوالى فيها كتبه عن حافظ، وشوقي، وعن بعض شعراء الجاهلية وقصائدهم الفريدة، وعن نشأة النثر العربي وأعلامه، وأعلام الشعراء العباسيين في القرن الثالث الهجري، وينشر دراسته البديعة عن المتنبي وحياته وشعره، كما ينشر كتابيه : " مع أبي العلاء في سجنه " و"صوت أبي العلاء " ، وينشر في الجزء الثالث من كتابه حديث الأربعاء دراسات عن دواوين على محمود طه وإبراهيم ناجى، وفوزي المعلوف،ومحمود أبي الوفاء، و إيليا أبي ماضى - وبذلك شملت دراساته الأدبية جوانب كثيرة في تاريخ الأدب العربى وشعرائه وكُتابه من العصر الجاهلى إلي العصر الحديث . وبفضله لم تعد دراسة الأدب العربى في هذا القرن العشرين جدبة ولا عقيمة ، بل أصبحت علمية خصبة قيمة تستضيء بدراساته ودراسات تلاميذه .

وما ذكرته عن فتح طه حسين لعصر جديد في الدراسات الأدبية، وحمله للواء النهضة الأدبية في القرن الحاضر، إنما هو كلمة موجزة شديدة الإيجاز عن مكانته الرفيعة في حياتنا الأدبية ، أما مكانته في المجمع ونشاطه فيه فقد دخله عصوا عاملا سنة ١٩٤٠م فى كوكبة من قادة الفكر والأدب والرأى هم : لطفى السيد وعبد العريز فهمى ، والشيخان مصطفى المراغي، ومصطفى عبد الرازق، ومحمد حسين هيكل، وعلي إبراهيم ، وأحمد أمين وعباس محمود العقاد، وعبد القادر حمزة . وعلى أيديهم استقرت للمجمع أوضاعه وتقاليده ، وأصبح هيئة مستقلة فى الشئون الإدارية والمالية ، ولرئيسه سلطة الوزير . وكان من حظ المجمع حينئذٍ أن عهد إلي طه حسين بوضع لائحته ، فوضعها مبرزا شخصية المجمع واستقلاله ماليًا و إداريًا . وعمل مع رئيس المجمع لطفى السيد على التشكيل الدقيق للجان المجمع المتخصصة، والاستعانة فيها بخبراء من أساتذة الجامعة الناهين ، وأسهم مساهمة فعالة فى كثير من اللجان. نذكر منها لجنة المعجم الكبير ، وكان مشرفا عليها ، ورأى أن تنحَّى عن المعجم فكرة أن يكون معجماً تاريخيًا لكلمات العربية كما أراد الأستاذ المستشرق فيشر ، لأن ذلك يتطلب استقصاء النصوص الشعرية في دواوين الشعر العربي من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث ، وبالمثل يتطلب استقصاء

النصوص النثرية في مختلف الكتب والآثار الأدبية على مر العصور . ولا تستطيع النهوض بذلك عصبة ضحمة من العلماء والباحثين ، ولذلك رأى أن تأخذ لجنة هذا المعجم الكبير بفكرة أن اللغة العربية قديمة وحديثة معا ، وكلما تخفق بالحياة من جيل إلى جيل، ومن عصر إلي عصر حتى اليوم . وظل طه حسين سنوات متعاقبة يشرف على إعداد لجنة المعجم لمواده متأنيا ما وسعه التأنى إلي أن استطاع فى سنة ١٩٥٦ أن يخرج منه نموذجا فى ٤٢٨ صفحة من القطع الكبير يستغرق من المواد اللغوية فى باب الهمزة حتى كلمة أخى، وألحقت به ثلاثة فهارس:فهرس للشعراء، وفهرس للقوافى، وفهرس للشطور ، ولم يقف به عند عصر الاستشهاد الذى يجعله اللغويون حتى القرن الثانى الهجرى ، بل أضاف إلي هذا القرن القرون التالية إلي اليوم ، حتى لا تصبح العربية مثل اللغات القديمة التى ماتت بينما العربية لغة حية خالدة عاشت دائما مع العرب، ووسعت علومهم وفلسفتهم وحضارتهم قديما وحديثا حتى اليوم . وعد طه حسين هذا النموذج الذى نشره للمعجم الكبير تجربة، ودعا المتخصصين من عرب ومستشرقين إلى قراءته وتسجيل ملاحظاتهم عليه أثناء القراءة و إرسالها إليه، حتى يصلح من منهجه فى المعجم ما يحتاج إلي إصلاح، ويغير ما يحتاج إلي تغيير ، وجاءته بعض ملاحظات .

وقد استقر منهج هذا المعجم الكبير بفضل واضعه الأول ومؤسسه طه حسين، ومن قوله فى مقدمة نموذجه : "أقدم المجمع فى هذا المعجم على عمل خطير لم يقدم عليه أحد من قبله ، فلم يقف باللغة عند العصر الذى وقف بها عنده القدماء من أواسط القرن الثانى للهجرة، ولم يهمل حساب هذه القرون التى مضت منذ ذلك العصر وحساب الأجيال الكثيرة التى تكلمت اللغة العربية وكتبتها أثناء هذه القرون الطوال .

ولو فعل المجمع ما فعل القدماء من اللغويين؛ لقضى على اللغة بأنها قد ماتت منذ ذلك العصر .. وهذا شىء يأباه المجمع كل الإباء ، فلا يتحرج الذين يعملون فى هذا المعجم الجديد من الاستشهاد بالشعر والنثر مهما يكن العصر الذى أنشئ فيه ، ولا يتحرجون من إثبات ألفاظ طارئة دعت إليها

ضرورات التطور وفرضها تقدم الحضلوة ... ومع ذلك فلا ينبغى أن تنتظـــر أن تجد فى هذا المعجم كل ما تحتـــاج إلي فهمه من الألفاظ، فليس هـــو معجمـــا علميا، ولن يأخذ من مصطلحات العلـوم على اختلافها إلا ما يشيع بين المثقفـــين ويصبح جزءا من اللغة العامـــة : لغـــة الكتابة والكلام ، وليس هـــو معجمـــا للتاريخ ولا للجغرافيا، وإنما يسجل مـــن الأعلام والأحداث وأسماء الأماكن مـــا ليس من تسجيله بُد لفـــهم النصـــوص الأدبية والتاريخية " .

والدكتور طه حسين - بذلك- تنبـــه إلي أن المعاجم العربية لا تعدو فى استشهادها الشعرى القرن الثانى الهجرى وأنهـــا لا تشتمل على شواهد من اثنى عشر قرنـــا للأجيال التى عاشت فيها . ويـــرى أن يتلافى المعجم الكبير هدا النقص ، وهو - حتى الآن - لا يتلافاه إلا على استحياء ، وكان ينبغى أن تكلف طائفة كبيرة مـــن الشباب بقراءة طائفة من دواوين كبـــار الشعراء وأعمال كبار الكتاب فى القرون المذكورة واستخراج ما يصلـــح منـــها للاستشهاد بها فى المعجم، وذكـــر أنـــه سيشمل بعض المصطلحـــات العلميـــة واشترط فيما يجلب منها له أن تكون ممـــا يشيع بين المثقفين وفى اللغة العامـــة ؛ إذ ليس معجما علميا ، ولذلك ينبغى الحذر والاحتياط إزاء ما يوصـــع فيـــه مـــن المصطلحات العلمية ، فلا يوضع فيه منها إلا ما يشيع في اللغة العامـــة والكتابـــة الأدبية ولا يتوسع فى الأعلام التاريخيـــة والجغرافية . وكل ذلك ينبغي أن يلاحظ بدقة في مواد المعجم . ويتبع ذلك بالمنهج الذي رسمه للمعجم ، وأوجز أهم بنوده.

أولا ــ يبدأ في كل مادة بذكر أصلـها أو أصولها في اللغات السامية إن كانت تمتُّ إليها بصلة .

ثانيا- يتدرج من المدلولات الماديـــة إلي المدلولات المعنوية .

ثالثا - يستشهد على ألفـــاظ المعجـــم بنصوص من الشعر والنثر على اختـــلاف العصور .

رابعا - تُرد الكلمات المأخوذة من لغات أجنبية قديمة أو حديثة إلى أصولها الأجنبية.

خامسا- يذكر ما لابد من ذكره مـــن الأعلام مع الإيجاز .

سادسا- تذكر أسماء الأماكن والبـــلاد في شئ من الاقتصاد ، بحيـــث لا يصبـــح المعجم جغرافيا.

سابعا - يُشكل ما ليس من شكله بُـــد لأوساط المثقفين .

ثامنا - يذكر من المجاز ما شاع في الشعر والنثر.

تاسعا - لا يذكر من الحديث إلا ما ورد في أصل صحيح ، ويذكر الحديث كلـــه إلا إن اشتد طوله ، فيقتصر منه على مـا يجزئ ويغى.

وبجانب لجنة المعجـــم الكبـير، أسهم طه حسين في لجنة الأدب إســهاما خصبا فشارك في وضـــع لائحتـــها وفى دراسة الوسائل الفعالة لتشجيع الشـباب على إتقان إنتاجهم الأدبي، والتفوق فيـه وتفرعت من هذه اللجنة العامة ثـــلاث لجان فرعية : لجنة للشعر ، ولجنة للقصـة والرواية، ولجنة للمقـــالات والبحـــوث الأدبية . وكلفت كل لجنة فرعية بتقـديم تقرير سنوى بملاحظاتها علـــى مســيرة الحركة الأدبية في مصر والعالم العربي في الفرع الأدبي الخاص بها مع بيان الممتـــاز فيه مما يقتضي تشجيعا ماديا أو معنويـا . وتدرس اللجنة العامة تقـــارير اللجـــان الفرعية، وتعرض قرارها أو قراراتها علـى المجمع، ويعقد لذلك جلسة علنية يعلـــن فيها جوائزه. وبَشَّرت اللجنة في كل عام منذ سنة ١٩٤٣م بقصـــاص وشـــاعر وباحث من طراز فريد ، وحققت الأيـام نبوءاتها ، فطارت شهرة كثيرين ممن نالوا جوائزها ، ونالوا حظا غير قليل من المجـد الأدبي . ولجان مختلفة شارك فيها طـــه حسين مثل: لجنة الأصول التي تـــدرس أقيسة اللغة ومواضعاتها دراسة عميقـــة تنفذ منها إلي إثراء اللغة بأقيسة جديـدة تنميها وتطوعها لمطالب الحضارة والعلوم الحديثة .

وشارك طه حسين في لجنة الألفـاظ والأساليب الـــتي تـــدرس الكلمـــات والتعبيرات العصرية المستحدثة في كتابات بعض المعاصرين، والتي يظن أنها عاميـــة وتبيِّن ما يستساغ منها لغويا وأنها تجـرى على قواعد العربية .

وكان في المجمع من يعارضون فكـرة تعريب المصطلحات الأجنبية خشـــية أن تستعجم لغة العلوم ، وتناقش المجمعيـــون في ذلك طويلا ، فدافـــع عـــن حاجـــة العلميين إلي التعريب لكثرة المصطلحـات العلمية الغربية التي يعز أن يوجد لها مقابل في العربية ، و أوجب ذلك خاصـــة في المصطلحات العلمية الغربية التي ترجع إلى أصل لاتيني أو يوناني مما احتفظت بـــه

اللغات العالمية الكبرى ، وكان ممن حملوا المجمع على أنه يرتضى التعريب ما دعت إليه ضرورة ، وهو ما أخذ به المجمع حتى اليوم في مصطلحات النبات، والحيوان والجيولوجيا، والطب، والمركبات الكيميائية، ومصطلحات الهندسة، والفيزيقا والرياضيات.

وكان قد درس النحو في الأزهر واطلع على أمهاته المطولة وما فيها من تعقيدات شديدة لمسائله ، حتى ليتحول كثير منها إلي شباك معقدة ملتوية شديدة الالتواء، وكلما تخلص الطالب من شبكة وما فيها من عسر وقع في شبكة ثانية إلي مالا يحصى من شباك شديدة التعقيد.

وأتيح له أن يدرس الفرنسية ، وسافر - كما مر بنا - إلى فرنسا ودرس هنالك اللاتينية واليونانية ، ودرس نحو كل هذه اللغات و لم يجد فيها صعوبات النحو العربي التي يتعثر فيها الطلاب وخاصة الناشئة من تلامذة المدارس المصرية ، فاستقر في نفسه أن من الواجب أن يبسط النحو العربي وخاصة للناشئة .

وتولى وزارة المعارف سنة ١٩٣٠م حمي الدين بركات وكان يرى تيسير النحو فألف له لجنة من طه حسين، ومن بعض أساتذة الجامعة وأساتذة كلية دار العلوم، وكبار مفتشي اللغة العربية بالمدارس الحكومية؛ لتيسير النحو للناشئة؛وتخليصه لها مما فيه من عُقد وصعاب عسيرة ، وظلت اللجنة تجتمع سنوات في بطء. وانتهت إلى قرارات أعلنتها سنة ١٩٣٨م من شانها أن تخلّص النحو من شباكه، وعقده الكثيرة، وتقلل من مصطلحاته، وأبوابه، وتهتم بتكوين الجملة وأجزائها، مع الاستغناء عن الإعراب التقديري والمحلى، والاكتفاء بألقاب البناء عن ألقاب الإعراب واختصار أبواب النحو في ثلاثة أبواب هي: أبواب الإسناد والإضافة والتكملة . و أهملت هذه القرارات والاقتراحات في تبسيط النحو للناشئة وتيسيره إلى أن أحيلت إلى مجمع اللغة العربية وخصص لها مؤتمره في سنة ١٩٤٥م وناقشها في ثماني جلسات، ودافع عنها طه حسين بحجج وبراهين قوية ، وأقرها المجمع مع تعديلات قليلة ، غير أن وزارة المعارف لم تسارع إلى وضع كتب في تطبيقها على ما يتعلمه الناشئة من النحو . وحدث أن نشرتُ في سنة ١٩٤٧م كتاب "الرد على النحاة" لابن مضاء القرطبي وفيه يدعو إلى إلغاء

نظرية العامل في النحو وما جرته فيه من كثرة التقدير والعوامل المحذوفة في العبارات ، وألغى معها ما يذكره النحاة من علل كثيرة كعلة رفع المضارع و إعرابه دون شقيقيه الماضي والأمر .

وقال إن إعراب المضارع و ما يماثله ظواهر لغوية لا تحتاج إلى تعليل . ودعا إلى إلغاء بابي الاشتغال والتنازع مثبتا أن أمثلتهما من صنع النحاة وأنها تخالف شواهد العربية إلى غير ذلك من أبواب مماثلة. وقرأ طه حسين الكتاب وأعجب به، وألقى عنه محاضرة فى المجمع قال فيها إن ابن مضاء يؤيد المجمع فيما ذهب إليه من صور لتبسيط النحو كما قال إنه ربما تأثر فى ذلك بما عرف من نحو اللغة اللاتينية فى موطنه بإسبانيا إذ لم يجد فيه نظرية العامل ولا علل النحاة وتقديراتهم الكثيرة. وفى جلسة علنية من جلسات المجمع سنة ١٩٥٥م ألقى محاضرة بدار الجمعية المصرية للاقتصاد السياسى والإحصاء والتشريع جعل موضوعها مشكلة الإعراب وفيها دعا بقوة إلى تيسير النحو وتبسيطه قائلا: إن علم النحو من أحب العلوم العربية إلى نفسى لأني أجد لذة فى قراءة الكتب النحوية المعقدة – على ما فيها من فلسفة وتعقيد – مثلما أجد عند قراءتي لشعر رائع لجرير أو لبشار . ولكن إذا كان هذا النحو مستحبا إلى الإخصائيين وإلى الذين يفرغون لمثل هذه الدراسات فمن الحمق كل الحمق أن يفرض على الشباب فى القرن العشرين. وذكر أن المشروع الذى أقره مجمع اللغة العربية، لا يزال نائما فى وزارة التربية والتعليم. ينتظر من يوقظه . وقد عنيت الوزارة بتطبيقه فى سنتى ١٩٦١م و ١٩٦٢م ولم يكتب له النجاح . وما يزال المجمع – عند ظن طه حسين – يحاول تخليص النحو للناشئين من تعقيداته وصعوباته التى ترهقهم إرهاقا شديدا، فقد قدمت إليه مذكرة مطولة بوجوه تيسيره للناشئة ، فدرستها لجنة الأصول وقدمتها إلى مؤتمر المجمع سنة ١٩٧٩م وأقرها. وقدمت قراراته إلى وزارة التربية والتعليم لتطبيقها فى تعليم النحو للناشئة ، ولم تطبقها حتى الآن؛ مع أنها تحذف من نحو الناشئة أربعة عشر بابا فرعيا ردت إلى أبوابها الأساسية، ومعها تيسيرات أخرى كثيرة .

وسنّ طه حسين فى المجمع سنة استقبال أعضائه ووداعهم،بحيث تعقد فى

استقبالهم جلسة علنية،ينهض بالحديث فيها اثنان : عضو قديم يستقبل باسم المجمع زميله الجديد،منوهًا بأعماله العلمية يُبيِّن - فى وضوح - أن المجمع أحسن اختياره، ثم يتحدث الزميل الجديد شاكرا للمجمع انتخابه فيه ، ومثنيا على العضو الذى حل فى المجمع مكانه . ومن روائع طه حسين فى استقباله بعض أعضاء المجمع كلماته فى استقبال عبد الحميد بدوى، ومحمود تيمور، وتوفيق الحكيم . وكما استن طه حسين استقبال المجمعيين الجدد استن وداع الراحلين من المجمع عن الدار الفانية إلى الديار الباقية . وله فى وداع عبد العزيز فهمى، ومحمد حسين هيكل، وعبد الوهاب عزام ولطفى السيد مراثٍ مؤثرة،وهى جديرة بأن يطبعها المجمع وينشرها مع كلماته فى الاستقبال ذكرى طيبة لأعضاء أفذاذ كبار .

و كان طه حسين قد أصبح نائبا لرئيس المجمع سنة ١٩٦٠م وهو أول من شغل هذا المنصب. وتوفى رئيس المجمع لطفى السيد سنة ١٩٦٣م فانتحب بالإجماع رئيسا له ، ونزل به شلل جزئى أقعده فى منزله سنوات متعاقبة ،ومع ذلك ظل يزور المجمع من حين إلى حين متحملاً فى ذلك مشقة شديدة؛ ليجتمع بزملائه فيه، و يتبادل معهم الآراء فى شؤونه ، وظل يصرف أموره على خير وجه ممكن . ودعا فى منزله رئيسى مجمعى دمشق وبغداد، وبعض أعضاء مجمعيهما ومجمع القاهرة، وعرض عليهم قيام اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية فأيدوه واختاروه رئيسا له، فوضع نظامه ولائحته، وفيهما نص على أن ينشأ للمجامع اللغوية العلمية العربية اتحاد له شحصية معنوية مستقلة ومقره مدينة القاهرة، ويتألف من مجامع دمشق،وبغداد والقاهرة، وكل مجمع لغوى تنشئه دولة عربية مستقلة ، وله هدفان : هما تنسيق الجهود بين المجامع فى كل ما يتصل باللغة العربية ،والعمل على توحيد المصطلحات العلمية والفنية و الحضارية العربية ونشرها.وللاتحاد مجلس يسمى مجلس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية. ويتألف من عضوين عن كل مجمع لغوى، يختارهما المجمع العضو لمدة أربع سنوات ، وينتخبون من بينهم رئيسا وأمينا عاما، وأمينين مساعدين . واختصاصاته النظر فى الأعمال المطروحة على مكتب المجامع، وميزانيته السنوية وتنظيم جهود

المجامع، وتوحيد المصطلحات العلمية والفنية والحضارية ، وعقد مؤتمرات وندوات لتحقيق أهدافه، والنظر فى الاقتراحات المتصلة بأهدافه التى تقدمها الهيئات اللغوية والعلمية والمشتغلون باللغة فى العالم العربى .

وتحدد اللائحة الداخلية إجراءات تنفيذ نظامه الأساسى ، وهو واللائحة يقدمان لجميع أعضاء الاتحاد ولكل من يطلبهما.

نضَّر الله وجه طه حسين فى آخرته، وجزاه عن أمته العربية ومجمعها اللغوى وما بذل لهما من جهد عظيم جزاء العاملين المخلصين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شوقى ضيف

رئيس المجمع